إهداء
إلى أستاذى الكبير
أ.د. عبد المعطى شعراوى
راجياً أن يحظى بقبوله
(مع أطيب وأرق تحياتى)
محمد عبد الغنى
١/٧/٩٩

بعض ملامح

الفكر اليونانى القديم

(الأسطورة والتاريخ ـ بعض الدلالات التاريخية للأساطير ـ التوحيد)

أ. د. محمد السيد محمد عبد الغنى

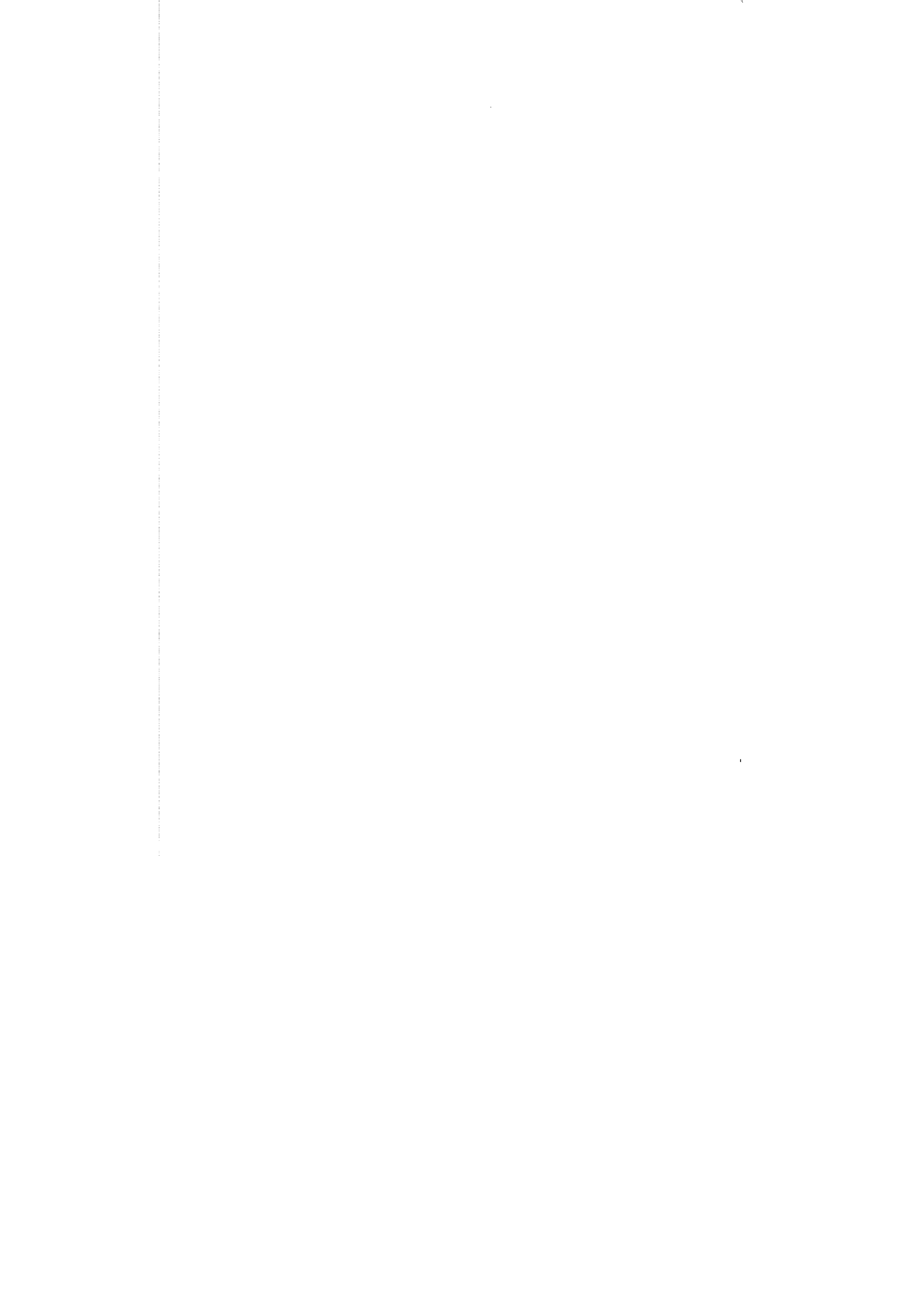
أستاذ التاريخ والحضارة اليونانية والرومانية

كلية الآداب ـ جامعة الاسكندرية

١٩٩٩

المكتب الجامعى الحديث

١٤ شارع دينوقراط ـ الأزاريطة ـ الاسكندرية



الإهداء

إلى عاشق الحضارة والفكر اليونانى
الذى علمّنـا كيف نتذوق ونتأمل هذا العالم الثرى
إلى أستاذى الفاضل
الأستاذ الدكتور / لطفى عبد الوهاب يحيى
إعزازاً وتقديراً

شكر وتقدير

اتقدم مرةً أخرى بشكر واجب للمسئولين عن مكتبة كلية الآداب /بنين بجامعة الكويت بالشويخ وعلى رأسهم الأخت الفاضلة الأستاذة / سعاد العتيقى مسئولة المكتبة ، وكذلك مسئولى مكتبة كلية الآداب للبنات بكيفان وعلى رأسهم الأخت الأستاذة / ليلى السيسى مسئولة المكتبة ٠

فبفضل المساعدة القيمة والخدمة المتميزة فى هاتين المكتبتين وما تضمانه من أحدث المراجع والمصادر قضيت فترة مثمرة فى ربوع الكويت انتجت خلالها عدداً كبيراً من الأبحاث الجادة من بينها أبحاث هذا الكتاب ٠

فشكراً وتقديراً وإعزازاً لكل من عاوننى

على البحث والإنجاز ٠

مقدمة للمؤلف

يمثل هذا الكتاب محاولةً واجتهاداً من جانبى لسبر أغوار العقلية اليونانية القديمة والاقتراب من عالمها الثرى الملئ بالرؤى والدلالات الرموز والتصورات • إن هذا الكتاب بفصوله — أو بالأحرى بحوثه ـ التى تركز على " الفكر " اليونانى أكثر من الأحداث التاريخية يمثل ـ بالنسبة لى ـ نقلةً فى مجال البحث التاريخى فى " تاريخ اليونان " • لقد كنت دوماً ـ ولازلت ـ اعتبر الوثائق هى العمود الفقرى للبحث التاريخى وأنه ما لم تكن المعلومة موثقةً أو أن هناك قرائن معقولة على صحتها فإنها تندرج تحت إطار الترجيح والتخمين أكثر من إطار الحقائق • أما الجديد فى الأمر بالنسبة لى فى هذا الخصوص فهو أننى ازددت يقيناً بأنه لكى تصبح المعلومة التاريخية أكثر شمولاً وسلاسةً وحيويةً فلابد أن يصاحبها ـ فضلاً عن التوثيق والتدقيق ـ إدراك وفهم عميق بالخلفية الفكرية والحضارية لبيئة الحدث • ومن غير توفر هذا الشرط الأخير تصبح المعلومة ـ حتى وإن كانت موثقة ـ جافة وضعيفة الصلة بمحيطها •

هذا اليقين هو ما دفعنى لمحاولة الغوص فى أعماق العقلية اليونانية فى هذا المؤلف الذى أعتبره بداية متواضعة فى هذا السبيل• من هنا بدأت فى معالجة وتتبع جانب هام يعكس حيوية العقلية اليونانية وتصوراتها الثرية والخصبة لجوانب الحياة والعقيدة

والفكر ألا وهو الأسطورة ٠ لم تكن الأسطورة عند الإغريق ـ كما قد يتصور البعض ـ خيالاً محضاً وخصباً لا غرض له سوى التسلية والإمتاع ٠ على العكس من ذلك ، فإن الأسطورة كانت ذلك الوعاء العميق الذى يعرض ـ فى بساطة وعفوية أحياناً وفى صنعة وتكلف وتعمد أحياناً أخرى ـ لرؤى وتصورات ومفاهيم الخيال الشعبى الذى صاغها نحو الكون والوجود والعقيدة والثقافة والسياسة والتاريخ ٠ إن الأسطورة هى ذلك الانعكاس الحى للأفكار والمفاهيم السائدة فى البيئة ، وهى الدعاية الحية فى العالم القديم ـ الذى لم يكن يعرف وسائل الاتصال الحديثة ـ لتلك الأفكار والمفاهيم ٠ ولكى تتسم الأسطورة بالحيوية والإبهار وحتى لا تفقد رونقها كوسيلة دعائية دائمة ومستمرة على مر الأجيال كان لابد لمؤلفيها أن يضفوا عليها بعض الخوارق والمعجزات التى تأخذ بالألباب وتتداخل فيها حدود الواقع بتخوم الخيال وعالم الآلهة الأسطورى المزعوم ٠ لقد كانت الأسطورة ـ بصورة أو بأخرى ـ تمثل ذاكرة المجتمع ومستودعه الذى يحتفظ فيه بتراثه الثقافى ومخزونه الحضارى فى كافة مجالات الحياة والعقيدة ، أى كان لها وظائف شتى ٠

ولما كنت مهموماً بالتاريخ وتشغلنى مسألة فهم وإدراك وتأصيل الأحداث التاريخية فى العالم اليونانى القديم فقد تناولت وظيفةً واحدةً من الوظائف العديدة للأسطورة وهى وظيفتها كوعاء

تاريخى يعطى رموزاً ودلالات ومضامين تاريخية عميقة يمكن الربط بينها وبين ما تحت أيدينا من أحداث تاريخية موثقة ٠

ففى الفصل الأول من هذا الكتاب قمت بتتبع آراء الكتاب والمفكرين والمؤرخين الإغريق حول نظرتهم للأسطورة ووظائفها فى المجتمع وخصوصاً وظيفتها التاريخية ٠ وقد أنقسم هؤلاء ما بين مؤيد للأسطورة ومروّجٍ لها مؤمن بدورها ، ومعارض منتقد لها ولدورها من منطلقات عديدة عقائدية وتربوية وتاريخية ٠ لعل من أبرز المؤيدين والمبتكرين والمروجين للأسطورة الشعراء القدامى مثل هوميروس وهيسيودوس ٠ وقد سار على هديهم كتاب ومفكرون لاحقون مثل أكوسيلاوس من أرجوس وفيركيديس الأثينى وهيللانيكوس من ليسبوس من القرن الخامس ق ٠ م ٠ الذين كتبوا تاريخاً ممزوجاً بالأساطير ٠ بل والعجيب أن ثوكيديديس ـ رائد الكتابة التاريخية المنهجية الراقية فى القرن الخامس ق٠م ٠ لم يجد غضاضة فى قبول بعض شخصيات الماضى البعيد الأسطورية مثل مينوس ملك كريت وشخصيات الحروب الطروادية كشخصيات تاريخية ٠ كما نجد يوهيميروس فى القرن الثالث ق٠م ٠ صاحب النظرية اليوهيميرية التى ترى فى آلهة الأساطير ملوكاً عظماء من أزمنة سحيقة قامت شعوبهم بتأليههم لما قدموه لها من خدمات عظيمة وانجازات باهرة ، وبذلك أضفى على الأساطير صفة التاريخ٠ ومن مؤيدى الأساطير والمروجين لها ـ من نفس المنطلق مثل يوهيميروس ــ أبوللودوروس الأثينى من القرن الثانى ق٠م٠

وديودوروس الصقلى مـن القرن الأول ق٠م٠ ولعل من المثير أن نجد الفيلسوف والمعلم الأول أرسطو يُعلـى الأسطورة على التاريخ ويعتبرها أكثر منه قيمة وشأناً ويضعها فى منزلة وسطى بين الشعر والتاريخ ! ولعل عجبنا يخف نوعاً ما إذا ادركنا أن هذا التقييم للأسطورة والتاريخ عند أرسطو هو من منظور فلسفى يرى أن الشعر يُعنى بالمطلق الذى من المحتمل حدوثه لأى إنسان أما التاريخ فيعنى بالجزئى الذى حدث لأشخاص بعينهم وأنه مجال ومملكة الأحداث الخاصة ٠ ومن هنا فالشعر عنده أقرب إلى الفلسفة فى اهتمامه بالكليات فى حين أن التاريخ أدنى مرتبة ـ فى تقديره ـ لأنه يعنى بالجزئيات والخصوصيات ٠ وتأتى الأسطورة فى مرتبة وسط لأنها تجمع بن الكليات فى نسيجها وتناولها ـ كالفلسفة ـ وتولد مثلها من رحم الإثارة والدهشة من ناحية ، كما تعنى بالجزئيات حين تذكر أسماء أشخاص بعينهم تدور حولهم موضوعات الأساطير من ناحية أخرى ٠

وهناك على الجانب الآخر مفكرون وفلاسفة ومؤرخون معارضون ومنتقدون للأسطورة من منطلقات متباينة : إذ نجد كسينوفانيس وهيراكليتوس من القرن السادس ق٠م٠ ينتقدان الأساطير من منظور عقائدى يرى فيها تصويراً رديئاً لآلهة ذات صفات بشرية سيئة من غش وخداع وزنا وسرقة ولا يجوز لآلهة أن تكون كذلك ٠ وهيكاتيوس الميليتى من القرن السادس وأوائل

الخامس من منظور تاريخى يرى فى روايات الإغريق أموراً كثيرة مثيرة للسخرية وينبغى تنقيتها من الشوائب ويقول أنه لا يكتب منها إلا ما يعتقد بصحته • وسار على نهج هيكاتيوس فى نقد الأسطورة وعدم الأخذ بها على علاتها من المؤرخين هيرودوت فى القرن الخامس وايفوروس فى القرن الرابع ق•م •

ومن المفكرين والفلاسفة نجد سقراط يشكك فى مصداقية الأساطير وكذلك تلميذه أفلاطون الذى يرى فيها خطراً - من الناحية التربوية - على الأطفال الذين تُروى لهم لأنها تروى لهم نماذج غير مقبولة عن السلوك • وقد رفض أفلاطون التفسير الرمزى للأساطير لأن الصغار الذين تُروى لهم لا يستطيعون استيعاب ذلك • ومع ذلك لا يرفض أفلاطون الأسطورة - من الناحية التاريخية - رفضاً تاماً ويرى فيها بعض الحقائق •

إذا كانت هذه هى رؤية المفكرين والكتاب الإغريق حيال الأسطورة اتفاقاً واختلافاً ، قبولاً ورفضاً ، مدحاً وذماً فإن عقلانية المنتقدين من كبار المفكرين الإغريق للأسطورة لم توقف مدها وتقدمها وشيوعها بين جموع البسطاء بل وبين بعض المفكرين الذين تحمسوا لها كما رأينا ، وإن كان للتيار العقلانى أثره فى نقد الأساطير نقداً ذاتياً ومحاولة تنقيتها من بعض الشوائب وتعديل صياغتها •

ومن هنا نجد أن الفصل الثانى من الكتاب هو تطبيق عملى يوضح بجلاء كم الإشارات والدلالات الرمزية والمضامين التاريخية الموحية فى بعض الأساطير الإغريقية خصوصاً فيما يتعلق بالعلاقات بين الإغريق وجيرانهم فى القسم الشرقى من البحر المتوسط • ومن الجدير بالذكر هنا أن كل اسطورة من هذه الأساطير لم تثبت وتستقر عند أقدم رواية لها بل مضى أهلها يعدلون ويبدلون ويضيفون إلى الرواية الأصلية كثيراً أو قليلاً لكى تستوعب المتغيرات والأحداث المتلاحقة التى يريدون الإشارة إليها وإبراز رموزها • من هنا نجد بعضاً من الأساطير التى بدأت محدودة النطاق قليلة الشأن وصارت فى فترة لاحقة ـ بعد الإضافات إلى الرواية الأولى ـ أسطورة كبرى ذات أبعاد أكثر بكثير عن ذى قبل• هذه الإضافات والتعديلات التى تمت لاحقاً كانت ذات أغراض دعائية تناسب تلك المرحلة اللاحقة ـ على مستوى مدينة بعينها أو على مستوى الإغريق جميعاً ـ وتنسب ريادة حضارية أو سياسية أو فكرية مزعومة • لقد اجتهدت فى محاولة التقاط تلك الرموز والمضامين التاريخية التى تعج بها تلك المجموعة المنتقاة من الأساطير فى هذا الفصل • وقد قمت بهذه المحاولة من خلال مضاهاة تلك الأساطير ورموزها بأقرب الأحداث التاريخية شبهاً بها فى بلاد اليونان وجيرانها فى شرق المتوسط • فإن كنت قد وفقت فى هذه المحاولة فهذا من فضل ربى وإن لم أوفق فى بعض منها

فيكفينى شرف المحاولة الجادة ، وأدع الحكم على ذلك للقارئ الكريم من خلال تمعنه فى دلالات كل أسطورة ٠

أما الفصل الثالث فقد تناول موضوعاً غير تقليدى بالمرة وقد يثير دهشة القارئ ألا وهو موضوع " التوحيد " فى الفكر اليونانى القديم !! إذ قد ينفعل قارئ ويصيح : أى توحيد هذا الذى تزعمه فى مجتمع ينطق كل حجر من آثاره بالآلهة والأرباب الذين تعج بذكرهم معظم الأعمال الأدبية والفكرية ؟ ناهيك عن أنصاف الآلهة والأبطال الذين عُبدوا وشيدت لهم معابد وأضرحة ؟ وأنا لا أنكر شيئاً من هذا بل أزيد عليه فالتعددية العقائدية ومجمع آلهة الأوليمب عند اليونان كانت - بالإضافة إلى اللغة اليونانية - من الأمور القليلة التى يجمع عليها الإغريق رغم اختلافاتهم المحلية ٠

ولكن رغم ذلك فلن يضير القارئ الكريم شيئاً أن يقرأ ذلك الفصل - بحواشيه وملحوظاته - بقدر من التمعن لكى يدرك بجلاء مدى وضوح فكرة التوحيد ساطعة جلية فى الشذرات المتبقية من مفكر مثل كسينوفانيس الكولوفونى من القرن السادس ق٠م٠ ولكى يلتقط الإشارات الضمنية التى تقترب أحياناً من التصريح عند سقراط - فيما أورده تلميذه أفلاطون على لسانه فى محاورة " الدفاع " - والتى تشير - من طرف خفى - إلى فكرة التوحيد عنده بل ويُلمّح فى أكثر من موضع إلى أنه مُرسل من الإله لإيقاظ الأثينيين من سباتهم وأن هناك وحياً يُوحى إليه !!

أخيراً وليس آخراً فقد أردت أن أختم هذا الكتـاب بملحق ـ أو بالأحرى بفهرس ـ يتناول كثيراً من الألفـاظ المشـتركة بين اليونانيـة والعربيـة المعـاصرة ، وهـى متطابقـة بيـن اللغتيـن لفظـاً ومعنـى • صحيح أن كثيراً من هذه الألفـاظ مقطـوع بنسـبتها لليونانيـة وأنهـا انتقلت إلى لغتنا العربية ولهجاتنا المحلية عبر وسيط أو وسـائط فـى العصر الحديث هى اللغات الأوربية الحديثة التـى تحتفظ بقدر كبير من المفردات والتراكيب اليونانية فى ألفاظها • ومعظـم هـذه الألفـاظ اليونانية التى انتقلت إلى لغتنا ولهجاتنا عبر اللغات الأوربيـة الحديثـة هـى ألفـاظ اصطلاحيـة فـى العلـوم والفنـون والديـن والسياسـة ومخترعات العلم الحديث • ولكن المثير أن هناك ألفاظاً مشتركة بين العربية واليونانيـة لـم تنتقل إلينـا عـبر اللغـات الأوربيـة الحديثـة بـل وجدت فى المعاجم العربية واليونانية منـذ القـدم وهـى متطابقـة لفظـاً ومعنى ، وهناك أمثلة عديدة عليها فى هذا الملحق•

والآن ما دلالة هذه الألفاظ المشتركة منذ القدم ؟ إنها بلا ريـب دليل تواصل حضـارى بين الطرفين وإن كنا لا نستطيع ـ فـى كثير من الأحيان ـ أن نقطع أى الطرفين أخـذ اللفظـة مـن الآخـر ؟ ولكـن يكفى أن ندرك أن هذه الألفاظ هى دليل قوى على تواصل حضـارى ـ ربما من خلال التجارة على الأرجح ـ بين العرب واليونان •

صحيح أن هذا الملحق لا يعد بحثاً بقدر ما يعتبر حصراً لغويـاً تقريبياً لمثل هذه الألفـاظ ، ولكـن إن لـم يكـن لهـذا المسـح مـن مـيزة

سوى أن يثبت وجود هذا التواصل الحضـارى بين العـرب واليونـان فـى العصـور القديمـة وأن يثبت أن نتـاج العقليـة اليونانيـة فـى أحـد جوانبها - وهو اللغـة - لا يـزال حـاضراً وحيـاً ويـتردد فـى أحاديثنا اليومية - بالعربية - لكان فى ذلك الكفاية .

" نرفع درجات من نشاء وفوق كل ذى علم عليم "

صدق الله العظيم

محمد عبد الغنى

١٩٩٩/٤/٢٧

الفصل الأول

تطور نظرة الإغريق إلى علاقة الأسطورة بالتاريخ

تطور نظرة الإغريق
إلى علاقة الأسطورة بالتاريخ

الكلمـة الإغريقيـة المعبرة عـن " الأسـطورة " هـى μυθος ، وهى كلمة مرت بتغيرات فى معناها عبر القرون حتـى وصلت إلى معناها الحـالى • ففـى عهد هومـيروس كـانت هـذه الكلمـة تعنـى "الحديث" أو " القول " أو " التصريح " كما يتضح من بعض أمثلة من الإلياذة : ففى أحد المواضع يسأل هيكتور إحدى الخادمات عن مكـان وجـود زوجتـه أندرومـاخى " فـأدلت الوصيفـة موضـع الثقـة بقولهـا μυθος رداً عليـه : نظـراً لأنـك تطلـب منـى ذكـرَ μυθεισθαι الحقيقة يا هيكتـور " (الإليـاذة : الكتـاب السـادس 381 – 382) ، وفى موضع آخر حين يذهب وفد من الإغريق لإعادة أخيليـوس إلى ميدان المعركة ورد عليهم رداً صاعقاً حين رفض مطلبهم بصـورة خشنة التزم المبعوثون الثلاثـة الصمت " عجبـاً مـن قولـه μυθος " (الكتاب التاسع 431) ، وبعد بعض الوقت يشـير العجـوز فوينيكس إلـى تعليمـات والـد أخيليـوس إليـه (فوينيكس) بـأن يُعلِّـم أخيليـوس شئون الحرب والمجلس التشريعى ، ويصيغها فـى عبـارة " ليكـون متحدثاً بليغ الأقوال μυθοι ومنفذاً للأفعـال " بمعنـى أن يكـون كفئـاً قديراً فى الحرب والقتل ومقنعاً من خلال الأحاديث μυθοι المؤثـرة (الكتاب التاسع 443) • هذه الأمثلة تبين بجلاء أن لفظـة μυθος عند هوميروس كانت تعنى القول أو الحديث وما شابه •

وقد كان التراث الإغريقى الأدبى المبكر مكتوباً بالشعر ، أما النثر فقد بدأ استعماله فى حوالى منتصف القرن السادس ق٠م٠ وشكل جزءاً من الكتابة التى بدأت تتغلغل آنذاك فى الثقافة الشفهية السائدة ٠ وأصبحت الكلمة المعبرة عن " النثر " فى اليونانية هى λογος المأخوذة من فعل λεγειν بمعنى " يقول " ٠ هذا اللفظ λογος أصبح يضم التعبير الشفهى (الحديث) وكافة أشكال الكتابة النثرية ٠ وكان الكُتّاب المبكرون غالباً ما يشيرون إلى كتبهم باسم logos ومن بينهم هيرودوت (3. 152. 7) ، كما أن ثوكيديديس يشير إلى كافة المؤرخين المبكرين على أنهم " كُتّاب النثر logographoi " (21 .1) وهو تعبير انتقل إلى الكتابات الحديثة عن هؤلاء المؤرخين أو logographers ٠

هذا التطور لكلمة (لوجوس) وتوسعها لتغطى العديد من الأحاديث المنطوقة قلّص من حدود كلمة (ميثوس) بحيث أصبحت هذه الأخيرة عادةً ما تستعمل فى القرن الخامس ق٠م٠ للتعبير عن الخيال أو القصص الخيالى الذى كان مقترناً بُكتّاب الشعر المبكرين٠ وهكذا أصبح نقيض كلمة μυθοι (بمعنى القصص الخيالى الشعرى القديم) هو كلمة λογοι (بمعنى الكتابات النثرية العقلانية اللاحقة) ، ومن هذا المعنى اشتُق على الأرجح اسم علم المنطق فى اللغات الأوربية الحديثة Logic أو Logique ٠ ولعل ثوكيديديس أراد أن يميز نفسه بطريقة مبطنة عن سابقه هيرودوت حين يؤكد على الطبيعة العلمية والقيمة العلمية لمؤلفه على حساب الإقلال من

جرعة وقيمة الترفيه فى كتابته وهو أمر لا يروق لمن اعتادوا على القصص الخيالى الذين يُطلق عليهم اسم μυθωδες [(١)] .

هذا عن تطور استخدام الإغريق لتلك الألفاظ التى بدأ استخدامها كألفاظ عامة السياق والمحتوى ثم اتخذت بعد ذلك بمرور الوقت معانى اصطلاحية أكثر تحديداً . أما عن تطور نظرة الإغريق إلى ذلك القصص الوارد فى الأشعار الملحمية المبكرة والذى يتسم بقدر من الخيال (الأسطورة) فينبغى أن نذكر أنه لم يكن لديهم فى وقت مبكر تمييز مفهوم وواضح ودقيق بين الأسطورة والتاريخ ، وإنما كانوا على الأرجح يفاضلون بين روايات تبدو حقيقية أو ذات مصداقية نسبية وأخرى تبدو زائفة أو مشوشة .

أما عن نظرتهم لأبطال هذه الأساطير فقد اعتقد غالبية الإغريق أن هؤلاء الأبطال هم بشر خارقون عاشوا قبلهم بفترات ليست سحيقة ، بمعنى أنهم من ناحية البعد الزمنى يمثلون أقدم الفترات " التاريخية " البشرية . كذلك فإنهم اعتقدوا أنهم كانوا ـ من ناحية البعد المكانى ـ يعيشون قبلهم فى نفس الأماكن والحدود الجغرافية . والخلاصة فإن أبطال الأساطير كانوا فى تقدير غالبية الإغريق الساحقة بشراً عاشوا على نفس حدودهم فى الماضى البعيد نسبياً ، ورغم أنهم كانوا يعتقدون أنهم من جنس أقوى منهم فإنهم كانوا أشد شبهاً وأكثر ارتباطاً بالبشر عن الآلهة ، ولذلك فهم نماذج بشرية خارقة [(٢)] .

هذا الاعتقاد عن الأساطير لدى الإغريق لم يكن يعنى بالضرورة قبولاً غير مشروط من جانبهم للروايات المتداولة عبر الأجيال ، بل أن الشك فى الأسطورة ونقدها ربما نشأ مع نشأة الأسطورة • إن هيسيود يلمّح إلى أن ربات الوحى والفنون Musae يمكن أن يصدر عنهن فى بعض المناسبات أكاذيب مقبولة[٣](Theogony 27) • إن صدور هذا القول عن هيسيود – وهو من أكثر المتحمسين للعقيدة الإغريقية ووضع ملحمة " أنساب الآلهة " التى تتضمن كمّاً كبيراً من الأساطير عن نشأة وتطور العقيدة اليونانية – يوحى بمدى ما أضفاه الخيال الإغريقى على تلك الأساطير من مبالغات وخيالات • لكن هل كان هناك نقد مبكر من قبل الإغريق للأساطير أو للبعض منها ؟ يرى البعض أن الأساطير تعرضت لنقد مبكر من قبل الإغريق ولكنه كان نقداً ذاتياً تمثل فى رواية كل أسطورة بروايات عدة كل منها تحمل وجهة نظر راويها فى أحداث الأسطورة وما يضفيه على الرواية المبكرة من تعديلات أو إضافات • هذه الروايات العديدة للأسطورة استمرت وتصاعدت فى أشكال متباينة طيلة العصور القديمة – ربما بأبعاد ومعان جديدة فى العصر الأرخى – وكانت الروايات العديدة للأسطورة تصاغ حتى ذلك الحين فى صورة شفهية • هذا النقد الذاتى المتمثل فى الروايات العديدة للأسطورة أتاح المزيد من التحليلات والتفصيلات والمقارنات ، وحين دُوِّنت هذه الروايات كتابةً ووضعت إلى جانب بعضها البعض كشفت عن التناقضات فيما بينها وبدأت الحاجة تتولد

إلى محاولة التوفيق بين هذه التناقضات أو معالجتها بقدر من العقلانية [٤] • ومن الجدير بالذكر أن الأساطير كانت ذات درجات متفاوتة من المصداقية ، فهناك أساطير تتعلق بالآلهة وأخرى تتصل بالأبطال مثل أسطورة حرب طروادة وقائدها أجاممنون ، وكانت أمثال الأخيرة من الأساطير ذات البعد التاريخى أكثر مصداقية من الناحية التأريخية وكانت هذه الروايات بالنسبة لهم ذات منظور شبه تاريخى " quasi-historical perspective " [٥] •

من هنا نرى أن الإغريق لم يكونوا يشعرون شعوراً قوياً جداً بالتعارض والتناقض بين الأسطورة والتاريخ • ولكن حدث منذ عصر معين (القرن السادس ق•م•) أن بدأ الإغريق يطرحون بعض الأسئلة العقلانية حول ما ورد بأساطيرهم وفى البحث عن إجابات لها من خلال إخضاع موروثاتهم الفكرية للنقد وتبنى تحليل أكثر عقلانية لا يدع الباب مفتوحاً على مصراعيه أمام الخرافات والأعاجيب[٦] • هذا الاتجاه نحو العقلانية بدأ فى القرن السادس ق•م • نتيجة لإثنين من التطورات الفكرية التى شهدها ذلك القرن ــ خصوصاً فى منطقة أيونيا على الساحل الغربى لآسيا الصغرى ــ أولهما هو ظهور الفكر الفلسفى والعلمى بين الفلاسفة الذين يُطلق عليهم " الفلاسفة قبل سقراط " ، وثانيهما هو بداية ظهور الكتابات الإغريقية ذات السمة الجغرافية والإثنية (العرقية) والتاريخية • وقد وجد هؤلاء المفكرون والكتاب أن من الصعب الاستمرار فى قبول الموروث العقائدى والأسطورى[٧] لديهم بدون تحفظ فى ظل

المعطيات الجديدة . ولكن على الرغم من الحماس الذى أبداه المفكرون والفلاسفة فى تلك الفترة لآرائهم العقلانية فلم يكن لها فى واقع الأمر وقع وتأثير كبير على الناس فى عمومهم وإطلاقهم . ومن المحاولات المبكرة للنقد العقلانى للأسطورة محاولات كسينوفانيس إظهار سخف وعدم منطقية ما أورده كل من هوميروس وهيسيود عن الآلهة وخصالها الرذيلة التى تشبه خصال البشر (سنفصل ذلك فى مبحث مستقل لاحقاً) . كما أن هناك كاتباً آخر من القرن السادس حوالى سنة ٥٢٥ ق.م. هو ثياجنيس من ريجيون (فى جنوب ايطاليا) الذى رأى أن آراء وأوصاف هوميروس فى ملاحمه لم تكن حرفية وإنما كانت رمزية ومجازية . هذا الموقف من جانب ثياجنيس أشار إليه أحد الشراح القدماء لملاحم هوميروس وهو يفسر المعارك بين الآلهة فىالإلياذة ، إذ يقول :

" وكذلك فإن كل العناصر المكونة للكون تبدى صراعاً وتقاسى من ويلات الدمار إلى حد ما فى حين يظل الكل بصورة أبدية . أنه (هوميروس) رسم وصوّر معارك وأطلق على النار أسماء " أبوللو " و " هيليوس " و " هيفايستوس " ، وعلى الماء " بوسيدون " و " سكاماندر " ، وعلى القمر " أرتميس"، وعلى الهواء " هيرا " وهكذا . وبالمثل فقد أطلق أسماء آلهة على بعض النزعات والميول فأطلق اسم " أثينا " على الحكمة والبصيرة ، و " أريس " على

التهور والحماقة ، و " أفروديتى " على الرغبة ، و "هيرميس" على الصواب والرشد ، وجعل هذه الأسماء تتواءم مع تلك الطباع ٠ إن مثل هذا النوع من الدفاع (عن هوميروس) ـــ وهو دفاع قديم جداً يعود إلى ثياجنيس من ريجيون الذى كان أول من كتب عن هوميروس - يستند إلى البيان والأداء"

Scholiat B on (=Theagenes 8T2 Homer Iliad 20. 67) .

إن هذه الرمزية التى صور بها ثياجنيس مفاهيم هوميروس هى نوع من الرمزية الطبيعية (التى تشير إلى ظواهر وسنن الطبيعة) وهى التى استخدمها لاحقاً امبيدوكليس فى منتصف القرن الخامس ق٠م٠ حين أشار إلى العناصر الأساسية الأربعة للكون بأسماء آلهة فجعل " زيوس " مُعبراً عن " النار" (وفى بعض المواضع هيفايستوس) ، و " هيرا " معبرة عن " الهواء " ، و "ايدونيوس " (أى " هاديس ") عن التراب ، وخاصية هى " نيستيس" (المجاعة) عن " الماء " ، وفى المقابل اعتبر البعض أناكساجوراس معبراً عن الرمزية الأخلاقية عند هوميروس(٨) ٠

لكن هذا النقد المبكر وهذا التفسير الرمزى الطبيعى والأخلاقى للأسطورة من قبيل بعض الفلاسفة والكُتّاب المفكرين لم يؤد إلى قطيعة مع الأسطورة والتدين التقليدى ولم يفترض مسبقاً هجر

الرواية التقليدية بصورة تامة ٠ هذا الموقف المبكر من الأسطورة كان له بعض النتائج على صعيد المطالبة بقدر أكبر من العقلانية عموماً فى النظرة إلى الآلهة من جراء دعوة كسينوفانيس ، كما كان من نتائجه التوصل إلى تدين أعمق كما فى الحركة الأورفية وطقوسها السرية وكذلك التوصل إلى رواية أكثر أخلاقية للقصص كما هو الحال عند الشاعر بندار[٩] ٠ هذا المناخ الذى ساده قدر أكبر من العقلانية خلال القرن السادس ق٠م٠ بدأ يلقى بانعكاساته وظلاله على الكتابة التاريخية التى " بدأت " تتخلى عن مفهومها التقليدى الذى يعج بالروايات والأساطير القديمة وتتسلخ رويداً رويداً من هذه الروايات والأساطير ، أو " تنتقى " الأفضل والأكثر مصداقية من هذه القصص ، أو تحاول إضفاء تفسير رمزى عقلانى على بعض النقاط غير المنطقية فى الرواية والأسطورة ٠ إن أول من ينطبق عليه هذه المواصفات من كتاب التاريخ القدماء عند الإغريق هو هيكاتيوس الميليتى الذى عاش فى أواخر القرن السادس وأوائل القرن الخامس ق٠م٠ وقد انصب اهتمام هيكاتيوس على التراث التقليدى الإغريقى كما اهتم بالجغرافيا وأعراق وأنساب الإغريق وكتب مؤلفه " أنساب الإغريق " حول أصول الإغريق (وغيرهم) وقبائلهم وأماكنهم ٠ وله عبارة محورية شهيرة تظهر بوضوح أتجاهه النقدى والعقلانى تجاه روايات وقصص وأساطير الإغريق إذ يقول :

" إننى أكتب ما يبدو صحيحاً بالنسبة لى إذ أن روايات logoi الإغريق ـ كما تبدو لى ـ كثيرة ومتعددة وتثير الضحك والسخرية "geloioi " (Hecateus, FGH 1F1) • فى هذه العبارة تبدو عقلانية هيكاتيوس ونظرته النقدية الفاحصة وانتقائه من هذه الروايات ما يراه أكثر مصداقيةً وإقناعاً ، وهو يمثل " بداية " الإنسلاخ عن الحكى والسرد الأسطورى • ورغم ريادته فى هذه النظرة النقدية الانتقائية إلا أن ما تبقى من شذرات من مؤلفه "الأنساب" يبين أنه لم يتخلص من سيطرة الأساطير التى كانت لا تزال واضحة فى كتابته • وبالإضافة لذلك فإنه ترك بصمته ـــ تفسيراً أو إضافةً أو تعديلاً ـــ على بعض الروايات الأسطورية القديمة : ففى حديثه عن أسطورة تعقب أبناء أيجبتوس لبنات داناءوس من مصر إلى أرجوس يذكر أن ايجبتوس لم يحضر إلى أرجوس ، بل أن أولاده فقط هم من حضر وأن عدد هؤلاء الأبناء لم يكن خمسين كما ذكر هيسيود وأن عددهم فى رأى هيكاتيوس لا يزيد عن عشرين (FGH 1F19) ، كما أنه ينتهج رأياً مخالفاً بالنسبة لأسطورة هرقل والعملاق جيريون ذى الرؤوس الثلاثة الذى تقول الأسطورة أنه كان يعيش فى جزيرة عند المحيط وراء أعمدة هرقل (فى أسبانيا) والذى كان يرعى قطيعاً من الماشية رائعاً وشهيراً ، وتمكن هرقل من سرقة هذا القطيع الرائع والعودة به إلى بلاد اليونان • لكن هيكاتيوس لا يعتقد أن موطن جيريون كان فى أسبانيا بل فى شمال غرب اليونان (FGH . 1F26) ، كما أنه لا

يعتقد أن هرقل قد أحضر من العالم السفلى الكلب ذا الرؤوس الثلاثة المسمى كيربيروس وإنما أحضر ثعباناً رهيباً كان يعيش عند رأس تايناروم فى جنوب بلاد اليونان (وهى المدخل الشهير إلى العالم السفلى " هاديس " عند الإغريق) وكان يُطلق على هذا الثعبان البشع " كلب هاديس " لأن عضته كانت مميتة مهلكة (F 27)[١٠] .

لكن هذا الاتجاه نحو العقلانية فى التعامل مع الأساطير عند سرد الأحداث القديمة والذى تجسد فى هيكاتيوس الميليتى قابله فى نفس التوقيت تقريباً (أوائل القرن الخامس ق٠م٠) اتجاه آخر محافظ تبنى الأساطير القديمة وإن أدخل عليها بعض الإضافات أو التعديلات أو الأبعاد المحلية أو حاول تأريخ هذه الأساطير ٠ وكان أبرز رموز هذا الاتجاه هم أكوسيلاوس من أرجوس وفيركيديس الأثينى وهيلانيكوس من ليسبوس ٠ أما عن **أكوسيلاوس** فقد كتب مؤلفاً بعنوان " الأنساب " حوالى سنة ٥٠٠ ق٠م٠ أعاد فيه سرد الروايات التقليدية التى عرفها معظم الكتاب اللاحقين من كتابات هيسيود ، ولم يتطرق فى مؤلفه إلى ما وراء الأساطير الإغريقية (أى ما بعد الحرب الطروادية) ٠ وكان الإحساس بالدقة عنده مقصوراً على إدخال تصويبات على أنساب ملوك أرجوس الأسطوريين ، أى على نطاق محلى يتصل بأرجوس : فهو على سبيل المثال أضاف منظوراً خاصاً بأرجوس إلى رواية الإنسان الأول فى تراث أرجوس المحلى بالحديث عن فورونيوس (FGH 2F23) ، وكان أحياناً يدخل تحسينات على رواية هيسيود

بإخراج متنوعات أكثر معرفية عليها إذ يذكر مثلاً أن Ιρις (قوس قزح) لم تكن رسولة زيوس وحده إلى البشر أو رسولة هيرا بل رسولة كل الآلهة (F 9) وأن كل الكائنات القارضة قد خلقت من دم تيفون أخطر أعداء زيوس (F 14) ٠ أما **فيركيديس الأثينى** فيبدو أنه تأثر تأثراً كبيراً بأكوسيلاوس وكتب مؤلفاً فى الأنساب أكثر اتساعاً أسماه هيستورياى (الأبحاث) حوالى ٤٦٠ ـ ٤٥٠ ق٠م٠ وهو يعطى انطباعاً بأن الإغريق تحولوا متأخراً من الأسطورة mythos إلى التاريخ logos إذ أن فيركيديس ـ فى هذا الوقت المتأخر نسبياً ـ ظل ملتزماً التزاماً مطلقاً بالأسطورة رغم أوجه الفكر المستنير التى برزت حتى ذلك الحين ٠ إن الطريق الذى سلكه فيركيديس هو الطريق الذى سيؤدى فى النهاية إلى أبوللودوروس الأثينى فى القرن الثانى ق٠م٠ أما **هيلانيكوس** من ليسبوس فقد كتب من خلال الأنساب والأساطير تاريخاً عاماً حتى نهاية الحرب الطروادية ٠ وكان إطار عمله هو التأريخ الشامل للأحداث القديمة فى الفترة المنوه عنها من خلال قائمة بكاهنات أرجوس تعود بلا تمييز إلى عصور أسطورية واستخدم هذه القائمة لتحديد الأحداث خلال فترة كل كاهنة ٠ وقد كان كتابه هذا بعيداً عن كونه تاريخياً ومليئاً بالتحركات السكانية التى كان محركها بعض الصراعات الحزبية والقبلية ٠ وكان هيلانيكوس أول من أرّخ للأساطير(١١) ٠

نعود الآن للحديث عن موقف مشاهير المؤرخين الإغريق فى القرن الخامس ق٠م٠ من الأسطورة ٠ ولنبدأ **بهيرودوت** (" أبو

التاريخ " كما أطلق عليه شيشرون) الذى كرّس مؤلفه " التاريخ " Historiae للحديث عن الحروب الفارسية بين الفرس والإغريق فى أوائل القرن الخامس ق٠م٠ ومن قبلها ثورة إغريق آسيا الصغرى (الساحل الأيونى) ضد الفرس فى أواخر القرن السادس ق٠م٠ ، وأراد أن يبحث فى مقدمة مؤلفه عن الأسباب الحقيقية لهذا الصراع الفارسى الإغريقى ٠ ويبدو هيرودوت استمراراً إلى حد ما للتيار العقلانى الذى بدأه هيكاتيوس الميليتى فى التعامل مع الأسطورة ٠ صحيح أن هيرودوت يبدأ مؤلفه بالإشارة إلى بعض الأسباب المبكرة للصراع بين الإغريق والشرقيين وهى عمليات خطف النساء المتبادلة بين الطرفين : إذ بدأ الفينيقيون بخطف " إيو" ابنة ملك أرجوس ورد الإغريق بخطف " يوروبا " ابنة ملك صور ثم أختطفوا " ميديا " ابنة ملك كولخيس بعد الإغارة على المملكة ، وبعد جيلين انتقم الآسيويون لأنفسهم حين اختطف باريس بن بريام ملك طروادة هيلين زوجة مينيلاوس ملك اسبرطة (Herodotus 1.2-4) ٠ لكن رغم ذلك فإن هيرودوت نسب هذا التفسير ألى رواة وإخباريين λογιοι من الفرس من جهة ، كما أنه من جهة أخرى روى هذه الأساطير بتفسير أكثر واقعية وحاول تنقيتها من بعض الشوائب الأسطورية فهو لم يقل مثلاً أن ذبابة القطعان هى التى ظلت تلاحق إيو ـ بأمر من هيرا ـ وتخزها من أرجوس إلى مصر ، كما لم يقل بأن زيوس قد تنكر فى هيئة ثور أبيض وخطف يوروبا إلى بلاد اليونان كما تروى الأساطير ، بل نسب عمليتى الخطف إلى

تجار أو قراصنة من الجانبين ، ليس معنى ذلك أن هيرودوت رفض من حيث المبدأ تاريخية هذه الأساطير بدليل أنه أوردها ثم ترك أمر تصديقها أو عدم تصديقها على عاتق قرائه (١٢) . كل ما فى الأمر أن هيرودوت لم يشأ أن يخوض تفصيلياً فى أحداث قديمة لا يستطيع أن يجزم بمقدار الصحة والحقيقة فيها رغم اعتقاده الضمنى بتاريخيتها ، ولذلك آثر أن يبدأ تفاصيل الصراع الفارسى الإغريقى بشخصية تاريخية هى شخصية كرويسوس ملك ليديا الذى كان ممكناً التحقق منه ومن الأحداث التى وقعت فى عصره وهى قريبة نسبياً من زمن هيرودوت . وبهذه الطريقة يبدو أن هيرودوت ميز الأسطورة من التاريخ قائلاً :

" من الناحية الشخصية وبشأن هذا الموضوع (قصص الاختطاف المتبادل للنساء بين الإغريق والآسيويين) فلن أقول إن كانت قد وقعت بطريقة أو بأخرى . بل سوف أستهل كتابى logos بالإشارة إلى الرجل الذى أعرف بنفسى أنه كان أول من بدأ عملاً ظالماً ضد الإغريق (كرويسوس)(١٣) " (1.5.3) .

ويبدو أن هذا هو نهج هيرودوت ـ على الأقل فيما يتعلق بالشخصيات التى يعتبرها تاريخية من الإغريق ـ كما نلاحظ فى مثال آخر : فحين تحدث عن الملك مينوس ملك كريت وسيادته البحرية فى بحر إيجة اعتبره شخصية من الماضى الغابر الغامض

وحدد بوليكراتيس طاغية ساموس (من الربع الثالث من القرن السادس ق٠م٠) كأول حاكم بحرى " من الحقبة المسماة البشرية[١٤]" (3.122) ٠ لكن رغم تمييز هيرودوت بين الوقائع التاريخة (القريبة العهد به والتى يمكن التحقق من صحتها) والروايات الأسطورية (التى ترجع لماضى سحيق لا يمكن التحقق الدقيق من صحة أحداثه) إلا أنه لم يرفض الأخيرة - كما أسلفنا – بل أخذ بها وإن ساوره بعض الشك حول دقتها وتفاصيلها [١٥] ٠ ولعل خير دليل على ذلك أنه أورد فى مؤلفه صراحةً أن هرقل (هيراكليس) هو مؤسس الأسرات الحاكمة فى كل من ليديا وبلاد الفرس (1.7.2) وجعل من هيراكليس حجر الزاوية فى نظام تأريخى وضعه للأحداث القديمة حين حدد أنه قد عاش قبل زمنه (زمن هيرودوت) بتسعمائة عام [١٦] " (2.145.4)٠

وحتى **ثوكيديديس** – رائد الكتابة التاريخية المنهجية وأكثر مؤرخى الإغريق دقةً وموضوعية ، والذى أشار إلى أن كتاباته الرصينة لا تروق لمن اعتادوا القصص الخيالى — لم يهجر الأسطورة تماماً بل تعامل معها فى أحيان قليلة كما لو كانت حدثاً تاريخياً ٠ ومن الأمثلة على ذلك قوله مثلاً :

" من الواضح أن بلاد اليونان (هيللاس) لم تقم بعمل مشترك قبل الحرب الطروادية ، بل أنها فى تقديرى لم تكن تحمل هذا الاسم الجمعى : فقبل هيللين بن ديو

كاليون لم يكن هناك وجود لهذا الاسم (هيلاس) على الإطلاق ٠٠ ولكن عندما اكتسب هيللين وأولاده قوةً ونفوذاً فى فثيوتيس (جزء من تساليا) ودعاهم الناس إلى المدن الأخرى طلباً للمساعدة أصبح يُطلق عليهم جماعة بعد أخرى الهيللينيون من باب الارتباط بهم [١٧] " (Thucydides 1.3.2) ٠

وهناك مثل آخر من هذا القبيل حين اعتبر مينوس ملك كريت ملكاً توسعياً شديد القسوة وهو ما جعله يفترض أن دافع مينوس لكبح جماح القرصنة هو " لكى يضمن وصول العوائد الملكية إليه فى سهولة ويسر[١٨] " (1.4) ٠ وهو هنا يعترف بمينوس كشخصية تاريخية دون أدنى تحفظ على عكس هيرودوت الذى أبدى تحفظاً على تاريخية مينوس كما أسلفنا ، وهى من المرات النادرة التى نجد فيها هيرودوت أقرب إلى العقلانية من ثوكيديديس ! كما أن ثوكيديدس يمنح هوميروس قدراً من المصداقية التاريخية ويعتبره ـ إلى حد ما ـ كاتباً وثائقياً [١٩] ، إذ يقول فى هذا الصدد :

" ليس هناك ما يبرر عدم الثقة ٠٠٠٠ ولابد للمرء أن يتقبل أن هذه الحملة (الحرب الطروادية) كانت هى الأعظم حتى ذلك الحين ـ رغم ضآلتها بالمقاييس الحديثة ــ إذا كان بوسع المرء أن يثق بشعر هوميروس حول هذه النقطة ـ إذ أنه كشاعر كان يميل

علـى الأرجـح إلـى المبالغـة مـن أجـل التـأثير فــى الآخرين[٢٠] " (1.10.3) ٠

معنى هذا القول أنه مبالغ فقط ولكن يستند على حقائق ووقائع، رغم أن البعض يرى فى هذه العبارة ذاتها عند ثوكيديديس محاولة منه للفصل بين العلية (السببية) التاريخية والشعر الملحمى ورفضا لهوميروس [٢١] ٠ وهذا الرأى يحمل كلام ثوكيديديس أكثر مما يحتمل ، والأرجح أنه يميل إلى التحذير هنا من مغبة التعويل على المبالغات الجمالية عند الشعراء [٢٢] ، وإن كان لا يرفض المعلومات المستقاة من الشعراء جملة وتفصيلاً كما يتضح جلياً من عبارته ٠

أما مؤرخو القرن الرابع ق٠م٠ فنجد من بينهم من اتخذ موقفاً من الأسطورة مثل المؤرخ **ايفوروس** الذى كان يصغر أفلاطون بنحو جيل (حوالى ٤٠٥ ـ ٣٣٠ ق٠م٠) والذى كتب تاريخاً شاملاً عن بلاد اليونان منذ الغزو الدورى وتعاقب السيطرة والسيادة المختلفة عليها وهو أشهر تاريخ شامل من العصر القديم ٠ ورغم ضياع وفقدان هذا المؤلف إلا أننا نعرفه بصورة أساسية من خلال مؤلف ديودور الصقلى (المكتبة التاريخية) الذى استفاد منه كثيراً ونقل عنه الكثير فى كتبه من الحادى عشر حتى السادس عشر، كما أشار إليه بوليبيوس وأخذ عنه سترابون الكثير وإن انتقداه لعدم دقة تأريخه ووصفه غير الموفق للمعارك ٠ **ما يعنينا فى هذا المقام هو** موقفه من الأساطير إذ " **استغنى عن سرد الأساطير القديمة واتخذ**

مـن روايـة الأحـداث التـى تعقـب عـودة أبنـاء هرقـل نقطـة البدايـة لتاريخه[٢٣] " (Diodorus Siculus 4.1.3) • ورغم أن " عودة أبناء هرقل " هى فى حد ذاتها أسطورة إلا أنها تحدد عناصر السكان وتركيب اللهجات فـى بـلاد اليونـان فـى العصـر التـاريخى ، وربمـا تعكس وصولاً حقيقياً للدوريين وإغريق الشمال الغربى إلى بـلاد اليونان فى بداية العصر المظلم رغم أن هذا الأمر يظل موضع جدل واختـلاف • أيـا كـان الأمـر فـإن هـذا التحـرك المزعـوم للشـعوب والقبائل القديمة يفتتح الفصل التـالى مـن التـاريخ اليونـانى بعد فـترة الأساطير الإغريقية التى انتهت بالحرب الطروادية وما أعقبها وهو ما يدركـه ايفـوروس [٢٤] • معنـى ذلـك أن ايفـوروس أراد أن ينـأى بنفسه عن الشـق الـذى تغلـب عليـه الأسـاطير مـن التـاريخ اليونـانى ويتعـامل مـع الفـترة التـى يمكنـه الحصـول علـى معلومـات يمكـن استقصاءها منها ، كما أنه تمتع بمصداقية لأنه لم يبالغ (يفرط) فى مدح أو ذم [٢٥] • ورغم ذلك فلم يسلم من نقـد بوليبيـوس وسـترابون كما أسـلفنا وثـار خـلاف حـول مـدى صحـة مـا زعمـه بأنـه اسـتبعد الجانب الخرافى والأسطورى من تأريخه [٢٦] •

ومع أواخر القرن الرابع وأوائـل القـرن الثـالث ق•م• حوالـى سنة ٣٠٠ ق•م• يظهر الكاتب يوهيميروس الذى انتهج خطاً مخالفـاً تماماً لإيفوروس ، وهو أيضاً من المصادر التى أعتمد عليها ديودور الصقلى فى القرن الأول ق•م• كتـب يوهيمـيروس الميسـينى روايـة فى أدب الرحلات عند الإغريق تُسمى " السجل (اللـوح) المقـدس "

ιερα αναγρφη بقى منهـا بعض المقتطفـات والشـذرات ، وكـان لهذه الرواية تـأثير كبير فـى حينهـا وفـى العصـور القديمـة ٠ وفيهـا يصف يوهيميروس رحلة خيالية إلى جزيرة تُدعى " بانخايا " فى المحيط الهندى ووجد فيها أدلة وقرائن وثائقية تفيد بأن الآلهة التى ورد ذكرها فى الأساطير مثل زيوس وكرونوس وأورانوس كانوا فى واقع الأمر ملوكاً عظاماً حققوا إنجازات باهرة فقام شعبهم بتأليههم امتناناً لما قاموا به وسجلوا إنجازاتهم على أحد الأعمدة٠ وقد عرفت هذه النظرية المتمثلة فى تأليه الملوك القدامى ذوى الإنجازات الضخمة باسم الـ " يوهيميرية " نسبةً إلى صاحبها ٠ إن هذه الفكرة اليوهيميرية كانت وثيقة الصلة بالعالم الهيللينيستى المعاصر للكاتب حيث كان حكام وملوك العالم الهللينيستى أثناء وبعد حكم الإسكندر الأكبر يطلبون أحياناً التأليه من قبل رعاياهم وحيث كان الإلحاد العقلانى جزءاً من النظرة الجديدة للحياة ٠ ولكن الصدمة التى أحدثها النظرة اليوهيميرية تتمثل فى أنها أخضعت حتى أبعد وأقدم الأساطير للتأريخ وبمعنى أنها أضفت عليها صفة التاريخية فأصبح زيوس معها ـ على سبيل المثال ـ رجلاً مثل أخيليوس أو بيركليس تماماً ٠ إن هذا يجب أن ينبهنا إلى درجات الواقعية التى كان بعض الإغريق يمكن أن يستشفوها من الأساطير ٠ هكذا يرى يوهيميروس أن عالم الأساطير يعكس وقائع حقيقية تاريخية موغلة فى القدم ، وأن من صوَّرتهم الأساطير كآلهة هم ملوك عظام قدماء أصبحوا ـ بحكم تعاقب الأزمنة وتشوش الذاكراة ـ

آلهـةً ، وهكـذا وصـل يوهيمـيروس إلـى التاريخانيـة المطلقـة أو "اليوهيمرية " (٢٧) .

ثم نجد بعد ذلك من القرن الثانى ق٠م٠ كاتباً أثينيـاً هـو **أبوللودوروس** الأثينى الذى ازدهر حوالى منتصف ذلك القرن وكتب مبحثاً نثريـاً طويـلاً بعنـوان " عن الآلهـة " ، كمـا كتـب " حوليـات " تغطى تلك الفترة من التاريخ اليونـانى مـن نهايـة الحـرب الطروادية حتى عام ١٤٤ ق٠م٠ تبقى منها شذرات قليلة ٠ ومن أبرز مؤلفاته " المكتبـة Bibliotheké " وهـو دراسـة فـى الأسـاطير البطوليـة للإغريق (٢٨) ٠ هكذا نرى أبوللودورس يتحدث عن الأساطير دون تحفظ ويأخذ هذا النهج الأسطورى ويكتب موسـوعة فـى الأسـاطير هى " المكتبة " ويتحدث " عن الآلهـة " ويـؤرخ للأحداث فـى فترة طويلة فى معالجـة لا تخلـو مـن نزعتـه الأسـطورية المذكـورة علـى الأرجح ٠

أمـا **ديـودوروس** الصقلـى مـن القـرن الأول ق٠م٠ فقد كتـب تاريخاً شاملاً أسماه " المكتبة التاريخية " عـن التـاريخ اليونـانى كتبه خلال فترة التحول العاصف من الجمهوريـة إلـى الإمبراطوريـة فـى الدولة الرومانية (حوالى ٥٠ ـ ٣٠ ق٠م٠) ٠ وقد عول فى مؤلفه بشكل مـتزايد علـى الأسـاطير والـتراث الإغريقـى القديـم وأخـذ عـن سابقيه مثل ايفوروس ويوهيميروس كما أسلفنا وإن كان يميل بصورة واضحة إلى النظرية اليوهيميرية ٠ ومن خلال هـذا الميـل والاقتنـاع

فإنه لا يتردد فى رواية الأساطير كجزء لا يتجزأ من تاريخه ، ولعل العبارة التالية عند ديودور تفصح عن ذلك بوضوح :

> **" فى الواقع فإن عدداً هائلاً من المنجزات الكبرى قد تحقق على يد الأبطال وأنصاف الآلهة وكثيرين غيرهم من البشر الرائعين ، ونظراً للفائدة والمنفعة التى جناها المجتمع من أفعالهم فإن الأجيال اللاحقة أدخلت عبادتهم وقدمت الأضحيات إلى البعض منهم على أنهم آلهة وإلى البعض الآخر كأبطال ، وقد تغنى سجل التاريخ وترنم بهم جميعاً بالمديح اللائق على مر العصور "**
>
> **(Diodorus Siculus, Historical Library 4.1.4) .**

وهكذا فأن ديودوروس ــ مثله مثل معظم الإغريق ــ كان يرى فى أبطال الماضى أشخاصاً حقيقيين وكذلك القصص والروايات المروية عنهم وإن شابها بعض التشوش ، ولما كان ديودوروس من دعاة الأخذ بالأساطير وإضفاء قدر من التاريخية عليها فإنه كان يرى أن ابتعاد ايفوروس عنها وتجنبه لها إنما يرجع إلى صعوبات عملية دفعت ايفوروس إلى ذلك دفعا ، وأهم هذه الصعوبات هى الفجوة الزمنية الكبيرة التى تفصل الكاتب عن زمن الأساطير وهو ما يؤدى إلى عدم إمكانية تحديد التواريخ بدقة واستفزاز القراء ، هذا

بالإضافة إلى صعوبة ترتيب وتنظيم التفاصيل الخاصة بالأبطال وأنصاف الآلهة ، وكذلك عدم وجود إجماع بين الكتاب المتأحين حول أقدم الأعمال العظيمة والأساطير(٢٩) ٠

والآن نعود لرأى اثنين من كبار المفكرين الإغريق من القرن الرابع ق٠م٠ هما أفلاطون وأرسطو حول الأسطورة ودورها فى تقديم المعلومة عن المجتمع القديم ٠ ففى تصور **أفلاطون** للتعليم والمجتمع فى مؤلفه " الجمهورية " نجده يذكر :

" فى البداية فإننا نحكى الأساطير للأطفال ، وهذا كقاعدة عامة فى تقديرى أمر ψευδος (وهى كلمة تعنى " زائف " أو خيالى ") رغم أن فيه قدراً من الحقيقة(٣٠) " (Plato, Republic, 377a)٠

هذا رأى أفلاطون فيما يتصل بمقدار الحقيقة (التاريخية) فى الأسطورة إذ يعتبر أن مقدار الزيف أو الخيال فيها أكبر من مقدار الحقيقة ، فهو إذا يعترف ضمنياً بأنه لا ينبغى رفض الأسطورة تماماً كمصدر تاريخى لأن بها بعض الحقائق ٠ أما من الناحية التربوية ــ وهى خارج إطار هذه المعالجة ــ فإنه كان يرى أن هناك أساطير جيدة وأخرى رديئة وينقل رأى أستاذه سقراط من أنه ينبغى رفض معظم الأساطير السائدة وقتذاك(٣١) (377 c) ، وأن معظم الذنب فى ذلك يقع على عاتق هوميروس وهيسيود لأنهما يسيئان تصوير طبيعة الآلهة والأبطال(٣٢) " (377 d-e) ٠ إن رفض أفلاطون للأساطير يرتكز على منظور تربوى تعليمى باعتبارها تعطى نماذج

غير مقبولة من السلوك ، وقد رفض فى هذا الصدد التفسير الرمزى للأسطورة لأن الصغار الذين تروى لهم الأساطير لا يستطيعون استيعاب ذلك[٣٣] • (378 d)• أما من الناحية التاريخية فإن أفلاطون ـ كما رأينا ـ لا يرفض الأسطورة رفضاً تاماً رغم عدم ثقته بها •

أما إذا انتقلنا إلى **أرسطو** فنجد لديه رأياً عجيباً يخلص فى نهاية تحليله إلى إعلاء قيمة الأسطورة على التاريخ من منظور فلسفى يحتاج إلى تتبع • ففى كتابه " فن الشعر " يقارن أرسطو بين الشعر والتاريخ ويخلص إلى أن " الشعر أكثر حكمة وجدية من التاريخ " • ويفسر ذلك بأن الشعر يميل نحو الحقائق المطلقة بينما التاريخ يقدم لنا وقائع أو حقائق بعينها • وهو يعنى بالمطلق ذلك النوع من الأشياء الذى يؤديه أو يقوله شخص ما وفق قانون الاحتمالية أو الضرورة κατα το εικος η το αναγκαιον وهو مجال اهتمام الشعر • هذا يعنى أن الشاعر يعنى فى المقام الأول بما يمكن أن يقوله أو يفعله إنسان ما ـ حتى وإن أضفى أسماء أشخاص على قصيدته ـ فى موقف ما إما بالضرورة أو على أرجح الاحتمالات ، أما الخاص عند أرسطو فهو أن نذكر مثلاً ما فعله الكيبياديس فى موقف ما أو ماذا وقع له[٣٤]

(Arist. Poet. 1451 b 6-12)

معنى ذلك أن العمل الشعرى ـ حسب رأى أرسطو ـ تنساب الأحداث فيه وفق معيار الاحتمالية أو الضرورة فى نظام وسياق منطقى يجعله مفهوماً ومقبولاً من الناحية العقلانية ، أما التاريخ فهو ـ على النقيض ـ مجال ومملكة الأحداث الخاصة غير المنتظمة وليس بالضرورة أن تتفق أحداثه والمنطق فى ترتيبها. إن ما يحدث فى التاريخ ـ بهذا التصوير ـ يشبه ما يحدث فى قصص الشعراء الخاملين الذين ليس بوسعهم تقديم حبكة متماسكة تؤدى إلى غرض بعينه[٣٥] .

ومن هذا المنظور الأرسطى الذى يعطى الأفضلية للعلوم والآداب التى تعنى بالكليات أكثر من اهتمامها بالجزئيات والخصوصيات ـ ومن هنا جاء تمييزه للشعر والفلسفة على حساب التاريخ ـ تجده يعتبر الفكر الأسطورى أكثر أهمية من التاريخ بنفس المنطق والقياس السابق . فالأسطورة عنده قريبة فى نسيجها الفكرى من الفلسفة لأن الأسطورة ـ كالفلسفة ـ تولد من رحم الإثارة الناجمة عن الدهشة ، ومن هذا المنطلق فالأسطورة ـ فى معالجتها الكلية العمومية ـ عنده أفضل من التاريخ . ومن ذلك فهو يرى أن الأسطورة تقدم تفسيراتها وشروحها للعموميات فى لغة شخصية (بحديثها عن شخوص وأبطال الأسطورة) ، وبهذا تجمع الأسطورة بين النظرة العامة الكلية والخصوصية الجزئية . من هنا فإن الأسطورة تقع فى موقع وسط بين الفلسفة والتاريخ الذى يأتى عند أرسطو فى نهاية هذا الترتيب[٣٦] .

من خلال هذا المسح السابق لتطور نظرة الإغريق القدماء للأسطورة وعلاقتها بالتاريخ والحقيقة يمكن أن نستخلص أنه على الرغم من النقد الذى وجهه بعض المفكرين الإغريق فى فترات متفاوتة للأسطورة ـ لأسباب عديدة عقائدية وتاريخية وتربوية وتعليمية على يد كسينوفانيس وهيكاتيوس وايفوروس وسقراط وأفلاطون على الترتيب ـ إلا أن كثيرين غيرهم أخذوا بالروايات الأسطورية دون غضاضة فى فترات عديدة من التاريخ اليونانى القديم مثل هوميروس وهيسيود وأكوسيلاوس من أرجوس وفيركيديس الأثينى وهيللانكوس من ليسبوس (الثلاثة الأخيرون من أوائل القرن الخامس ق٠م٠) ويوهيميروس الميسينى (أوائل القرن الثالث ق٠م٠) وأبوللودوروس الأثينى (حوالى منتصف القرن الثانى ق٠م٠) وديودور الصقلى (النصف الثانى من القرن الأول ق٠م٠) وكان لبعضهم تفسيراته وشروحه التى تبرر اعتماده على الأساطير واعتقاده بها كما رأينا ٠ وهناك منهم من حاول أن يخرج بالأسطورة من حرفيتها ويضفى عليها تفسيرات عقلانية رمزية مثل ثياجنيس من ريجيوم (أواخر القرن السادس ق٠م٠) وهيكاتيوس الميليتى والفيلسوف الطبيعى أمبيدوكليس ٠

الخلاصة أنه على الرغم من شيوع الفكر العلمى والفلسفى فى بلاد اليونان منذ القرن السادس ق٠م٠ ورغم محاولات بعض المفكرين التصدى لنقاط الضعف الموجودة فى الأساطير ونقدها ومحاولات الحد من نفوذها وانتشارها وتأثيرها على عقلية الإغريق

لم تحدث قطيعة تامة أو نسبية بين العقلية الإغريقية وبين الأساطير التى تشكل جزءاً من التربية المبكرة للإنسان اليونانى منذ طفولته كما يذكر أفلاطون • صحيح أنه كان هناك اقتراب أو ابتعاد نسبى من جانب المفكرين أو المؤرخين الإغريق من الأسطورة ، لكن أبداً لم تحدث قطيعة بين الطرفين • ولعل خير دليل على صدق المقولة السابقة هو أن ثوكيديديس ــ وهو من هو فى الكتابة المنهجية التاريخية الراقية والموضوعية التى يعد هو رائدها ـ لم يقطع صلته تماماً بالأسطورة على الرغم من تأكيده على أن كتابته لا تروق لمحبى الأساطير • لقد تحدث ثوكيديديس عن شخصيات أسطورية ــ مثل هيللين بن ديوكاليون ومينوس ملك كنوسوس فى كريت ــ باعتبارها شخصيات تاريخية ، كما لم يرفض ما ذكره هوميروس عن حرب طروادة وإن حذّر من مبالغاته كشاعر • كما أن أرسطو المعلم الأول والعالم الموسوعى أعطى الأسطورة الأفضلية والأولوية ـ ولو من منظور فلسفى فكرى ـ على التاريخ •

أما عن نظرة العلماء والباحثين فى العصر الحديث إلى علاقة الأسطورة بالتاريخ فإن هناك اتجاهين متعارضين : الأول : يرى أن هناك فوارق كبيرة بين السرد الملحمى (الذى ينطوى على كثير من الأساطير) والسرد التاريخى ويبالغ فى إبراز هذه الفوارق حتى ليجعل التاريخ والأسطورة مجالين منفصلين وغير مرتبطين • ويستند أنصار هذا الرأى على أن الماضى الأسطورى تم تناقله شفهياً ويشير إلى ماضى خرافى بحت لا يبدى أى اهتمام بترتيب

زمنى نسبى أو مطلق ، وأن الأسطورة هى ترقيع لعناصر غير متجانسة وبالتالى لا يمكن استخدامها فى إعادة بناء أحداث تاريخية، وأن الإغريق ميَّزو ا بين العصر الأسطورى والعصر البشرى(٣٧) كما يتضح من فقرة معروفة عند هيرودوت ذكرناها فى حديثه عن مينوس وبوليكراتيس طاغية ساموس (3.122) • لكن هذا الرأى فيه قدر من سوء الفهم وقدر من تبسيط أو بالأحرى تسطيح الأسطورة • فالأسطورة لم تقتصر وظيفتها فى المجتمع اليونانى القديم على مجرد نقل حوادث الماضى بل كان ذلك واحداً من أبعادها ووظائفها • كما أن الإغريق أنفسهم ـ كما رأينا من خلال الدراسة أعلاه ـ كانوا يسلمون ــ فى أغلب الأحيان ــ بأن ثمة أحداث قد وقعت بالفعل فيما تناقلته هذه الأساطير من قصص • كما أنهم يرون أن الأساطير المروية فى الملاحم البطولية تقع فى ماضى محدد جيداً وهو ماضى لم يختلط بـ " عصر الآلهة " بل هو ــ فى نظرهم ــ عصر الأبطال الذى يعد بداية أو مقدمة للتاريخ البشرى (٣٨) • معنى ذلك أن الإغريق لم يكونوا يشعرون شعوراً قوياً بالتعارض أو التناقض بين الأسطورة والتاريخ حسبما يحاول بعض الباحثين تصوير الأمر •

من هنا نرى الأتجاه الثانى الأكثر واقعية ــ فى تقديرنا ــ والذى يجنح إلى إبراز بعض أوجه الشبه بين الأسطورة والتاريخ• فإذا كانت الكتابة التاريخية " تنتقى " الأحداث المروية وتعطيها أفضلية بمقياس مصداقيتها من وجهة نظر المؤرخ ومن هنا يراها ــ

أكثر من غيرها ــ جديرة بأن ينقذها من غياهب النسيان ، فإن الملحمة والأسطورة تقومان بهذا الانتقاء لإنقاذ تراث المجتمع من أن يُطوى ويندثر • وبما أن الأسطورة هى المستودع الذى يحفظ الموروث الشفهى من الأحداث الماضية فهنا يصبح الانتقاء ضرورة وتتجه المفاضلة بوضوح نحو الأحداث التى تُعد فى وقت بعينه الأكثر أهمية والأجدر بالبقاء • ومن جهة أخرى فإن التاريخ يركز على أن تحظى المنجزات العظيمة التى حققها الإنسان فى الماضى بما هى أهل له من شهرة وذيوع τo κλεος ولا تمضى دون إلقاء الضوء عليها • كما يلعب الشاعر والراوى فى الملاحم والأساطير دوراً كبيراً فى إسباغ هذه الشهرة والذيوع على أبطالهم وما يحققونه من منجزات • ولعل مسألة " انتقاء " الأحداث والشخصيات والمنجزات " العظيمة " تبدو جلية كهدف للكتابة التاريخية عند " أبى التاريخ " هيرودوت فى الفقرة الإفتتاحية لمؤلفه عن الحروب الفارسية التى يذكر فيها :

" هذا عرض لما توصل إليه بالبحث والتقصى (وهو ما يعنى ضمنياً انتقاء الأحداث التى يعلم عنها أكثر من غيرها) هيرودوت الهاليكارناسى حتى لا تندثر بين البشر بمرور الوقت ذكريات الماضى وحتى لا تنسى الأعمال العظيمة التى أنجزها الإغريق والبرابرة ، وحتى لا يُنسى على وجه الخصوص سبب شنهما الحرب ضد بعضهما البعض " •

هوامش البحث

(1) Ken Dowden, The Uses of Greek Mythology, Routledge, London and New York, 1992, pp. 4-5

(2) Carlo Brillante, " History and the Historical Interpretation of Myth" , chapter 2 of Part One in (Approaches to Greek Myth), edited by Lowell Edmunds, John Hopkins Univ. Press, 1990, (Ch. pp. 93 - 138), pp. 93-94 .

(3) Hesiod, Theogony 27 - 28 :

ιδμεν ψευδεα πολλα λεγειν ετυροισιν ομοια, ιδμεν δ', ευτ, εθελωμεν, αληθεα γηρωσαωθαι.

يقول هيسيود هنا علـى لسـان الموسـاى (ربـات الشـعر والفنون) :إننا نعرف كيف نقول أكاذيب كثيرة وكأنها الصـدق، كما نعرف ـ متى شئنا ـ أن ننطق بالحقائق ٠

(4) Carlo Brillante, art. cit., p. 96.

(5) Ken Dowden, op. cit., p. 5 ; Fritz Graf, Greek Mythology (translated from German

by Thomas Marier), John Hopkins Univ. Press, 1993, p. 140.

(6) Carlo Brillante, art. cit., pp. 102 - 103 .

(7) K. Dowden , op. cit., p. 39.

(8) Ibid., pp. 40 - 41 .

(9) Carlo Brillante, art. cit., pp. 96-97 .

(10) K. Dowden, op. cit., p. 43; F. Graf, op. cit., pp. 123-24 ; C. Brillante, art. cit., p. 95.

(11) K. Dowden, op. cit., pp. 42, 44.

(12) Michael Grant, Greek and Roman Historians, Information and Misinformation, Routledge, London and New York, 1995, p. 95.

See Also : J. B. Bury, Ancient Greek Historians, 1908, 1958, p. 46 : S. Usher, The Historians of Greece and Rome, 1969, pp. 5 ff. ; Herodotus : 1.5, 3.122.

(13) Herodotus. 1. 5. 3:

Ταυτα μεν νυν Περσαι τε και Φοινικες λεγουσι. εγω δε περι μεν τουτων ουκ ερχομαι ερεων ως ουτω η αλλως κως ταυτα εγενετο, τον δε οιδα αυτος πρωτον υπαρξαντα αδικων εργων εσ τους Ελληνας, τουτον σημηνας .....

(14) Ibid. 3. 122 :

Πολυκρατης γαρ εστι πρωτος των ημεις ιδμεν Ελληνων ος θαλασσοκρατεειν επενοηθη, παρεξ Μινωος τε του Κνωσσιου και ει δη τις αλλος προτερος τουτου ηρξε της θαλασσης . της δε ανθρωπηιης λεγομενης γενεης Πολυκρατης πρωτος, ελπιδας πολλας εχων Ιωνιης τε και νησων αρξειν.

إن بوليكراتيس هو أول إغريقى ـ ممن أعرفهم ـ هدف إلى السيطرة على البحر ، وذلك إذا ما نحينا جانباً مينوس من كنوسوس وغيره ممن قبله ممن كانت لهم سيادة بحرية • إن بوليكراتيس هو الأول ممن يمكن أن يُطلق عليه الجنس البشرى (الذى كانت له سيادة على البحر) وكانت لديه آمال واسعة فى السيادة على أيونيا والجزر •

(15) F. Graf, op. cit., pp. 121 - 122 ; K. dowden, op. cit., pp. 45-46.

(16) Herodotus 2. 145. 4 :

Διονυσω μεν νυν τω εκ Σεμελης της Καδμου λεγομενω γενεσθαι κατα εξακοσια ετεα και χιλια μαλιστα εστι ες εμε, Ηρακλει δε τω Αλκημνης κατα εινακοσια ετεα.

يذكر هيرودوت هنا أن الإله ديونيسوس قد عاش قبل زمنه بألف وستمائة عام وأن هيراكليس سبقه بتسعمائة عام .

(17) Thucydides 1. 3. 2:

προ γαρ των Τρωικων ουδεν φαινεται προτερον κοινη εργασαμενη η Ελλας . δοκει δε μοι, ουδε τουνομα τουτο ξυμπασα πω ειχεν , αλλα τα μεν προ Ελληνος και πανυ ουδε ειναι η επικλησις αυτη, κατα εθνη δε αλλα τε και το Πελασγικον επι πλειστον αφ εαυτων την επωνυμιαν παρεχεσθαι, Ελληνος δε και των παιδων αυτου εν τη Φθιωτιδι ισχυσαντων, και επαγομενων αυτους επ ωφελια ες τας αλλας

πολεις καθ′ εκαστους μεν ηδη τη ομιλια μαλλον καλεισθαι Ελληνας .... κτλ.

(18) Ibid. 1 . 4 :

Μινως γαρ παλαιτατος ων ακοη ισμεν ναυτικον εκτησατο και της νυν Ελληνικης θαλασσης επι πλειστον εκρατησε και των Κυκλαδων νησων ηρξε .... το τε ληστικον ως εικος, καθηρει εκ θαλασσης εφ′ οσον εδυνατο, του τας προσοδους μαλλον ιεναι αυτω.

(19) K Dowden, op. cit., pp. 46 - 47 ; F. Graf, loc. cit.

(20) Thucydides 1. 10 . 1 :

ουκ ακριβει αν τις σημειω χρωμενος απιστοιη μη γενεσθαι τον στολον τοσουτον οσον οι τε ποιηται ειρηκασι και ο λογος κατεχει.

وسيكون من غير الصواب أن نستخدم ذلك (صغر مساحة مدينة موكينى كما ورد فى الإلياذة مقارنةً بزمن ثوكيديديس) كدليل أو قرينة تجعلنا نرفض تصديق أن الحملة

(ضد طراودة) كانت كبيرة بالصورة التى ذكرها الشعراء وتحتفظ بها الحكايات •

1.10.3:

ουκουν απιστειν εικος ... νομιζειν δε την στρατειαν εκεινην μεγιστην μεν γενεσθαι των προ αυτης, λειπομενην δε των νυν, τη Ομηρου αυ ποιησει ει τι χρη κανταυθα πιστευειν ην εικος επι το μειζον μεν ποιητην οντα κοσμησαι, ομως δε φαινεται και ουτως ενδεεστερα.

لذلك فالسبيل الأمثل هو عدم فقدان الثقة •••••••••• بل أن نصدق أن الحملة كانت أكبر من أى حملة سبقتها ، رغم كونها أقل من نظيراتها فى الوقت الحالى• وإذا ما كان لنا أن نصدق شعر هوميروس — الذى يميل إلى المبالغة والمحسنات بصفته شاعراً — فمن الواضح أن الحملة كانت محدودة نسبياً •

(21) J. B. Bury, op. cit., p. 81 ; H. E. Barnes, The History of Historical Writing, 1962 (reprint), p. 30 apud M. Grant, op. cit., p. 26 (n. 17).

(22) Ibid., p. 95.

(23) Diodorus Siculus 4.1.3. :

Εφοροσ μεν γαρ ο Κυμαιος , Ισοκρατους ων μαθητης, υποστησαμενος γραφειν τας κοινας πραξεις , τας μεν παλαιας μυθολογιας υπερεβη, τα δ'απο της Ηρακλειδων καθοδου πραχθεντα συνταξαμενος ταυτην αρχην εποιησατο της ιστοριας .

(24) K. Dowden, op. cit., p. 49

(25) Nepos, Pelopidas I apud M. Grant, op. cit., p. 190

(26) A. Momigliano, " History and Biography" pp. 155 - 184 apud M. I. Finley (editor), Legacy of Greece, A New Apprisal, 1988 (reprint), pp. 167 - 68.

(27) M. C. Howatson, The Oxford Companion to Classical Literature, Oxford Univ. Press, 1989. under Euhemerus ; K. Dowden, op. cit., p. 50.

(28) M. C. Howatson, op. cit., under : Apollodorus .

(29) K. Dowden, op. cit., pp. 49 - 50 .

(30) Plato, Republic, 377 a

Ου μανθανεις , ην δ'εγω, οτι πρωτον τοις παιδιοις μυθους λεγομεεν, τουτο δε που ως το ολον ειπειν ψευδος , ενι δε και αληθη;

(31) Ibid . 377 c :

πρωτον δη ημειν, ως εοικεν , επιστατητεον τοις μυθοποιοις , και ον μεν αν καλον ποιησωσιν, εγκριτεον , ον δ'αν μη, αποκριτεον .... ων δε νυν λεγουσι τους πολλους εκβλητεον.

علينا أن نبدأ ـ فيما يبدو ـ برقابة على رواة ومؤلفى الأساطير وإجازة ما يحسنونه ورفض ما قد يكون سيئاً لديهم ٠٠٠٠ لكن كثيراً مما يرونه الآن ينبغى أن نرفضه وننبذه ٠

(32) Ibid. 377 d - e :

Ους Ησιοδος τε, ειπον, και Ομηρος ημιν ελεγετην και οι αλλοι ποιηται. ουτοι γαρ που μυθους τους ανθρωποις ψευδεις

συντιθεντες ελεγον τε και λεγουσιν ....
κτλ.

ذلك ما رواه هيسيود وهوميروس وبقية الشعراء ٠ لقد ألّف هؤلاء قصصاً خيالية (زائفة) وحكوها ولا زالوا يروونها للناس ٠

(33) Ibid. 378 d :

.... ο γαρ νεος ουχ οιος τε κρινειν ο τι τε υπονοια και ο μη, αλλ' α αν τηλικουτος ων λαβη εν ταις δοξαις δυσεκνιπτα τε και αμεταστατα φιλει γιγνεσθαι .

٠٠٠٠٠٠ لأنه ليس بوسع الصغير أن يميز بين ما هو مجازى وما هو غير مجازى بل أن ما يدخل ذهنه من أفكار فى تلك السن يكون غير قابل للمحو أو التعديل ٠

(34) Aristotle, Poetics, 1451, b 5 - 11 :

διο και φιλοσοφωτερον και σπουδαιοτερον ποιησις ιστοριας εστιν . η μεν γαρ ποιησις μαλλον τα καθολου, η δ' ιστορια τα καθ εκαστον λεγει . εστιν δε καθολου μεν, τω ποιω τα ποια αττα συμβαινει λεγειν η

κατα το εικος η το αναγκαιον, ου στοχαξεται η ποιησις ονοματα επιτιθεμενη, το δε καθ' εκαστον, τι 'Αλκιβιαδης επραξεν η τι επαθεν.

(35) C. Brillante, art. cit., p. 105 ; Aritstotle, op. cit., 1959 a 21 - 24 :

μη ομοιας ιστοριας ..... εν αις αναγκη ουχι μιας πραξεως ποιεισθαι δηλωσιν αλλ' ενος χρονου, οσα εν τουτω συνεβη περι ενα η πλειους , ων εκαστον ωσ ετυχεν εχει προς αλληλα .

فالحال فيها (التراجيديا) ليس كحال التاريخ الذى يستلزم عرضاً لما حدث ليس لواقعة واحدة بل لفترة زمنية واحدة بكل ما وقع فيها (خلالها) لشخص أو أكثر من أحداث وما قد يكون لكل منها من علاقة عارضة بغيره ٠

(36) C. Brillante, loc. cit., ; Aristotle, Metaphysics, I . 982 b. 18 - 20 :

ο δ' απορων και θαυμαζων οιεται αγνοειν (διο και ο φιλομυθος φιλοσοφος πως

εστιν . ο γαρ μυθος συγκειται εκ θαυμασιων) .

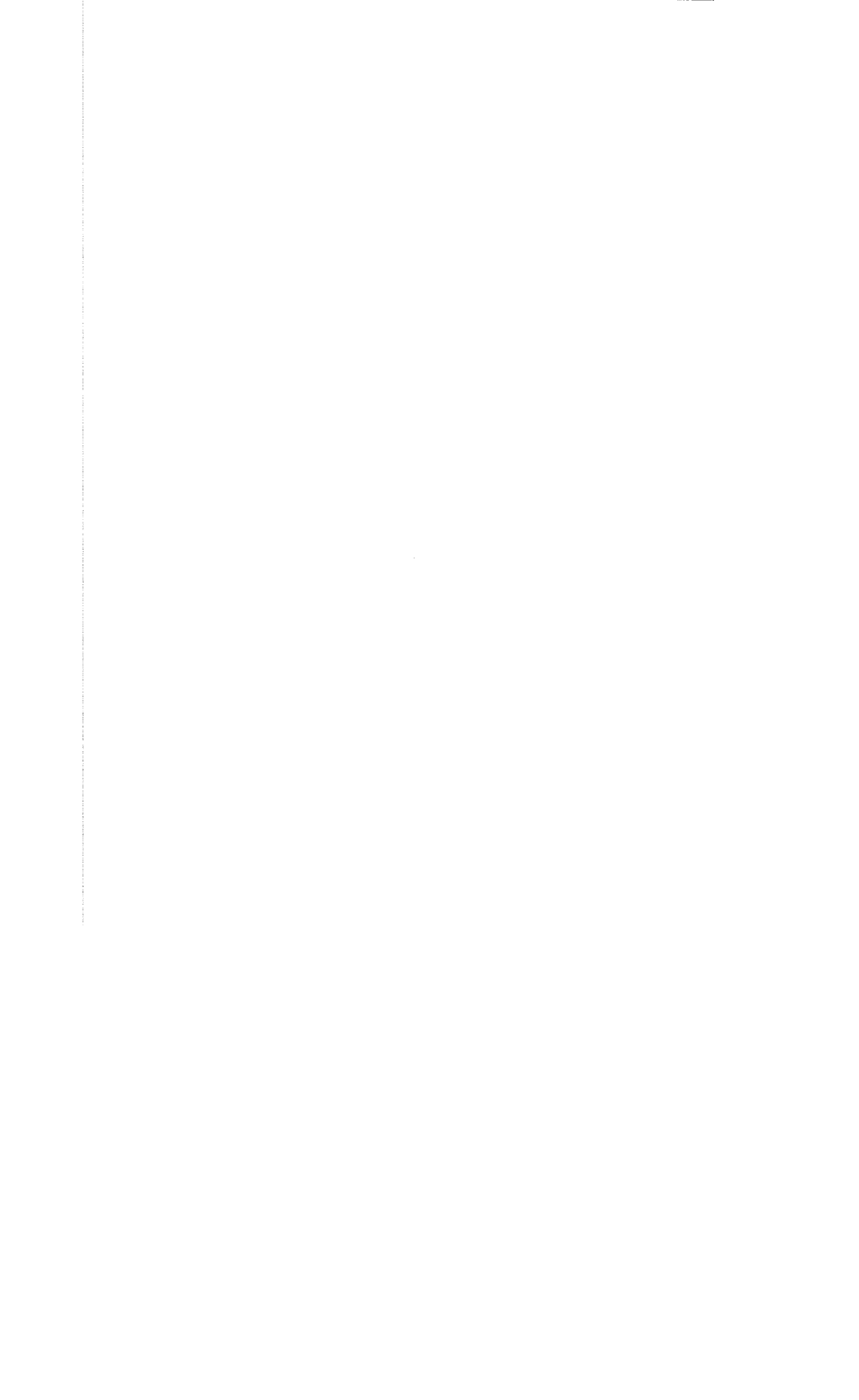
إن مـن يندهـش ويشـعر بـالحيرة هـو مـن يعتقد بجهلـه (وهكـذا فـإن محـب الأسـاطير هـو فيلسـوف بدرجـة مـا لأن الأسطورة تتخلق من المدهش والعجيب) ٠

(37) M. I. Finley, " Myth, Memory and History" H&T 4, 1965 , pp. 281 - 302 (A slightly amplified version appears in 1975 in : The Use and Abuse of History , pp. 11 - 33) , pp. 15 - 16 ; F. Hampel, "Die Ilias ist kein Geschichtsbuch" in Serta Philologica Aenipontana I Inssbruck, 1962 (An amplified version appears in Geschichte als Kritische Wissenschaft II : Darmastadt, 51 - 99); Prinz Friedrich, Grundungsmythen und Sagenchronologie ("Zetemata" , 72) Munich, 1979.

(38) C. Brillante, art. cit., pp. 101 - 102 .

الفصل الثانى

علاقات الإغريق بجيرانهم
من خلال
دلالات ومضامين الأساطير
الإغريقية



علاقات الإغريق بجيرانهم

من خلال دلالات ومضامين الأساطير الإغريقية

المقدمـــة

رأينا فى المبحث السابق " تطور نظرة الإغريق إلى علاقة الأسطورة بالتاريخ " كيف ظلت الأسطورة حاضرة ومؤثرة ــ بصورة أو بأخرى ـ فى كثير من الكتابات التاريخية اليونانية من القرن السادس حتى القرن الأول ق٠م٠ وما بعده رغم المحاولات العقلانية التى سعت إلى نقد الأسطورة وإبراز عيوبها ومحاولة تحجيم دورها فى الفكر اليونانى من منطلقات عقائدية وتاريخية وتربوية ٠ كما رأينا كم كان للأسطورة من تغلغل فى تكوين الشخصية اليونانية منذ الطفولة حتى أن مؤرخاً عقلانياً كثيراً بحجم توكيديديس لا يجد غضاضة فى الأخذ ببعض ما جاء فى التراث والملاحم عن شخصيات مثل مينوس وهيللين بن ديوكاليون وشخصيات هوميروس وإن تحفظ على مبالغات هوميروس ٠ هذا يعنى أن أمثال هذه الأساطير ذات البعد أو المنظور التاريخى خصوصاً (أى البعيدة عن الآلهة والعقيدة) كانت تتمتع بدرجة أكبر من المصداقية حتى عند المؤرخين البارزين ٠

وينبغى أن ندرك أن الأسطورة لم تقتصر وظيفتها فى المجتمع اليونانى القديم على مجرد نقل حوادث الماضى وإنما كان ذلك بعداً واحداً فقط من أبعادها ووظائفها العديدة ٠ لقد كان من بين هذه الوظائف مثلاً تصوير نظرة الإغريق للكون والوجود والعقيدة والأخلاق فى عالمهم ٠ والوظيفة أو البعد الذى يعنينا فى هذا المقام هو كيف كانت نظرة الإغريق إلى العلاقات فيما بينهم والعلاقات بينهم وبين جيرانهم فى حوض البحر المتوسط والأسود فى الأزمنة القديمة من خلال أساطيرهم ٠ ولكن ما نود التنويه إليه هنا أن الأسطورة ـ فى هذا الإطار ـ لم تكون دوماً ثابتة على أقدم صورة لها بل كانت فى أحيان كثيرة عرضة للتعديل والإضافة والحذف على مر العصور القديمة ٠ إن الهدف من هذه التعديلات أو الإضافات اللاحقة على جسم الأسطورة الأصلية ـ فيما يبدو ـ هو جعل هذه الأساطير وعاء يتسع لإضافة المستجدات على هذه العلاقة بحيث تدخل فى نسيج الأسطورة القديمة ـ المحدودة ـ كما لو كانت جزءاً أصيلاً منها ٠ وفى هذا دعاية وترويج للمنظور والتصور الإغريقى لهذه العلاقات القديمة بين الإغريق وجيرانهم من ناحية ، وإضفاء عراقة مزعومة ـ فى بعض الأحيان ـ على بعض جوانب هذه العلاقات بحيث تعطى ريادة أو امتيازاً للإغريق على من سواهم، وبالتالى يكرّس نظرية عاشت طويلاً فى أذهان الإغريق ألا وهى تفوقهم على من سواهم من " البرابرة " ٠ إن كل ذلك يتم من خلال حرَفية وبراعة فى نسج الأساطير وإضافة ما يلائم تصوراتهم

الذهنية إليها فـى رموز وإشـارات ودلالات فـى نسيج كـل أسـطورة لترسيخ هذه المفاهيم الإغريقية فى ذهن المتلقى ٠

ولنتناول الآن بعضـاً مـن هـذه الأسـاطير ذات البعـد التـاريخى ونحـاول استخلاص مـا فيهـا مـن دلالات ورمـوز أراد مؤلفوهـا أن يوصلوها إلى أذهان المتلقين لهذه الأساطير ٠

(١) أسطورة إيـــو

ملخص القصة ومصادرها :

" إيـو " فى الأساطير الإغريقية هى ابنة أو من نسل ايناخوس اول ملـك أسـطورى لمدينـة أرجـوس فـى بـلاد اليونـان ٠ وقـد وقـع زيوس كبير آلهة الإغريق فى غرامها ، ومن بعدها أصبحت تعـانى من أحلام مفزعة مما دفع ايناخوس إلى استشارة وحى الآلهة بشـأنها فنصحوه بإبعادهـا عـن منزلـه ففعـل ٠ وقـد ضبطـت هيـرا زوجهـا زيوس متلبساً وهو يحتضن الفتاة ، فحولّها زيـوس إلـى بقـرة بيضـاء وأقسم لزوجته هيرا أنـه لـم يضـاجع إيـــو مـن قبـل ٠ وكلفـت هيـرا الراعى أرجوس الذى كانت له عيون فى كافة أجزاء جسـده بمراقبـة إيـو فى صورتها الجديدة طيلة الوقت (حتـى لا يتمكـن زيـوس مـن مضاجعتها حين يحول نفسه إلى هيئة ثور) كما أرسـلت إليهـا ذبابـة القطعان كى تلدغها فى كل حين حتى لا تستريح أبداً وبالتالى لا تتاح لزيوس أية فرصة لممارسة الحب معها ٠ وللتخلـص مـن مضايقـات

الحارس أرجوس أرسل زيوس هيرميس رسول الآلهة للتخلص منــه، ولكن ظل شبحه يسكن إيـو علـى الـدوام كمـا ظلـت ذبابـة القطعـان تنغّص عليها عيشها وتجبرها على الترحال من مكـان لآخـر ٠ وفـي سياق ترحالها مرت بذلك الجزء من البحر الادرياتيكى غرب اليونان والـذى سـمى بــ " البحـر الأيونـي " نسبةً إليهـا ، كمـا سـمى مضيـق "البسفور" (البوسفوروس) (أو مخاض القرة) بمناسبة ذكرى عبـور البقرة (إيـو) له فى تجوالها ٠ وفى أثناء مرورها بــ " بروميثيـوس" وهـو مصفد بـالأغلال فـى صخـرة فـى جبـال القوقـاز شـمال البحـر الأسود تنبأ بروميثيوس لها بما سيحدث لها ٠ وأخيراً وصلت " إيــو" إلى مصر حيـث حوّلهـا زيـوس إلـى صورتهـا البشـرية ومسّـها بيـده فأنجب منها ابنـاً هـو ايبـافوس (المولـود بـاللمس) ٠ وطبقـاً لإحـدى الروايات فإنها عُبدت هناك على أنها الإلهة إيزيس (ويمثل ايبــافوس على أنه العجل أبيس) ٠ ثم ترد " ليبيـا " فـى الأسـطورة علـى أنهـا ابنـة ايبـافوس وتنجـب (مـن بوسـيدون ، حسـب روايـات متــأخرة) بيلوس الذى ينجب بــدوره ولديـن همـا ايجبتـوس ودانـاءوس وينجـب الأول خمسين ولداً والثانى خمسين بنتاً وتحدث القصة المعروفـة فـى مسرحية " الضارعات " لأيسخيلوس من تعقب أبناء ايجبتـوس لبنـات عمهم فى أرجوس للزواج منهم ٠

إن المصادر الأدبية التـى وردت بهـا التفـاصيل المختلفـة لهـذه الأسطورة هى مسرحية ايسخيلوس " الضارعات " وكذلـك مسـرحيته "بروميثيوس فى الأغلال" من القرن الخامس ق٠م٠ ، وكذلك قصيـدة

ديثورامبية كاملة من قصائد باخيليديس (المقطوعة التاسعة عشرة)٠ كما ترد قصة " إيو " كذلك عند ابوللودوروس من القرن الثانى ق٠م٠ فى مؤلفه " المكتبة " الذى يتناول الأساطير البطولية للإغريق٠ ولكن أبوللودوروس يزيد فى هذه القصة أن ليبيا لم تنجب " بيلوس" فقط بل أنجبت كذلك أخاه " أجينور " الذى تزوج من ابنة أخيه بيلوس المدعوة " دامنو " والتى أنجبت له ولداً هو " فوينيكس " حسبما ورد فى رواية أخرى ٠

مصادر الأسطورة

(حسب ترتيب ذكر إيو فى المصادر القديمة)

- Aeschylus ; Prometheus Bound 705 ff and Suppliants 457 ff.
- Heroddotus : I : 1 and II . 41.
- Euripides : Ephigenia Among the Taurians 382.
- Apollodorus : II 1. 3 .
- Hyginus : Fabula 145 .
- Strabo : X . 1 . 3 .
- Suba : sub Io and sub Isis.
- J. Malalas : Chronicles II. p. 28, ed . Dindorff.
- Tzetzes : On Lycophron 835 ff .

دلالات الأسطورة :

إن ما يعنينا هنا هو الدلالة التاريخية للأسطورة حول علاقة الإغريق بمصر ٠ ماذا يعنى مجئ إيو إلى مصر وتتبع زيوس لها وإنجابها منه باللمس والصراع بين نسلها المتمثل فى محاولة أبناء ايجبتوس الزواج عنوة من بنات عمهم داناؤس وتعقبهم حتى بلاد اليونان ؟

هل يشير ذلك إلى علاقة مبكرة نشأت بين الإغريق والمصريين منذ وقت مبكر فى التاريخ اليونانى ؟ إن الحضارات اليونانية المبكرة مثل الحضارة المينوية فى كريت والحضارة الموكينية فى موكينى ووسط وجنوب اليونان خلال الألف الثانى ق٠م٠ فى عصر البرونز فى البلاد اليونان كانت تربطها بمصر علاقات تجارية وحضارية وثيقة ٠ ولعل خير دليل على قوة وكثافة تلك العلاقات العدد الهائل من الآثار المصرية الذى عُثر عليه فى بلاد اليونان من الألف الثانى ق٠م٠ ، وكذلك فإن الكتابات الكريتية المبكرة التى ترجع إلى أوائل الألف الثانى ق٠م٠ كانت كتابة هيروغليفية شبيهة بالكتابة الهيروغليفية المصرية من حيث اعتمادها على الصور والرسوم فى التعبير عن الحروف مما يدل على تأثرها بالثقافة المصرية من خلال الوجود المكثف للتجار المصريين فى كريت ٠ معنى ذلك أن اتصال الإغريق بمصر لم يتجاوز بدايات الألف الثانى ق٠م٠ ـ حيث لم تنشأ حياة حضارية منتظمة فى بلاد

اليونـان قبـل ذلـك ــ فـى حين أن مصـر عرفـت الحياة الحضاريـة المستقرة منذ الألف الخامس ق٠م٠ وتوحدت فى مملكة واحـدة علـى يد مينا (نارمر) مؤسس الأسرة الأولى الفرعونية فى أواخر الألف الرابع ق٠م٠

وحتى ذلك الاتصال الوثيق بين الطرفين الألـف الثـانى ق٠م٠ كانت الكلمـة العليا فيـه للمصريين بمعنـى أن المصريين كـانوا هـم الأكثر ذهاباً إلى كريت وبلاد اليونان بدليل القرائن المذكورة أعلاه ٠ أما مجئ الإغريق إلى مصر من تلك الفترة المبكرة فقرائنـه محـدودة ويكتنفها الغموض ولعل أبرزها لوحـة " الكفيتـو " مـن عصـر الدولـة الحديثة والملك تحتمس الثالث التى يرجـح بعـض العلمـاء أنهـا تعنـى أهل كريت ٠ وفى قصة " سقوط طروادة " على يد الحملة الإغريقيـة المتحدة التى تزعمها " أجـاممنون " ملـك موكينـى فـى أواخـر القـرن الثالث عشر ق٠م٠ لاسترداد " هيلين " زوجة الملك مينيلاوس ملـك أسـبرطة التـى أغواهـا الأمير الطـروادى بـاريس وهـرب بهــا إلــى طروادة ــ وهى آخر جهد مشترك للإغريق تحت زعامة موكينـى ــ نجد روايةً أخرى متأخرة عـن " هيليـن " مـن القـرن السـادس ق٠م٠ بدءاً من الشاعر ستيسيخوروس ٠ هذه الرواية ـــ التـى وردت كذلـك فى مسرحية "هيلين" للشـاعر يوربيديـس مـن أواخـر القـرن الخـامس ق٠م٠ ــ تذكر أن "هيلين " الحقيقية لم تذهب مع باريس الى طـروادة بل أن زيوس جعـل هـيرميس يحملها إلـى مصـر لتكـون فـى حمايـة ملكها برويتوس أما من ذهب إلى طروادة مع باريس فهـو شـبحها أو

طيفها ، وأن مينيلاوس قد ذهب إلى مصـــر بعـد نهايـة الحـرب الطروادية واصطحب زوجته الحقيقيـة ــ بعد اختفاء طيفها ــ بعد مغامرة محفوفة بالمخاطر ضد ملكها ابن بروتيوس الذى كـان يطمـع فيها لنفسه ٠

معنـى ذلـك كلـه أن منطـق الأحـداث والعلاقـات المصريـة اليونانية خلال الألف الثانى ق٠م٠ لا يوحى بارتباط بين قصة "إيـو" الأسطورية وأيـة قرائـن تاريخيـة مـن تلـك الفـترة ، بـل الأرجـح أن دلالات الأسطورة تشير إلى عصر لاحق ٠ ورغم مخالفة الأسطورة لتلك الوقائع والقرائن التاريخية زمنياً فربما كان مجئ إيـو إلى مصر معبراً عن أقدم مرحلة من مراحل العلاقات التجارية والحضارية بين اليونان ومصر ، وربما عـبّر فـى الوقت ذاتـه فـى الأسطورة وبقيـة تداعياتها عن استقرار بعض الإغريق بمصر ، بمعنى أن الأسـطورة أغفلت عنصر الزمن وركزت على المضامين التاريخية والحضاريـة لهذه العلاقة المتشابكة المتواصلة منذ أمد بعيد ٠

إن أول " استقرار " للإغريق فى مصر يبدأ فى أواخـر القـرن السابع ق٠م٠ حين سمح الملك " بسماتيك الأول " من ملـوك الأسـرة السادسـة والعشـرين الفرعونيـة بإقامـة مسـتوطنة تجاريـة لهـم فـى "نقراطيس" شمال غرب الدلتا المصرية حوالـى عـام ٦٢٠ ق٠م بعد أن سانده المرتزقة الإغريق فى طرد الأشوريين من مصر ٠ وبـدأت التجارة الإغريقية مع مصر تعاود ازدهارهـا مـن خـلال هذا المرفأ

على الفرع الكانوبى للنيل الذى كان يبعد عن البحر مسافة خمسين كيلومتراً تقريباً وتوافد عليها إغريق المدن اليونانية لا سيما من ساحل آسيا الصغرى ـ خصوصاً ميليتوس ـ واستقروا بها وبالتالى أصبحت نقراطيس فى عهد الفرعون أمازيس (٥٧٠ ـ ٥٢٥ ق٠م) الميناء الرئيسى لمصر وبلغت درجة عالية من الأهمية التجارية بحيث أصبحت تجارتها تنظمها القواعد التجارية الملكية وأصبح الوجود الإغريقى فى مصر مرتكزاً فى نقراطيس ٠ وظلت نقراطيس ـ تلك المستوطنة الإغريقية فى مصر ـ تتبوأ وضع الميناء الرئيسى فى مصر حتى أقيمت الإسكندرية على يد الإسكندر الأكبر سنة ٣٣٢ ق٠م٠

الأرجح أن دلالة أسطورة " إيو" التى نسجها الخيال الإغريقى ترتبط أكثر بفترة الاستيطان الإغريقى هذه فى مصر خلال القرنين السابع والسادس ق٠م٠ وأن " إيو" ربما ترمز إلى كل الإغريق الذين استقر بهم الحال فى مصر بعد طواف طويل فى مناطق عدة أما ذبابة القطعان التى تطاردها فى كل مكان فترمز إلى الفقر وسوء الظروف الاقتصادية فى بلاد اليونان التى دفعت بالكثيرين إلى ترك أوطانهم والبحث عن أرزاقهم ـ كجند مرتزقة أو تجار ـ فى مناطق أخرى ٠ أما عن اتصال زيوس بإيو فى مصر فيرمز إلى ارتباط الإغريق فى مصر بعقيدتهم اليونانية ورمزها زيوس رغم بعدهم عن الوطن ، ولذلك فالاتصال كان غير مباشر بين هؤلاء المهاجرين أو المستوطنين الإغريق فى مصر وعقائدهم ومعبوداتهم فى بلاد

اليونان لكنه لم ينقطع وهو ما يرمز إليه إنجاب إيـو من زيوس عن طريق اللمس • معنى ذلك أن حيـاة الإغريـق استمرت فـى المهجـر بعيداً عن الوطن وتواصلت بمباركة آلهتهم ورعـايتهم لهـم مـن علـى البعد حسب اعتقاداتهم •

أما الصـــراع بيـن أبنـــاء ايجبتــوس وبنـــات دانـــاءووس فـــى الأسطورة فربما كان من الممكن الإشارة إلى دلالته فى أحداث القرن السادس ق٠م٠ بين مصر وبعض المدن اليونانيـة • إن هـيرودوت يخبرنـا بوجـود تحـالف بيـن أمـازيس ملـك مصـر (٥٧٠ ـــ ٥٢٦ ق٠م٠) وبوليكراتيـس طاغيـة جزيـرة سـاموس قـــرب سـاحل آسـيا الصغـرى فـى حوالـى منتصـف القـرن السـادس ق٠م٠ لمواجهـة أى عدوان مـــن قبـل الفـرس (كـان بوليكراتيـس مشـهوراً بقـوة أسـطوله البحرى بين المدن اليونانية) • ويروى هـيرودوت قصـة مفادهـا أن أمازيس ربما شعر بـالغيرة والحسد تجـاه بوليكراتيـس ففـض تحالفـه معه، ولكن الأرجح أن بوليكراتيس هو الذى فضّ تحالفه مع أمازيس وانضم للفرس بقيادة قمبيز فى هجومهم علـى مصـر التـى أصبحـت ولاية فارسية عام ٥٢٥ ق٠م٠ تحت حكم قمبيز •

فى هذا الموقف الأخير وهو هجوم الفرس علـى مصـر بقيـادة قمبيز بن قورش ومساندة بوليكراتيس طـاغية سـاموس لهـم لابـد أنـه وقع اشتباك بين إغريق مصر من مرتزقـة الملـك أمـازيس وإغريـق بلاد اليونان من أهـل سـاموس • هـذا الصـراع بيـن الإغريـق علـى

الجانبين ربما كان يرمز إليه فى الأسطورة صراع أبناء ايجيبتوس (إغريق مصر) ضد بنات داناءووس (إغريق بلاد اليونان الأصلية وآسيا الصغرى الذين يُشار إليهم فى المصادر اليونانية المبكرة بـ "الدانائيين ") حتى وإن كان مسرح الصراع الحقيقى فى مصر وليس فى بلاد اليونان كما أوردت الأسطورة ٠ ولعل الخيال الإغريقى الذى ابتدع الإسطورة فى تلك الآونة قد استفاد من ذكر المصريين " Αιγυπτιοι " ومصر "Αιγυπτος" ، وكذلك "الدانائيين " (إحدى المسميات التى تشير إلى اليونانيين Δαναοι فى إلياذة هوميروس) فابتدع شخصيتىّ " أيجيبتوس " و " داناءووس" وابتدع صلة القرابة بينهما فى إشارة إلى العلاقات القديمة بينهما وإن أضفى على الإغريق فضل السبق فى هذه العلاقة ، وهذا طبيعى فى أسطورة إغريقية من وحى الخيال الإغريقى الذى يجنح إلى نسبة الريادة والمبادرة للإغريق ٠

(٢) أسطورة يوروبا وكادموس

ملخص الأسطورة :

رأينا فى أسطورة " إيو " أن ايبافوس ابن إيو الذى أنجبته باللمس من زيوس وهى فى مصر قد أنجب بدوره إبنة هى " ليبيا" التى أنجبت من بوسيدون ولدين هما بيلوس (والد ايجبتوس ودانا‌عووس) وأجينور ٠ غادر أجينور مصر ليستقر فى أرض كنعان حيث تزوج من " تيليفاسا " ـ واسمها كذلك أرجيوبى ـ التى أنجبت له خمسة أبناء هم كادموس وكيلكس وثاسوس وفينيوس وفوينيكس وابنة واحدة هى يوروبا ٠

وقع زيوس ـ كبير آلهة الإغريق ـ فى غرام يوروبا فبعث بهرميس ـ رسول الآلهة ـ لكى يدفع ماشية أجينور إلى شاطئ البحر فى " صور " حيث كانت يوروبا ورفيقاتها قد اعتدن السير هناك ٠ ولحق زيوس بقطيع ماشية أجينور وهو متنكر فى هيئة ثور ناصع البياض ذى لغدين كبيرين وقرون دقيقة تشبه الجواهر بينهما خط أسود ٠ وحين وقعت عينا يوروبا على الثور الأبيض أُخِذت بجماله وانبهرت برقته كالحمل الوديع فلم تجفل منه وبدأت تداعبه وتضع الزهور فى فمه وتضع أكاليل الزهر حول قرنيه ثم امتطته فى نهاية الأمر وتركته يدلف بها ويمشى الهوينا نحو حافة البحر ٠ وفجأة بدأ يسبح بعيداً بينما كانت هى تنظر فى فزع إلى الشاطئ الذى انحسر

وكـانت إحـدى يديهـا قابضـة علـى قرنـه الأيمـن والأخـرى لا تـزال ممسكة بسلة زهور ٠

واقترب زيـوس (فـى هيئـة الثـور) مـن جزيـرة كريـت وبـدأ يخوض فى الميـاه الضحلـة قـرب مدينـة " جورتينـا " الكريتيـة (فـى الجنوب الأوسط من كريت) حيث تحوّل إلى نسر واقـع يوروبـا فـى أجمة مـن الصفصـاف قـرب نبـع مـاء ، أو فـى روايـة أخـرى تحت شجرة دلب دائمة الأخضرار ٠ وقد أنجبت يوروبا من زيـوس ثلاثـة أبناء هم مينوس ورادامانثيس وساربيدون ٠

وعلى أثر اختفاء يوروبا أرسل أجينور أولاده بحثاً عن أختهم وشدّد عليهم ألا يعودوا من غيرها فأبحروا على الفور ، ولكن لما لـم يكن لديهم فكرة عن مكان ذهاب الثور فقد اتجه كل منهـم فـى سـبيل مختلف عن الآخرين ٠ فقد سلك فوينكس طريق الغرب وسافر إلـى ما وراء ليبيا إلى منطقة قرطاجة وما وراءها وأعطى اسمه للمنـاطق والسكان الفينيقيين (البونيقيين) هناك ، ولكـن نظـراً لأنـه عـاد إلـى أرض كنعان بعد وفاة أجينور سميت هذه المنطقـة مـن أرض كنعـان "فينيقيـا" نسـبةً إليـه ، وأصبـح ابـاً لأدونيـس وألفيسـيبويا ٠ وتوجـه "كليكس" إلى أرض الـ " هيباخيين " التى تسـمّت باسـمه "كيليكيـا" فـى جنوب آسيا الصغرى فى حين ذهـب " فينيـوس " إلـى " ثينيـا " وهـى شبه جزيرة تفصل بحر مرمرة عن البحر الأسود (خرسونيس طراقيا على الخريطة المرفقة بكتاب روبرت جريفز) حيث أزعجته بعد ذلك

الكائنات الخرافية الخطافة على شكل نصف امرأة ونصف طير •
أما ثاسوس ورفاقه فقد اتجهوا أولاً إلى أولمبيا ثم انطلقوا بعد ذلك لاستيطان جزيرة " ثاسوس " شمال بحر إيجة وتشغيل مناجم الذهب فيها •

وأما كادموس وأمه " تيليفاسا " فاتجها إلى رودس حيث نذرا لأثينا ليندوس مرجلاً من البرونز وأقاما معبداً لبوسيدون ثم مرّا مروراً عابراً بجزيرة ثيرا ، وفى الطريق ماتت أمه تيليفاسا ، وتوجه كادموس ورفاقه على الأقدام إلى وحى ديلفى • وحين سأل كادموس كهنة ديلفى عن مكان يوروبا نصحته الكاهنة بأن يكف عن البحث عنها وأن يتعقب بقرة ويبنى مدينة حيثما حطت هذه البقرة من فرط الإرهاق •

وغادر كادموس مكان الوحى من ديلفى إلى فوكيس وفى طريقه شاهد قطيعاً من الأبقار فى خدمة الملك بيلاجون الذى باعه بقرة على كل جانب من جانبيها شكل بدر ابيض فى تمامه • وقاد كادموس البقرة نحو الشرق إلى إقليم بؤوتيا ولم يدعها تسترح أبداً إلا حين خرت أخيراً من التعب وحطت رحالها حيث توجد مدينة "طيبة" بعد ذلك وهى التى أقامها كادموس حول المكان الذى حطت فيه البقرة •

وأوصى كادموس رفاقه بأنه لابد من تقديم البقرة قرباناً لأثينا دون إبطاء وبعث بهم لإحضار ماء صاف من نبع آريس دون أن

يدرى أنه كان يحرس هـذا النبـع ثعبـان ضـخـم ٠ هـذا الثعبـان أهلـك معظم رجال كادموس فانتقم الأخير منه بـأن هشـم رأسـه بصـخـرة ٠ ومـا إن قـدّم كـادموس الأضحيـة إلـى أثينـا حتـى ظهـرت لـه أثينـا وامتدحته على ما قام به وأمرته أن يبذر أسنان الثعبان فـى التربـة ٠ وحين أطاع كادموس أوامرها نبت من التربة رجال مسلحون قعقعـوا مع بعضهم البعض بالأسلحة ، وقـذف كـادموس بحجـر بينهـم فبـدأوا بالاشتباك والتشاجر وكل منهم يتهـم الآخـر بأنـه الـذى ألقـى بـالحجر وتحـاربوا بضـراوة بالغـة حتـى لـم يتبـق منهـم سـوى خمسـة رجـال عرضـوا جميعـاً تقديـم خدمـاتهم لكـادموس ٠ ولكـن آريـس طـالب بالانتقام لقتل الثعبان الذى كان يحرس نبعه وحكمـت محكمـة مقدسـة على كادموس ليصبح عبداً لمدة عام طويل ٠

مصادر الأسطورة :

- Herodotus : I. 1 ; II . 44 ; IV. 47; and VII . 91.
- Apollonius Rhodius : Argonautica II. 178.
- Apollodorus : III. 1 ; 4. 1 - 2 and ; 14. 4.
- Hyginus : Fabula 19 and 178 .
- Ovid : Metamorphoses II 836 ff.
- Pausanias : V. 25. 7 and IX. 12. 1- 2.

دلالات الأسطورة :

تشير هذه الأسطورة إلى الاتصال المبكر بين بلاد الإغريق والساحل الكنعانى وإن كان هذا الاتصال قد تم فى مرحلة لاحقة من اتصال الإغريق بمصر (وهو الاتصال الذى ترمز أسطورة وصول إيو إليها إلى بدء تلك العلاقات) إذ تبدأ هذه العلاقة ـ حسبما ترمز الأسطورة ـ بمغادرة أجينور ـ حفيد إيو ـ مصر إلى أرض كنعان • وهكذا فإن إجينور ـ حسب الأسطورة الإغريقية ـ ينحدر من أصول إغريقية وسكن أرض كنعان قادماً من مصر • ربما كان ذلك يعنى أن أقدم اتصال للإغريق بجيرانهم فى شرق البحر المتوسط كان مع مصر الفرعونية التى ألفوا التعامل معها ، ويبدو أنهم تعرفوا فى مرحلة لاحقة على الساحل الكنعانى من خلال العلاقات القديمة والوثيقة بين مصر الفرعونية وتلك المناطق ، فأنطلق بعض الإغريق من مصر وبدأوا فى التعامل مع الساحل الكنعانى • إن اختطاف زيوس ليوروبا ابنة أجينور ومواقعتها فى كريت ربما كان يشير إلى فترة توجهت فيها الحضارة الكريتية نحو التعامل مع الساحل الكنعانى بعد غزو الهكسوس لمصر (احتل الهكسوس مصر حوالى مائة وخمسين عاماً من ١٦٧٠ إلى ١٥٢٠ ق•م•) وتوطدت علاقات الطرفين الكريتى اليونانى والكنعانى وتنوعت بين علاقات تجارية وحضارية ، وربما يشير الحادث الأسطورى أيضاً إلى أن التأثير الكنعانى كان أقوى وأن الإغريق

نقلوا المؤثرات الحضارية الكنعانية (الممتزجة بأصول يونانية إذ أن يوروبا وأباها أجينور من نسل إيـو اليونانية) الممثلة فـى شـخص " يوروبا " إلى بلادهم ٠ ونكاح زيوس ليوروبـا وإنجابـه منهـا مينـوس يـدل علـى أن ثمـة تفـاعل حضـارى أو تلاقـح حضـارى قـد تـم بيـن الحضارتين استفادت منه الحضارة الكريتيـة وازدهـرت وتمثـل ذلـك فى شخص أبرز وربما أهم ملوكها وهو مينـوس الـذى أطلـق السـير آرثر ايفانس اسمه على الحضارة الكريتية (المينوية) ٠

ولعل طريقـة اختطـاف زيـوس ليوروبـا ومـا شـابها مـن حيلـة وخديعة ترمز إلى دهاء الإغريق فى نقل منجزات الحضارة الكنعانية إلـى بلادهـم والاسـتفادة منهـا وتطويرهـا (إنجـاب يوروبـا أبنـاء مــن زيوس) ، والأرجح أن ذلك قد تم بغير رضا وموافقة الكنعانيين مما استنفرهم وجعلهم يقومون برد فعل مضاد سنتحدث عنه بعـد قليـل ٠ وهناك تفسير آخر لهذه الحادثة الأسطورية عند جون مالالاس الـذى يكتب عن " المساء الآثـم " فـى مدينـة صـور الفينيقيـة فيقـول : " لقـد هاجم تاوروس (الثور) ـ ملك كريت ـ صـور بعـد معركـة بحريـة أثناء غياب أجينور وأولاده ، وسقطت المدينة فى أيدى الكريتيـن فـى نفس المساء فأخذوا معهم كثيراً من الأسرى من بينهـم يوروبـا ٠ إن هذا الحدث لا يـزال يذكـر فـى الحوليـات فـى صـور باسـم (المسـاء الآثم) " ٠ لذلك من الصعب أن نرجح إن كانت حادثة خطف يوروبـا على يد زيوس تشير إلى أن الإغريق قد نقلوا من الكنعانيين من أهـل صور بعضا من إنجازاتهم الحضارية أم أنهم شـنوا علـى " صـور "

حملة عسكرية وأسروا بعض أهلها كما يشير ملالاس رغم أنه مصدر متأخر ، وإن كان هيرودوت كمصدر مبكر ينحو هذا النحو. عموماً حتى وإن صحت أخبار هذه الحملة العسكرية فإن هذا لا يمنع تأثر الإغريق بالمنجزات الحضارية لأرض كنعان قبل الحملة وبعدها.

أما انطلاق أبناء أجينور في مرحلة لاحقة من الأسطورة وانتشار معظمهم في شرق البحر المتوسط بحثاً عن أختهم يوروبا التى اختطفها زيوس فيشير إلى أن الكنعانيين وخصوصاً أهل صور - وإن كانت صيداً مذكورة أكثر في ملاحم هوميروس - قد بدأوا ينطلقون في تلك البقاع يبادلون الإغريق التجارة والحركة. بل أنهم أخذوا - في مرحلة لاحقة ربما كانت فترة انهيار الحضارة الكريتية واضمحلال وتدهور الحضارة الموكينية بدءاً من القرن الثاني عشر ق.م. - زمام المبادرة وأصبحوا أنشط من الإغريق في مجال التجارة عبر أرجاء البحر المتوسط وإقامة المستوطنات الفينيقية (التسمية الجديدة بدلاً من " الكنعانية " وهي تسمية أطلقها عليهم الإغريق). ومن المرجح أن من بين العناصر التي ساعدت على فتح الباب على مصراعيه أمام الفينيقيين في ارتياد آفاق شرق البحر المتوسط والانطلاق إلى أقصى الغرب نحو شواطئ المحيط الأطلسي في بريطانيا وغرب أفريقيا هو الغزو الدوري الكاسح لبلاد اليونان خلال القرنين الحادي عشر والعاشر ق.م. وهو الغزو الذي أطاح بما بقي من الحضارة الموكينية وأشاع الذعر والفوضى بين

الإغريق وجعلهم يتخلفون قروناً للوراء ويعودون بعد نهاية الفترة المسماة " بالعصر المظلم " من القرن الحادى عشر إلى أواخر القرن التاسع ق٠م٠ إلى البداية الحضارية من جديد مستعينين هذه المرة بالفينيقيين بعد أن أخذوا عنهم أبجديتهم وطوروها ٠

إن بحث أبناء أجينور عن اختهم يوروبا فى أرجاء مختلفة من بلاد اليونان وبحر ايجة وآسيا الصغرى واستقرارهم هناك وإطلاق اسمائهم على مناطق عدة هناك كما رأينا يشير إلى هذه الفترة من المد الفينيقى على ساحل بحر إيجة وتأثيراتهم التجارية والحضارية فى المنطقة فى الفترة من القرن الثانى عشر حتى القرن الثامن ق٠م٠ تقريباً ٠ ولعل أبرز إخوة يوروبا الذين ظلوا يبحثون عنها فى بلاد اليونان كان كادموس الذى تنسب إليه الأسطورة بناء مدينة (طيبة) اليونانية ٠ إن هذا الجزء من الأسطورة يضم دلالات رمزية مثيرة إذ انتقل كادموس وأمه تيليفاسا من صور إلى رودس ثم ثيرا وقدما أضحيات وأقاما معابد لألهة الإغريق وفى ذلك دلالة على تأقلم بعض وجوه الحضارة الفينيقية مع البيئة الإغريقية الجديدة ٠ ثم توفيت تيليفاسا وهذا معناه تناقص المسحة الفينيقية فى هذه المؤثرات واكتسابها لمزيد من التأثر بالبيئة الجديدة واصطباغها أكثر فأكثر بالصبغة الإغريقية ٠ وفى نفس الاتجاه ترمز بقية تفاصيل هذا الجزء من الأسطورة مثل طلب كهنة وحى ديلفى من كادموس الكف عن البحث عن يوروبا ونصحه ببناء مدينة جديدة فى بلاد اليونان (مزيد من التخلى عن موروثه الفينيقى ومزيد من الاندماج مع البيئة

الجديدة والتفاعل معها والتأثير الإيجابى فيها) ، ولعل تفاصيل المشهد الأخير من هذا الجزء يتوج هذا الاتجاه نحو الاستفادة القصوى من المؤثرات الفينيقية وصبغها تماماً بالمسحة الإغريقية : فقتل معظم رجال كادموس على يد الثعبان الضخم الذى يحرس نبع آريس يرمز إلى تذويب هذه المؤثرات الفينيقية وهضمها تماماً فى البيئة الإغريقية ، وكذلك فإن مشهد الرجال المحاربين المسلحين الذين نبتوا من الأرض بعد زرع أسنان هذا الثعبان فيها وقضائهم على بعضهم البعض بحيث لم يبق سوى خمسة فى نهاية الأمر ربما يشير إلى تآكل وانهيار معالم الحضارة اليونانية القديمة إثر الغزو الدورى أما الخمسة رجال المتبقين فربما كانوا يشيرون إلى الحروف المتحركة الخمسة التى أضافها الإغريق إلى الأبجدية الفينيقية التى تبنوها وأخذوها عن الفينيقيين والتى كانت ذات حروف ساكنة وتخلو من الحروف المتحركة فأضافها الإغريق ٠

إن الأسطورة تشير كذلك إلى المد والتوسع الفينيقى حتى غرب البحر المتوسط وذلك يتمثل فى ذهاب فوينيكس ابن اجينور إلى غرب البحر المتوسط وشمال أفريقيا وكيف أنه جعل للكنعانيين هناك موضع قدم سرعان ما توسعوا بعده نحو الغرب حتى وصلوا كما نعرف إلى جنوب أسبانيا بل وحتى سواحل المحيط الأطلسى وبريطانيا ٠ ولعل هناك تساؤل يفرض نفسه هنا وهو : لماذا سمى هؤلاء الكنعانيين من أهل صور والساحل اللبنانى بالفينيقيين نسبة الى فوينيكس هذا دون بقية إخوته من أبناء أجينور ؟ إن الأسطورة تجيب

عن هذا التساؤل بالقول بأن السبب فى ذلك هو عودة فوينيكس إلى صور بعد وفاة أبيه أجينور ومن ثم أطلق اسمه على منطقة الساحل اللبنانى وبقية المستوطنين المنحدرين من نسله فى غرب المتوسط وشمال أفريقيا •

لكن المعالجة الأسطورية لمصير بقية أبناء أجينور الذين ذهبوا إلى سواحل بحر إيجة وبلاد اليونان تريد أن توصل رسالة ضمنية مفادها أن تأثير أهل وحضارة الساحل الكنعانى أثرت فى مناطق عديدة غير حضارية فى غرب المتوسط وتركت بصماتها القوية عليها رغم قلة المجهود الكنعانى المبذول هناك (واحد فقط من أبناء أجينور) فى حين لم يستطع مجهود كنعانى مكثف (أربعة من أبناء أجينور) فى ترك بصماتهم على بلاد اليونان ذات الحضارة القديمة التى فرضت على هؤلاء الكنعانيين الاصطباغ بالصبغة اليونانية وأذابتهم فى البيئة الجديدة ، وأنه حتى وإن تأثرت بلاد اليونان تأثراً غير مباشر بهم من خلال اكتساب الأبجدية الفينيقية فإن ذلك ناجم عن فترة انعدام الوزن اليونانى إثر غزو الدوريين ، ومع ذلك ترك الإغريق بصماتهم على تلك الأبجدية المقتبسة بإضافة الحروف المتحركة الخمسة على الحروف الفينيقية الساكنة •

(٣) أسطورة جاسون وميديا

ملخص الأسطورة :

– بعد وفاة الملك كريثيوس الأيولى اغتصب " بلياس " بن بوسيدون عرش يولكوس (فى تساليا) من أخيه غير الشقيق "أيسون" الوريث الشرعى ، وحذرته نبوءة من أنه سيقتل على يد واحد من السلالة الأيولية فقتل كل رجالها البارزين باستثناء "أيسون" الذى عفا عنه من أجل أمه "تيرو" ولكن حبسه فى القصر وأرغمه على التنازل عن حقه فى الإرث ،

– تزوج " أيسون " من " بوليميلى " – لها عدة أسماء أخرى – وأنجب منها ابنا أسماه " ديوميديس " وقد عزم بيلياس على التخلص من الوليد لولا أن أمه احتالت على الأمر وزعمت أنه ولد ميتاً وهربته إلى جبل بيليون حيث تولى القنطور خيرون تربيته وتنشئته ،

– وهناك نبوءة ثانية حذرت بلياس أن يحترس من شاب يرتدى فردة خف واحدة ، وذات يوم بينما كان يقوم بتقديم الأضحيات إلى بوسيدون على شاطئ البحر وحوله مجموعة من رفاقة من الأمراء وقعت عينه على شاب فارع الطول ذى شعر طويل متهدل يرتدى رداء لصيقا من الجلد وفوقه جلد نمر ، وكان مسلحاً بسهمين لهما شفرات عريضة وفى قدميه فردة خف واحدة ،

ـ ولذلك فإنه حين سأله بيلياس بغلظة " من تكون وما اسم أبيك ؟ " أجاب بأن خيرون ـ أباه بالتبنى ـ قد سماه جاسون ، رغم أنه كان يعرف من قبل بـ " ديوميديس بن أيسون " . فحملق فيه بيلياس وهو يضمر له شراً وباغته بسؤال " ماذا أنت فاعل إذا أخبرتك نبؤءة أن أحد مواطنيك مقدر له أن يقتلك ؟ " ، وهنا رد جاسون وهو لا يعلم أن هيرا هى التى وضعت هذه الكلمات على لسانه " أرسله ليحضر الجزة (الفروة) الذهبية من كولخيس " , " وهل لى من فضلك أن أعرف من الذى أتشرف بمخاطبته ؟ "

ـ وحين أفصح بيلياس عن هويته لم يهب جاسون أو يرتبك بل طالب بيلياس فى جرأة بالعرش الذى اغتصبه وإن كان لم يطالبه بالقطعان التى ذهبت معه . ونظراً لأنه كان يحظى بتأييد قوى من خاله فيريس ملك فيراى وأماثون ملك بيلوس الذّين كانا مشتركّين فى تقديم الأضحيات لم يجرؤ بيلياس على إنكار حقه الذى اكتسبه بالمولد، لكنه أصر على مطلب هو " ولكننى أطلب منك أولاً أن تعتق بلدنا الحبيب من لعنة ! " .

ـ وعلم جاسون أن بيلياس كان يسكنه شبح فريكسوس الذى فر من أورخومينوس قبل جيل ممتطيا ظهر كبش مقدس ليتفادى التضحية به ، ولجأ إلى كولخيس ولم يسمح له عند وفاته بأن يدفن دفناً لائقاً ، وحسب نبؤة وحى ديلفى فإن أرض يولكوس ـــ حيث يقطن العديد من أقارب جاسون ـ لن تزدهر مطلقاً إلا إذا عاد شبح

(طيف ، أو ربما رفات) فريكسوس فى سفينة ومعها الفروة الذهبية للكبش المقدس • وكانت هذه الجزة (الفروة) معلقة فى شجرة فى غابة للإله آريس فى كولخيس ويحرسها بالليل والنهار تنين لا يغمض له جفن • ومتى ما أنجزت هذه المهمة المقدسة ــ هكذا صرح بيلياس ــ فإنه سيتنازل عن العرش بكل سرور إذ أصبحت مسئولية الحكم عبئاً ثقيلاً لرجل متقدم فى السن مثله •

ــ ولم يكن بوسع جاسون أن يأبى القيام بهذه الخدمة لبيلياس ، لذا أرسل منادين إلى كل القصور الملكية فى بلاد اليونان يطلب متطوعين مستعدين للإبحار معه واقتنع أرجوس الثيسبى بعد إلحاح بأن يبنى له سفينة ذات خمسين مجدافاً بنيت فى " باجا ساى " بخشب مجفف من جبل بيليون وثبتت الإلهة أثينا دعامة تنبؤية على مقدمة السفينة ، مقطوعة من شجرة بلوط تابعة لكبير الأرباب زيوس فى دودونا •

ــ ورافق جاسون فى رحلته إلى كولخيس ما لا يقل عن خمسين من مشاهير الأبطال من كافة مدن العالم اليونانى ، وهو ما لم يحدث من قبل • وقد اعترضتهم مصاعب كثيرة خلال الراحلة قبل وصولهم إلى مملكة كولخيس تغلبوا عليها بما لديهم من قدرات ومواهب متعددة ومتميزة •

ــ وأخيراً وصلت الحملة إلى كولخيس حيث عبر الملك آيتيس عن استعداده لتسليم الجزة الذهبية إلى جاسون إذا ما أنجز مهاماً

معينة تبدو مستحيلة التنفيذ • وكان من بين هذه المهام أن يخضع للمحراث ثورين ينفثان ناراً ولهما حوافر من البرونز وأن يقوم بحرث أحد الحقول وبذره بأسنان التنين الذى قتله كادموس عند بناء مدينة طيبة ، وينبت من هذه الأسنان رجال مسلحون ينفجر غضبهم ضد جاسون • وبمساعدة الوسائل السحرية لميديا ابنة الملك آيتيس ملك كولخيس التى وقعت فى غرام جاسون أنجزت المهام المطلوبة بنجاح وعاد جاسون وميديا وبحارة وأبطال السفينة " ارجو " إلى يولكوس ومعهم الجزة الذهبية •

ـ إن رواية هذه الحملة تقسم الحملة إلى مراحل عديدة ومتنوعة وتصف مغامرات الحملة فى مناطق عديدة من ا لبحر المتوسط والأسود • وهناك بعض الروايات عن هذه الحملة تصور عودة أبطال السفنية أرجو إلى بلاد اليونان على أنها كانت خلال الإبحار غرباً بطول الأوقيانوس (المحيط) إما نحو الشمال أو نحو الجنوب ثم دخلوا البحر المتوسط من جهة أعمدة هرقل (مضيق جبل طارق) •

ـ وحين فرت ميديا مع جاسون كانت قد تزوجت منه وحين وصلوا إلى يولكوس انتقمت من بيلياس عم جاسون لما ارتكبه من أخطاء فى حق عائلة جاسون : إذ أعادت ـ فى البداية ـ أيسون إلى الشباب حين وضعته فى برميل به ماء يغلى وبه بعض الأعشاب السحرية ثم أغرت بنات بيلياس بالقيام بنفس الشئ مع أبيهن • لكنها

فى المرة الأخيرة وضعت فى القدر عمداً أعشاباً لا قيمة ولا تأثير لها ، وهكذا أسهمت البنات بغبائهن فى موت أبيهن • ونتيجة لما سبق قام أكاستوس بن بيلياس بطرد جاسون وميديا من يولكوس حيث لجأ الإثنان إلى كورنثة • وهناك فإن جاسون الذى كان يراوده الطموح وكان قد مل من الأميرة البربرية كان قد أعد العدة للزواج من ابنة كريون ملك كورنثة • وقد أثار هجران الزوج وجحوده كوامن الغضب فى نفس ميديا التى عبرت عن مشاعرها صراحة مما دفع كريون إلى أصدار أوامره بنفيها هى وولديها فوراً خوفاً على نفسه وابنته من انتقامها • لكن ميديا توسلت إليه وداهنته كى يمهلها ليوم واحد ، وتمكنت من الخلاص من العروس حين أهدتها ثوباً مسموماً ومن الملك حين أهدته تاجاً مسموماً وقد تظاهرت وهى تقدم لهما هذه الهدايا أنه لم يعد فى نفسها ضغينة لهما • ثم قتلت طفليها حتى تجعل من جاسون شخصاً بلا ذرية من ناحية ، وحتى لا يكونا عرضة لانتقام غيرها منها فى شخص طفليها • ثم فرت بعد ذلك إلى أثينا ولجأت إلى ملكها أيجيوس •

مصادر الأسطورة :

– تذكر الإلياذة (الإلياذة : الكتاب السابع على سبيل المثال ، س س ٤٦٧/٤٧١) فى عدة مواضع يونيوس بن جاسون وهيبسيبلى من جزيرة ليمنوس ، وفى ذلك إشارة ضمنية إلى رحلة السفينة أرجو ، ولكن هذا هو كل ما تشير إليه الملحمة •

ـ أما الأوديسية فإنها أكثر صراحةً : إذ تنصح كيركى أوديسيوس حول التفاوض السليم مع الـ " بلانكتاى " وتخبره بأن السفينة الوحيدة التى أفلتت منهم هى السفينة " أرجو " فى رحلة عودتها من أرض آيتيس والتى كان ربانها هو جاسون ٠

(الأدويسية : الكتاب الثانى عشر ، الأسطر ٦٩ ـ ٧٢) ٠

ـ وفى " الثيوجونية " نجد ذكرا لزيجة جاسون من ميديا ، وتؤكد على أن إرادة الآلهة قد شاءت أن يأتى بها معه إلى يولكوس من أرض آيتيس بعد أن أنجز كثيراً من المهام التى فرضها عليه الملك بيلياس الذى كان " عنيفاً ومتهوراً ٠

(الثيوجونية : الأسطر ٩٩٢ ـ ١٠٠٢) ٠

ـ كما أن الأدويسية والثيوجونية تقرران زيجة هيليوس والأوقيانية بيرسيس التى أنجبت منه كيركى (الساحرة) وآيتيس (الأدويسية : ١٠ : ١٣٥ ـ ١٣٩ ، الثيوجونية : ٩٥٦ ـ ٩٦٢) ٠ كما تنسب الثيوجونية إلى آيتيس زوجة أوقيانية هى ايدويا التى أنجبت له ميديا ٠ ولكن كلتا الملحمتين لا تشيران إلى موقع أرض آيتيس ٠

ـ ولكن ممنرموس يذكر أنه كان يعيش فى " آيا " حيث تتجمع أشعة الشمس على حافة المحيط ، كما أننا فى ملحمة يوميلوس "كورنثياكا" نجد ملامح وإشارات تحاول أن تنسب إلى كورنثة

وجوداً قديماً فى منطقة البحر الأسود قبل حركة الاستيطان والاستعمار هناك ٠

ـ إن القول بوجود ملحمة مبكرة عن " رحلة السفينة أرجو " لا يعدو أن يكون مجرد تخمين ٠ ولكن من المؤكد أن هذه القصة وأحداث الرحلة شكلت جزءاً أو لعبت دوراً معتبراً فى كل من قصيدة يوميلوس " كورنثياكا " وقصيدة كاركينوس (؟) " ناوباتيكا " ٠ كما يبدو أن سيمونيديس وممنرموس قد ناقشاها تفصيلياً ، إضافة إلى مادة قيمة عنها عند " فيريكيديس " الأثينى ، وبطبيعة الحال فى وصف السطر ٣٠٠ لبندار فى القصيدة البيثية الرابعة ، فضلاً عن ثلاثية ايسخيلوس حول التوقف فى ليمنوس ، إضافة إلى "الأرجوناوتيكا" النثرية لهيرودوروس من أواخر القرن الخامس ق٠م٠

ـ ولكن بما أن معظم هذه الأعمال قد فقد فإنه لا مناص أمامنا للحصول على تفاصيل الحدث من اللجوء إلى رواية ملحمة أبوللونيوس الرودسى من القرن الثالث ق٠م ٠

(المصدر الرئيسى لدينا هو ملحمة أبوللونيوس الرودسى " "الأرجوناوتيكا ")

See (T. Gantz, Early Greek Myth, pp. 341 - 345) John Hopkins Univ. Press, 1993,

دلالات الأسطورة :

كما رأينا فى الملاحم اليونانية المبكـرة لهومـيروس وهيسـيود: الإلياذة والأوديسية والثيوجونية هنـاك ذكـر عـابر وإشـارات ضمنيـة إلى قصة رحلة السفينة أرجو ٠ وهذا يوحى بأن قصة الأسطورة لـم تكن ذات أهمية كبيرة أو شهرة ذائعة ، وأنها كانت خلال الفـترة مـن القـرن التاسـع حتـى القـرن السـابع ق٠م٠ أسـطورة محـدودة القيمـة والانتشار تتحدث عن مغامرة محدودة قام بهـا أحـد أبطـال الإغريـق وهو جاسون فى تلك البقـاع الأسيوية شـرق البحـر الأسـود ٠ وهـذا ربما يشير إلى اتصال إغريقى محدود وعلى استحياء بمناطق وبقـاع البحر الأسود أيام ازدهار الحضارة الموكينية التى وصلـت تأثيراتهـا إلـى منـاطق شـرق البحـر المتوسـط فـى آسـيا الصغـرى والســواحل الفينيقيـة وربمـا امتـد نحـو الشـمال الشـرقى فوصـل إلـى مضــايق الهيللسبونت والبسفور والبحر الأسود بدرجـة محـدودة ٠ ولكـن بعـد انتشار المستعمرات اليونانية حول كافة سواحل البحر الأسـود خـلال موجة الاستعمار اليونانى خلال الفترة من أواخر القرن الثـامن حتـى القرن السادس ق٠م٠ ربما طمح الخيال الإغريقـى إلـى تـأصيل هـذا الوجود وهـذه العلاقـات اليونانيـة مـع تلـك الأصقـاع وإعطائهـا بعـداً زمنياً أقدم فوسع من نطاق الأسطورة القديمة المحدودة وجعل منهـا ملحمة كبيرة متكاملة الأحداث والوقائع وأضفـى بطـولات أسـطورية علـى شـخوصها مـن الإغريـق الذيـن اقتحمـوا الأهـوال فــى تلـك

المناطق· ربما كان كل ذلك توطئة وخلفية ضخمها الخيال الإغريقى وبالغ فيها (فى أزمان بعيدة لاحقة) للقول بأن الإنتشار والمد الاستعمارى اليونانى حول سواحل البحر الأسود ـ التى حمل لواءها مدن آسيا الصغرى اليونانية وعلى رأسها ميليتوس وبعض مدن بلاد اليونان الأم وخاصة ميجارا ــ لم ينشأ من فراغ وأن له رصيداً وسجلاً حافلاً من قبل ·

ربما كانت هذه الأسطورة كذلك تبريراً للانتشار والاستعمار الإغريقى اللاحق فى مناطق البحر الأسود · يأتى هذا التبرير الضمنى من خلال تصوير بدائية وغلظة وقسوة هذه الشعوب (البربرية) من سكان هذه المناطق وحاجتها لمن يأخذ بيدها نحو التقدم والرقى ، ومن يتصدى لمثل هذه المهمة خير من الإغريق المتحضرين ! إنها نفس النظرة العنصرية الأوربية وعقدة الاستعلاء على من عداهم من الشعوب · إن الأسطورة تصور الملك آيتيس ملك كولخيس (الأسيوية) على أنه ملك متسلط يرفض تسليم الجزة الذهبية لأصحابها من الإغريق ويضع لذلك شروطاً مستحيلة كنوع من التعجيز لهم عن المطالبة بها · كما تصور ابنته الأميرة "ميديا" على أنها تتقن فنون السحر ، ووقعت فى غرام جاسون الذى تظاهر بمبادلتها الحب واستفاد من فنون السحر لديها فى إنجاز مهمته شبه المستحيلة وهى العودة بالجزة الذهبية · وتصور الأسطورة مدى قسوة ولا إنسانية ميديا حين قطعت أخاها إرباً أثناء فرارها مع جاسون ونثرت أجزاءه فى كل مكان حتى تعرقل أباها عن محاولة

اللحاق بها وبالإغريق ٠ إن الأسطورة توحى بذكاء الإغريق (الخبيث) فى الاستفادة من التسهيلات المتاحة لهم على حساب بربرية وهمجية هذه الشعوب ــ حتى ضد بعضها البعض ــ فى حسابات مصلحية عقلية متروية أمام عواطف وانفعالات هوجاء لا تبقى ولا تذر ، ولكن لا بأس مادام الأمر لمصلحة الإغريق (غرب وشرق ، وما أشبه الليلة بالبارحة !) ٠

إن الأسطورة كذلك تلمح إلى الصراع الحضارى وصراع القيم بين الشرق والغرب قبل معالجة هيرودوت للصراع الفارسى اليونانى ، وربما كانت (بعد توسيع مداها فى القرن الخامس ق٠م٠ حتى أبوللونيوس الرودسى فى القرن الثالث ق٠م) تكريساً وتدعيماً لمقولات هيرودوت فى إثبات وتأصيل أن هذا الصراع كان منذ القدم صراعاً حضارياً نتيجة لاختلاف القيم ٠ إن ميديا مثلاً قد دفعها حبها الأهوج لجاسون إلى قتل عمه بيلياس شر قتلة ــ على حد زعم الأسطورة ــ مما أدى إلى طرده وطردها من مملكة يولكوس التى كانت إرثا شرعياً لجاسون ، أى أنها جلبت الضرر على جاسون بفعلتها الشنعاء المنكرة ! كما أن جاسون قد ضاق بهذا الأسلوب الانفعالى الأهوج ولذلك دبر تدبيراً عقلانياً (من وجهة نظره ووفقاً لقيمه) لمصاهرة ملك كورنثة وتعويض ما حل به من خسارة عرشه الشرعى ، لكن ميديا (من وجهة نظرها ووفقاً لقيمها) رأت فى الأمر خيانة وجحوداً وإهانة ودفعتها انفعالاتها الثائرة إلى ارتكاب جملة من الجرائم البشعة من قتل الملك وابنته العروس وولديها ٠

إن الأسطورة تريد لنا أن نصدق أن صراع الإغريق مع (البرابرة) قد فرضته الظروف على الإغريق وأن الإغريق واجهوا الأمر بفكر موضوعي وعقلاني في مواجهة قسوة وبربرية خصومهم، واستفادوا من سقطات خصومهم في تحقيق مآربهم . وتريد الأسطورة أن تنقل لنا الإيحاء بأن الإغريق قد حملوا مشاعل النور والحضارة إلى تلك البقاع التي كانت مجاهل مظلمة ، وأن الإغريق يتصرفون بوحي من عقلهم الراجح المستنير في حين يتصرف خصومهم من (البرابرة) حسب هبات الانفعال العنيف والعواطف المنفلتة التي تسيطر عليهم .

إن الأسطورة دعاية جيدة للإغريق وتوسعهم وانتشارهم لاسيما في القرن الثالث ق٠م٠ حين كان قادة الإسكندر قد أقاموا ممالكهم في الشرق على أنقاض الإمبراطورية الفارسية العظيمة ، ولعل هذا هو ما دفع " أبوللونيوس الرودسي " إلى (إحياء) وتضخيم أسطورة " الأرجوناوتيكا " .

(٤) أسطورة باريس وهيلين

ملخص الأسطورة :

عندما شبت هيلين ـ الابنة الجميلة لزيوس وليدا ـ عن الطوق وأصبحت فتاة شابة فى اسبرطة فى قصر أبيها بالتبنى تنداريوس أتى كافة أمراء بلاد اليونان لخطبتها وهم محملين بالهدايا الثمينة ، أو أرسلوا أقاربهم لينوبوا عنهم • وقد وقع اختيار تينداريوس على الأمير مينيلاوس أغنى أغنياء أمراء الآخيين والذى كان قد أناب عنه لخطبة هيلين أخاه أجاممنون زوج ابنة تينداريوس الأخرى كليتمنسترا ، أخت هيلين •

لكن تنداريوس لم يصرف هؤلاء الخطاب بعد ذلك ولم يقبل هدايا من أى منهم مخافة أن يؤدى ذلك إلى الشجار والتصارع بينهم• وقد استعان بمشورة أوديسيوس الذى كان أحد هؤلاء الخطاب فأشار الأخير عليه بأن يصر على أن يقسم كل خطّاب هيلين على الدفاع عن مينيلاوس الذى اختير زوجاً لها ضد أى شخص يحاول تنغيص سير حياته الطيبة ، وهو ما نفذه تنداريوس •

هكذا تزوجت هيلين من مينيلاوس الذى أصبح ملكاً لاسبرطة بعد وفاة تنداريوس وتأليه الديوسكورى (أى " أبناء زيوس " وهما كاستور وبوليديوكيس ولدى زيوس من " ليدا " وأخوى هيلين) • ومع ذلك فقد كان مقدراً لزواجهما أن يفشل لأن تنداريوس " ارتكب

خطأ فى حق أفروديتى ـ ربة الجمال ـــ حين قدم أضحيات للآلهة وأهمل أفروديتى بصورة غبية مما جعلها تصمم على الانتقام لنفسها وتقسم بأن تلوث سمعة بناته الثلاث ـ كليتمنسترة وتيماندرا وهيلين ـ بأن تجعلهن يرتكبن الزنا والفاحشة ٠

وفى ليلة زفاف بيليوس وثيتيس ـــ حورية الماء ـــ وجهت الدعوة إلى كل الآلهة لحضور الحفل فيما عدا إيريس ـ ربة الشقاق والخصام ـ طبعاً ، ولذلك أتت هذه الأخيرة دون أن تدعى بهدف زرع الشقاق بين المدعوين وألقت تفاحة ذهبية بين المدعوات مكتوب عليها " إلى أجمل الجميلات " ٠ هذه التفاحة أثارت نزاعاً وخصاماً بين الربات " هيرا " و " أثينا " و " أفروديتى " ، ولم يشأ زيوس أن يفصل فى النزاع بينهن بل جعل هيرميس ـــ رسول الآلهة ـــ يقود الربات إلى جبل " إيدا " حيث سيحكم فى هذا النزاع باريس بن بريام ملك طروادة (الذى ظل مفقوداً منذ مولده حين حلمت أمه هيكوبا وهى حامل به أنها ستلد شعلة من النار ستحرق المدينة بأسرها ، وتنبأ عراف بأنه سيجلب الدمار على طروادة فأمر أبوه بريام بنبذه على الجبل ليموت بمجرد مولده لكنه تربى على جبل " إيدا " مع الرعاة دون أن يعلم أبواه بذلك) ٠

وبينما كان باريس يرعى ماشيته على جبل جارجاروس أعلى قمم جبل " إيدا " أتى هيرميس بصحبة الربات المتنازعات هيرا وأثينا وأفروديتى وسلمه التفاحة الذهبية ومعها رسالة من زيوس تقول " يا

باريس ، بمـا أنـك وسـيم الطلعـة وخبير بـأمور القلـوب فـإن زيـوس يأمرك بأن تحكم أى هؤلاء الربات هى الأجمل " ٠ وبعـد تـردد مـن جانب باريس وخشـية مـن الحكـم فـى هـذه المسـائل المقدسـة شـجعه هرميس أن يصدر حكمـه حسب مشيئة زيـوس ٠ وتفحـص بـاريس الربات الثلاث وهن عاريات لكى يصدر حكمه عن اقتناع ، وأخـذت كل منهن تحاول إغراءه بإمتيازات تسبغها عليه إن هو حكم لصالحها وأعطاهـا التفاحـة الذهبيـة ٠ فقد وعدتـه هيرا بملـك آسـيا كلهـا وأن تجعله أغنى الأغنياء ، ووعدتـه أثينـا بـأن تجعلـه منتصـراً فـى كافـة معاركـه وتجعلـه أكثر البشر وسـامة وحكمـة ، فـى حيـن أغرتـه أفروديتى ومنته بأجمل أمرأة فى العالمين والتى لا تقل بهاء وإشـراقاً وحيوية عن أفروديتى نفسها ألا وهى هيلين زوجـة مينيـلاوس ملـك أسبرطة ٠ وهنا أصدر باريس حكمه لصالح أفروديتـى الجميلـة ممـا أثار غضب هيرا وأثينا وجعلهما تتآمران على تدمير طـروادة ، فـى حيـن فرحـت أفروديتـى وطربـت وأعدت العدة لتنفيذ وعدهـا الـذى قطعته لباريس ٠

بعد ذلك اتضحت شخصية باريس الحقيقية لدى أبيه بريام حين شارك الأول فى منافسات وألعاب رياضية سنوية تقـام فـى طـروادة وفاز فيها بالمركز الأول مما أثار حنـق أبنـاء بريـام الذيـن كـادوا أن يفتكوا به لولا أن أفصح الراعى أجيلاوس الذى قام بتربيتـه وتنشـئته عن شخصيته الحقيقة لأبيه بريام وأمه هيكوبـا اللذيـن فرحـا بـه أشـد الفرح وأقاما الاحتفالات الدينية بعودته ٠

وبعد فترة ارتحل باريس إلى بلاد اليونان للزيارة وحل ضيفاً على الملك مينيلاوس فى أسبرطة الذى أكرم وفادته لمدة تسعة أيام. وخلال هذه الفترة ظل باريس يوحى بإشارات الغرام والهيام الخفية لهيلين بالنظرات والهمسات والتلميحات فى غفلة من زوجها مينيلاوس . وزاد مينيلاوس فى غفلته حين ترك ضيفه فى القصر وأبحر إلى كريت للمشاركة فى احتفالات هناك وجعل زوجته تقوم بواجب الضيافة وتتولى شئون الحكم فى غيابه . وهنا فرت هيلين مع عشيقها باريس فى ذات الليلة وسلمته نفسها فى أول ميناء نزلا به .

وفى طريقهما إلى طروادة هبت ريح عاصفة أرسلتها هيرا وأجبرت باريس وهيلين على اللجوء إلى جزيرة قبرص ومنها أبحرا إلى صيدا حيث استضافهما ملكها ولكن باريس اغتاله غدرا وسرق ثروته وهو فى الصالة التى أقيمت بها المأدبة لأن ملك صيدا تأثر بنمط حياة العالم اليونانى وتشرب بها . ثم عرج بعد ذلك على مصر وقضى بضعة أشهر فى نبواته بين قبرص وفينيقيا ومصر مخافة أن يتعقبه مينيلاوس ، ثم وصلا فى نهاية الأمر إلى طروادة حيث احتفل باريس بزفافه على هيلين ورحب بها الطرواديون واحتفوا بها أيما احتفاء وأحبوها وأقسم بريام ألا يعيدها إلى بلاد اليونان .

ولكن هناك رواية أخرى مختلفة تماماً لهذا الموضوع مفادها أن هيرميس سرق هيلين ـ بأمر زيوس ـ وعهد بها إلى برويتوس

ملك مصر ، فى حين صاغت هيرا طيفاً من السحب لهيلين وهو الذى رافق باريس إلى طروادة بغرض إشعال الصراع بين الإغريق والطرواديين •

وترتب على اختطاف باريس وإغوائه لهيلين أن حشد الآخيون (الإغريق) حشودهم من كافة المدن اليونانية وملوكها وأبطالها تحت قيادة أجاممنون ملك موكينى لاسترجاع هيلين الجميلة زوجة مينيلاوس أخيه من طروادة والدفاع عن شرف الإغريق الذى انتهكه الطرواديون بفعلة باريس • وحاصر الآخيون طروادة لمدة تسع سنوات دون جدوى ولم يتمكنوا من الاستيلاء عليها رغم مآسى الحرب التى عانى منها الطرواديون طيلة هذه المدة ، كما تأثر بها الإغريق كما يروى هوميروس فى الإلياذة حيث تتوالى الأحداث دون أن تصل إلى نتيجة حاسمة • ولكن هناك تفاصيل للأسطورة بعد هوميروس تورد مزيداً من الأحداث التى لم ترد بالإلياذة مثل وصول الأمازونيات وكذلك الإثيوبيين تحت قيادة ممنون لمؤازرة الطرواديين ثم موت البطل الإغريقى اخيليوس واستدعاء نيوبتوليموس وفيلوكتيتيس ، وحادثة الحصان الخشبى وإسقاط طروادة فى العام العاشر من الحصار •

مصادر الأسطورة :

- Homer : Iliad and Odyssey, passim.
- Hesiod : The Catalogues of Women , Fragment 68 ed. Evelyn-White.
- Cypria (a lost epic poem of the Greek Epic Cycle which was perhaps composed in Cyprus). It was quoted by scholiasts on Homer and the writers of Athenian drama, particularly Euripides,
- Setesichorus, quoted by scholiast on Euripides' Orestes 249, and by Tzetzes: On Lycophron 113 .
- Pindar : Fragment of Paean 8 , pp. 544 - 6 , ed. Sandys.
- Herodotus : I. 1 ; II . 112 - 15 .
- Euripides : Orestes, Andromache, Iphigeneia in Aulis, Electra and Helen.
- Apollodorus : III . 10 . 8 ; 10 ; 11. 2 ; 12. 5 - 6 and Epitome III. 1 - 5 .
- Hyginus : Fabula 78, 91 , 92 .
- Ovid : Heroides V. 12 - 30 ; XVI passim ; XVII. 104.
- Virgil : Aeneid I - V passim.

- Pausanias : II. 18 . 5 ; III . 20 . 9 ; 22. 2; X . 12. 3.
- Lucian : Dialogue of the Gods, 20.
- Tzetzes : On Lycophron . passim.

دلالات الأسطورة :

هذه هي الأسطورة التي صاغها الخيال الإغريقي صياغة محكمة كخلفية وأرضية مهدت لقيام حرب بين الإغريق والطرواديين أدت إلى دمار مدينة طروادة حوالي عام ١٢٥٠ ق٠م٠ ـ حسبما يقرر علماء الآثار ـ أو عام ١١٨٤ ق٠م٠ وهو التاريخ التقليدى الذى وضعه الجغرافى والفلكى إراتوسثنيس لهذا الحدث منذ القرن الثالث ق٠م٠

وسواء كانت قصة إغواء الأمير الطروادى باريس لهيلين الجميلة زوجة مينيلاوس ملك اسبرطة والذهاب بها إلى طروادة قصة حقيقية ضخمها الخيال الإغريقى وأضفى عليها من الإبهار ولوازم الأسطورة من تدخل الآلهة فى نسيج القصة لصالح هذا الطرف أو ذاك بدوافع عديدة ابتدعها ذلك الخيال الخصب ، أو كانت القصة كلها محض خيال واختلاق ، فإن هذه الحادثة الفردية لا ترقى مطلقاً ـ من الناحية التاريخية ـ لتكون السبب الوحيد والحقيقى لشن هذه الحرب الضروس الطويلة المدمرة التى ألحقت خسائر كبيرة على الجانبين وأدت فى النهاية إلى دمار طروادة ٠

إن هيرودوت فى مقدمة كتابه الأول ضمن مؤلفه عن الحروب بين الفرس واليونان فى أواخر القرن السادس وأوائل القرن الخامس ق٠م٠ يتحدث عن مسلسل اختطاف النساء المتبادل بين الإغريق والآسيويين على أنه من الأسباب المبكرة التى أدت إلى العداوات المتبادلة بين الجنسين منذ وقت مبكر مما أدى لنشوب الحروب بينهما ٠ وينسب إلى الفرس ذكرهم لهذه الروايات عن الخطف المتبادل من قبل أحد الطرفين لنساء الطرف الآخر ، وينسب إليهم فى هذا الصدد ذكرهم أن الفينيقيين هم أول من بدأ هذا المسلسل من اختطاف واختطاف مضاد حين ذهبوا إلى أرجوس يحملون بضائع مصرية وأشورية وبعد أن باعوا بضائعهم اختطفوا بعضاً من النسوة من أهل أرجوس من بينهن إيو ابنة الملك ايناخوس وانطلقوا فى طريقهم إلى مصر وهكذا وصلت إيو إلى مصر ٠ وفى المقابل قام بعض الإغريق (يرجح هيرودوت أنهم كريتيون) بالذهاب إلى صور واختطفوا يوروبا ابنة اجينور ملك صور ٠ ثم ثأر الإغريق لأنفسهم للمرة الثانية حين ذهبوا إلى كولخيس شرق البحر الأسود، وبعد أن أدوا المهمة التى قدموا من أجلها حملوا معهم " ميديا " ابنة الملك آيتيس ٠ ولكن فى الجيل التالى قام الاسكندر (باريس) بن بريام ملك طروادة بالانتقام للآسيويين حين اختطف هيلين زوجة مينيلاوس وأخذها معه إلى طروادة ٠

هكذا أخرج هيرودوت هذه الحوادث ــ وإن كان ذلك على لسان الفرس ــ من نطاق الأسطورة والآلهة والمعتقدات الدينية إلى

نطاق الأحداث البشرية التاريخية التى تحدث بين الشعوب ، وأدخلها فى إطار الصراع التاريخى بين الشرق (الآسيويين) والغرب (الإغريق) ٠ ولكن هيرودوت ـــ وإن كان محقاً فى حديثه عن الصراع الضارى بين الشرق والغرب ـ يصور هذه الأحداث كما لو كانت أسباباً ودوافع حقيقية لهذا الصراع ، فى حين أنها لا تعدو ـــ فى حالة صحة وقوعها ـ أن تكون أسباباً مباشرة أو بالأحرى ذرائع تؤدى إلى مواجهة كان لها فى الأصل أسباب حقيقية على المدى الطويل تتمثل فى اختلاف أو تصادم مصالح الطرفين ٠

إذا حاولنا أن نبحث عن الأسباب لهذا الصراع بين الإغريق والطرواديين ـــ والذى اتخذت أسطورة باريس وهيلين كسبب أو ذريعة له ـــ فربما أمكننا استنتاج أن تلك الفترة التى وقعت فيها الأحداث هى من فترات ازدهار ـ أو على الأقل تماسك ـ الحضارة الموكينية (وهى الحضارة التى امتدت من موكينى إلى بقية مدن ومناطق اليونان فى العصر الهيللادى (البرونز) المتأخر فى الفترة من حوالى ١٦٠٠ إلى حوالى ١١٢٥ ق٠م٠ ، وبلغت أقصى ازدهارها فى الفترة من ١٤٠٠ إلى ١٢٠٠ ق٠م٠ حين امتدت إلى شرق البحر المتوسط وبحر إيجة وربما جاوز تأثيرها وعلاقاتها مناطق مضايق الهيلليسبونت والبسفور إلى البحر الأسود) ٠ ويبدو أنه كان للإغريق فى ظل الحضارة الموكينية مصالح حيوية فى مناطق المضايق وبحر مرمرة (بروبونتوس) والبحر الأسود (يوكسينوس) ، كما يبدو أن طروادة المتحكمة فى مدخل مضيق

الهيلليسبونت من الجـانب الشـرقى ــ وهـو موقـع حيـوى يتحكـم فـى مداخل هذه المناطق ذات الأهميـة للإغريـق ــ قـد عرقلـت وعطلـت مصالح الإغريق وربما تجارتهم فى تلـك المنـاطق أو فرضـت قيـوداً أو رسوماً عليهم مما ألحق الضرر بهـذه المصـالح بصـورة لا يمكـن السكوت عنها أو تجاوزها ٠ ونتيجة لذلك قام تحالف المدن اليونانيـة تحت زعامة المدينة الرئيسية فى تلك الفـترة وهـى " موكينـى " بشـن تلك الحرب الضارية ضد طروادة حتى دمروها واستعادوا مصـالحهم الحيوية فى تلك المنطقة والتـى سـلبهم الطرواديـون إياهـا ، وهـو مـا ترمز إليه الأسطورة بالجميلة هيلين ٠

وتحـاول الأسـطورة (اليونانيـة) أن تشـوه صـورة هـؤلاء الطرواديين (الآسيويين) بأن تجعل هذا الأمير الأسيوى " بـاريس " قد طمع فيما ليس من حقه وهو زوجـة غيره (هيلين زوجـة الملـك مينيلاوس التى أنجبت منه ــ حسب الأسطورة ــ ابنـة وثلاثـة أبنـاء) وأغواها بأسلوب مخادع وأسـاء اسـتغلال كـرم مضيفـه مينيـلاوس ، وبـدلا مـن رد جميـل الضيافـة إليـه طعنـه فـى شـرفه ٠ كمـا تلمـح الأسطورة إلى أن باريس ورفاقه قـد قتـل وسـرق كذلـك ملـك صيدا الذى استضافه حين جنحت سفنهم هنـاك بفعـل الريـاح العاتيـة وذلـك لأن ملك صيدا قد تأثر بحضارة الإغريـق ٠ وهـو تلميـح لـه مغزى هـام مـن الناحيـة الدعائيـة اليونانيـة وهـو أن هـؤلاء الآسـيويين غير المتحضريـن يضيقـون بمـن يتبـع الأسـاليب المتحضـرة (اليونانيـة) ويتخلصون منه ولا يتورعون عـن ذلـك حتـى وإن أكـرم وفـادتهم ٠

وتروج الأسطورة أكثر فأكثر لهذه الدعاية المضادة للآسيويين بتصوير تصرف باريس (الشائن) على أنه لم يكن تصرفاً فردياً شائناً بل أنه سلوك جماعى من الطرواديين الذين لم يستهجنوا هذا التصرف من أميرهم بل استحسنوه وأحسنوا استقبال وضيافة هيلين فى طروادة ، بل وصل الأمر أن الملك الطروداى ــ الذى يفترض فيه الحكمة ورفض تصرف ابنه ــ بارك هذا التصرف وأقسم ألا يعيد هيلين مهما كلفه الأمر ٠

هكذا تريد الأسطورة بهذه المضامين أن توحى بأن الطرواديين (كرمز للآسيويين) ـ حكاماً ومحكومين ــ أناس غير متحضرين لا يحفظون العهد ويتسمون بالجحود والطمع فيما ليس من حقهم وليس لهم عهد أو ميثاق ، وتبرز على الجانب الآخر الإغريق بمظهر الشعب الكريم المتحضر الذى لا يفكر فى الخيانة ولا يتوقعها من الغير (بدليل سفر مينيلاوس إلى كريت رغم وجود ضيفه باريس فى قصره) ، ولكنه فى الوقت نفسه لا يسكت على حقوقه السلبية وهيبته التى انتهكت بل يبادر بالدفاع عنها بكل ما أوتى من قوة جماعية ٠ هنا مهدت الأسطورة الأجواء للزعم بأن الإغريق قد خاضوا حرباً مشروعة لها ما يبررها ضد أعداء طامعين مغتصبين ، وأن الإغريق كانوا فى حالة دفاع شرعى عن النفس والعرض والمصالح ٠ وهو تمهيد يهدف إلى الإيحاء بأن دمار طروادة على يد الإغريق لا ينبغى أن يثير التعاطف مع المهزوم ، بل يصور ذلك على أنه القصاص الطبيعى والمنطقى والعادل ٠

كما تشير الأسطورة إلى قوة وتضامن المدن اليونانية فى ظل السيادة الموكينية والحضارة الموكينية فى أواخر عصر البرونز فى مواجهة التحديات التى تواجه إحدى هذه المدن • إن هذا الموقف فى الأسطورة يوحى بأن الخلاف بدأ بين إحدى المدن اليونانية وهى إسبرطة مع مدينة طروادة ، ولكن الضرر الناجم عن هذا الخلاف ربما كان يمتد تأثيره إلى بقية الإغريق ومصالحهم ومن هنا كان تضامن المدن اليونانية مع اسبرطة • أو أنه كان هناك تحالف بين المدن اليونانية يعتبر الاعتداء على إحدى مدن الحلف وانتهاك سيادتها أو الإضرار بصالحها إعتداءً واضراراً بمصالح الجميع ويوجب على جميع المدن التضامن معها فى حالتى الدفاع أو الهجوم• هذا الحلف من الواضح أن موكينى – رائدة حضارة تلك الفترة – كانت هى زعيمته التى تتولى توجيه الدعوة للمدن للمشاركة بقواتها وتتولى قيادتها • بل ويبدو أن هذا التحالف اليونانى كانت له نواة مبكرة من قبل عصر الحضارة الموكينية كما توحى بذلك أسطورة "بحارة السفينة أرجو " حين أبحر مع جاسون إلى كولخيس خمسون من أبطال الإغريق من كافة المدن اليونانية ، إلا إذا كانت هذه الأسطورة تلفيق لاحق – كما سبق أن أشرنا – يهدف إلى إضفاء عراقة التعامل الإغريقى مع مناطق البحر الأسود الآسيوية ، ويشير إلى نوع من التضامن الإغريقى المبكر •

(٥) أسطورة دايدالوس

ملخص الأسطورة :

من المتفق عليه أن دايدالوس كان ينحدر من البيت الملكى فى أثينا والذى كان يزعم الانتساب إلى الملك الأسطورى إيريختيوس، رغم اختلاف الروايات حول أم دايدالوس وأبيه • وكان دايدالوس صانعاً ومخترعاً بارعاً تعلم فنه من أثينا نفسها • لكن واحداً من صبيانه هو " تالوس " ابن أخته بوليكاستى (أو " بيرديكس ") تفوق عليه فى صنعته وفنونه وهو فى الثانية عشرة من عمره • إذ قام تالوس ذات يوم بالتقاط عظمة فك لثعبان أو العمود الفقرى لسمكة واكتشف أن بوسعه استعمالها فى قطع عصا إلى نصفين وقام بمحاكاتها على الحديد وبذلك اخترع المنشار • كما اخترع كذلك دولاب الخزاف لصنع أوانى الفخار والفرجار لرسم الدوائر مما أكسبه سمعة كبيرة فى أثينا ، وهو ما أثار غيرة وحسد دايدالوس الشديدة على ابن اخته إذ سبق لدايدالوس أن زعم أنه أول من اخترع المنشار • من هنا اقتاده دايدالوس إلى سطح معبد أثينا على الأكروبول وأخذ يشير إلى مناظر بعيدة ثم دفع به من على حافة المبنى • وحاول دايدالوس أن يأخذ جثة تالوس من سفح الأكروبول ليدفنها سراً ولكن انفضح أمره واكتشفت جريمته • من هناك حكم عليه مجلس الأريوباجوس بالنفى عقاباً له على جريمته ، ولكن

رواية أخرى تقول أنه فر من أثينا قبل انعقاد المحكمة ٠ وقد دفن جثمان تالوس حيث وقع وطارت روحه فى صورة طائر الحجل (بيرديكس باليونانية) ، وانتحرت أمه بوليكاستى حين سمعت بموته، وكرمها الاثينيون بإقامة محراب لها بجوار الأكروبول ٠

ويقال أن دايدالوس التجأ إلى أحد أحياء أتيكا ثم التجأ إلى كنوسوس فى كريت ، وكان من دواعى سرور الملك مينوس أن يرحب بمثل هذا المخترع العظيم ٠ وعاش هناك لبعض الوقت معززاً مكرماً حتى اكتشف الملك مينوس أنه ساعد زوجته باسيفاى على الجماع مع ثور بوسيدون الأبيض فحبسه هو وابنه ايكاروس فى المتاهة (لابيرينث) التى شيدها دايدالوس نفسه ٠ وكان دايدالوس قد تزوج من إحدى إماء الملك مينوس وتدعى " ناوكراتى" وأنجب منها ولده إيكاروس ٠ وقد نجحت باسيفاى زوجة الملك مينوس فى تحرير دايدالوس وابنه من المتاهة ٠

ولم يكن من اليسير على دايدالوس أن يهرب من كريت لأن مينوس كان قد فرض حراسة عسكرية مشددة على كافة سفنه كما عرض مكافأة سخية لمن يلقى القبض على دايدالوس ٠ ولكن دايدالوس صنع زوجاً من الأجنحة لنفسه وزوجاً آخر من الأجنحة لابنه إيكاروس ، وبعد أن ربط أجنحة ولده ايكاروس قال له والدموع تترقرق فى عينيه " إحذر يا بنى ، إياك والتحليق عالياً حتى لا تصهر الشمس الشمع (الذى يلصق الريش الصغير) أو أن تطير

منخفضاً حتى لا يبلل البحر ريشك " ٠ وطار الإثنان معاً وقال الأب لولده " أتبعنى عن قرب ، ولا تسلك سبيلاً بمفردك " ٠ وبينما كانا يطيران مسرعين فى إتجاه الشمال الشرقى وهما يضربان بأجنحتهما كان الصيادون والرعاة والمزارعون يحملقون فيهما وهم يظنون أنهما إلهين ٠

وفى أثناء طيرانهما غادرا جزر ناكسوس وديلوس وباروس (من جزر الكيكلاديس) خلفهما إلى اليسار لم يلتزم إيكاروس بتعليمات والده وبدأ فى التحليق عالياً نحو الشمس وقد سره أن يرتفع عالياً بجناحيه العظيمين ٠ وحين تطلع دايدالوس فوق كتفيه لم يعد يرى إيكاروس ، ثم رأى بضع ريشات متناثرة فوق الأمواج من تحته ، إذ صهرت حرارة الشمس الشمع وسقط إيكاروس فى البحر وغرق ٠ وظل دايدالوس يطوف فوق المنطقة حتى طفت جثة إيكاروس على سطح الماء فحملها إلى الجزيرة القريبة ــ التى صارت تعرف بأسم " إيكاريا " ـ حيث دفنه ٠

ثم واصل دايدالوس طيرانه نحو الغرب إلى أن حط فى كوماى قرب نابولى فى إيطاليا حيث نذر جناحيه هناك للإله أبوللو وشيد له معبداً له سطح ذهبى ٠ وبعد ذلك زار كاميكوس فى صقلية حيث استقبله ملكها كوكالوس بحفاوة وأكرم ضيافته ، وعاش دايدالوس بين الصقليين وتمتع بسمعة ممتازة وشيد عدداً من المبانى الجميلة ٠

في الوقت ذاته كان الملك مينوس فى كريت قد أعد أسطولاً كبيراً وشرع يبحث عن دايدالوس • وكان مينوس قد أحضر معه صدفة بحرية تسمى صدفة التريتون ، وحيثما ذهب أو حل كان يعد بمكافأة مجزية لمن يستطيع أن يمرر خيطاً من الكتان عبر هذه الصدفة ، وهى مسألة كان مينوس يعلم أن الوحيد القادر على إيجاد حل لها هو دايدالوس ، بمعنى أن هذه كانت حيلة للوصول إلى مكان دايدالوس • وحين وصل مينوس إلى " كاميكوس " عرض أمر الصدفة على كوكالوس الملك الذى تعهد بأن يمرر الخيط من خلالها، وقام بعرض الأمر على دايدالوس ـ وهو على يقين من أنه سيهتدى للحل ـ الذى تمكن من التوصل لكيفية فعل ذلك • وحين أعاد كوكالوس الصدفة وقد مر من خلالها خيط الكتان إلى مينوس وطالبه بالمكافأة الموعودة تأكد الأخير من أنه قد توصل أخيراً إلى معرفة مخبأ دايدالوس وطالب بتسليمه إياه • ولكن بنات كوكالوس كن كارهات لفقد دايدالوس الذى سبق أن صنع لهن ألعاباً جميلة فدبرن بمساعدته مؤامرة لمينوس • إذ قام دايدالوس بمد أنابيب عبر سطح الحمام وصبت بنات كوكالوس فيها مياها مغلية ـ أو فى رواية أخرى قاراً مغلياً ـ على مينوس وهو ينعم بالاستحمام فى حمام دافئ• وأعاد كوكالوس ـ الذى ربما كان متورطاً فى المؤامرة ـ الجثة إلى الكريتيين مدعياً أن مينوس قد تعثر فوق سجادة وسقط فى برميل به ماء مغلى •

وبعد وفاة مينوس سقط الكريتيون فى أتون فوضى شاملة بعد أن أحرق الصقليون الجانب الأكبر من أسطولهم ٠

مصادر الأسطورة :

- Apollodorus, Bibliotheke III. 15 ; Epitome I. 12, 14 - 15 .
- Diodorus Siculus ; IV . 76 - 79 .
- Hyginus, Fabula 39 , 40 , 274 .
- Ovid, Metamorphoses, VIII . 182 - 259 .
- Pliny, Natural History, VII. 57 .
- Plutarch, Theseus 19 .
- Pausanias : I . 21 ; IV . 77 ; VII . 4 - 5 ; IX . 11 . 2 - 3 .
- Virgil , Aeneid VI. 14 ff.
- Zenobius, Proverbs IV . 92 .

وهناك إشارات مبكرة نسبياً للأسطورة من القرنين الخامس والرابع ق٠م٠ :

ربما كانت هناك إشارة للأسطورة فى مسرحية " الكريتيون " المفقودة ليوربيديس ٠ كما أن فريكيديس من ليروس ــ الذى قضى معظم حياته فى أثينا ــ من أوائل القرن الخامس ق٠م٠ أشار فى بعض الشذرات المتبقية من مؤلفه الضخم حول تاريخ الأساطير إلى

أن أريادنى ابنة مينوس ملك كريت قد أحضرت الخيط الذى أعطته لثيسيوس ليسهل له دخول المتاهة ومنازلة المينوتاوروس والخروج من المتاهة ـ من دايدالوس • أما أول رواية عن هرب دايدالوس وإيكاروس فترجع إلى كاتب من القرن الرابع ق•م• اسمه بالايفاتوس Palaiphatos ـ وهو أيضاً أول مصدر يعطينا عدداً من الملامح الأخرى عن قصة باسيفاى زوجة مينوس وثور الإله بوسيدون • وهو يذكر أن مينوس قد حبس دايدالوس وإيكاروس لسبب ما وأن دايدالوس قد صنع أجنحة وثبتها لنفسه ولولده وطارا بها بعيداً •

أما بقية التفاصيل المذكورة فى سياق الأسطورة فقد وردت فى المصادر المتأخرى المذكورة أعلاه ، وإن كان هيرودوت (7. 170. 1) قد أشار فى إيجاز إلى تعقب مينوس لدايدالوس فى صقلية ووفاة مينوس هناك ، كما أن هناك مسرحية مفقودة لسوفوكليس عنوانها " أهل كاميكوس Kamikoi " ــ تلك المدينة التى لجأ إليها دايدالوس فى صقلية ـ ربما كان موضعها هو هرب دايدالوس إلى هناك واستضافة ملكها له •

- Timothy Gantz , Early Greek Myth, John Hopkins Univ. Press, 1993, pp. 273 - 75 .

دلالات الأسطورة :

إذا ما تتبعنا مصادر هذه الأسطورة لوجدنا أنها مصادر متأخرة يعود أكثرها تفصيلاً وهو أبوللودوروس الأثينى – على الأرجح – إلى القرن الثانى ق٠م٠ بمعنى أنه ليس هناك مصادر قديمة معاصرة أو حتى قريبة نسبياً من أحداث الأسطورة التى تدور فى عهد الملك مينوس أشهر ملوك كريت الذى يرجع تاريخه إلى حوالى منتصف الألف الثانى ق٠م٠ وإذا كانت هذه المصادر هى المتاحة عن هذه الأسطورة فإن أقدم المصادر عن الأسطورة (والتى لم تصل إلينا منها سوى إشارات موجزة) تعود إلى ما قبل هذه امصادر المتاحة بقرنين أو ثلاثة على الأكثر ، أى إلى القرن الخامس ق٠م٠ أى أنها أسطورة متأخرة ٠

مما سبق يبدو أن هذه الأسطورة أسطورة دعائية بحتة من جانب الأثينيين فى فترة الإزدهار والسيادة الأثينية على العالم اليونانى فى أعقاب انتصار اليونانيين على الفرس فى النصف الأول من القرن الخامس ق٠م٠ (وهو الانتصار الذى لعبت أثينا أدواراً مهمة فيه) وتزعم أثينا لحلف ديلوس المكون من معظم المدن والجزر المطلة على بحر إيجة ومكاسبها المادية والمعنوية والسياسية من وراء ذلك ٠ هذه الأسطورة الدعائية تريد أن تعطى انطباعاً بعراقة تلك الحضارة الأثينية وأنها ليست حديثة العهد فى العصر

الكلاسيكى فقط ، وإنما تضرب بجذورها إلى ما قبل ذلك بقرون عديدة قد تصل إلى حوالى ألف عام ٠

ولكن ما الذى يدعو الأثينيين إلى توليف أو تضخيم وتوسيع نطاق هذه الأسطورة فى حوالى القرن الخامس ق٠م٠ أى مع مرحلة الازدهار الأثينى ؟ لقد رأينا أن أثينا لم تكن من المدن اليونانية ذائعة الصيت أو ذات الدور الحضارى البارز فى العصر الموكينى (١٦٠٠ ـ ١١٢٥ ق٠م٠ تقريباً) الذى كانت أبرز مدنه فى بلاد اليونان ـ فى وسط وجنوب اليونان ـ طيبة وأرخومينوس وتيرنس وبيلوس بالإضافة إلى موكينى ٠ وقد ظل تأثير الحضارة المينوية الكريتية الأقدم واضحاً على الحضارة الموكينية الوليدة حتى حوالى منتصف العصر الهيللادى المتأخر الثانى (حوالى ١٤٥٠ ق٠م) ، وبعد ذلك كان المنحنى الحضارى لكريت آخذاً فى الانحدار بينما كانت حضارة موكينى والمدن اليونانية التى تدور فى فلكها فى تقدم وازدهار ؛ كل هذا دون ذكر أو دور حضارى أو سياسى بارز لأثينا٠ هذا عن عصر البرونز فى بلاد اليونان ، أى عصر الحضارة اليونانية المبكرة وهو العصر الذى انتهى بالغزو الدورى لبلاد اليونان والذى أطاح بمعظم معالم هذه الحضارات القديمة وأسفر عنه ما يسمى بالعصر المظلم (عصر الحديد فى بلاد اليونان من حوالى ١٠٥٠ إلى حوالى ٨٥٠ ق٠م٠) ٠ ولما كانت أتيكا هى المنطقة الوحيدة فى بلاد اليونان التى صدت الغزاة الدوريين ولم تمكنهم من دخولها بفضل بسالة الملك الأثينى " كودروس " الذى لقى

حتفه دفاعاً عن وطنه فإن هذا الإقليم لم يحدث بـه انقطـاع حضـارى نتيجة لهذا الغزو الشرس ـ كما حدث لبقية بلاد اليونان ـ بل استمر التواصـل الحضـارى فيـه عكـس بقيـة الإغريـق ٠ هـذا التواصـل الحضارى منح أثينا ميزة على بقية أقرانها الإغريق ـ رغم أنها لـم تكن من قبل بأفضلهم وأبرزهم ـ إذ لم تكن مضطـرة لكـى تبدأ بنـاء حضارياً من نقطة الصفر كـالآخرين بعد مرحلـة المخـاض العسير على مدى حوالى ثلاثة قرون أثناء وبعد الغزو الدورى ٠ لكن بعد هذه المرحلة ايضاً بدأت تتبلور معالم حضارية يونانيـة جديـدة خـلال العصـر الآرخـى (٧٥٠ ــ ٤٨٠ ق٠م٠ تقريبـاً) كـان مـن أبرزهـا الانتشار والاستيطان الإغريقى فى أرجاء شتى حـول حـوض البحـر المتوسـط والبحـر الأسـود لأسـباب ودواعـى سياسـية واقتصاديـة واجتماعيـة ٠ وكـانت هنـاك مـدن يونانيـة عديـدة لعبـت دوراً مبكـراً بارزاً ومميزاً فـى حركـة الاستيطان خـلال القرنيـن الثـامن والسـابع ق٠م٠ ، وكـان مـن أهـم هـذه المـدن خـالكيس واريتريـا فـى جزيـرة يوبويا وكورنثة ومدن الآخيين وميجارا وأسبرطة وميليتـوس ، دون ذكر لأثينا التى لم تشترك فى هذه الريادة الاستيطانية ولم تخض فـى هذا المجال إلا فى أواخر القرن السابع ق٠م٠ ـ على استحياء ـ فـى مستوطنة " سيجيون " عند مدخل مضيق الهيلليسبونت (الدردنيـل) حوالـى سـنة ٦١٠ ق٠م٠ ثـم بعـد ذلـك خـلال عهـد الطاغيـة بـيز سستراتوس خلال القرن السـادس ق٠م٠ إذاً كـانت صـورة أثينـا فـى العالم اليونانى فى عصر البرونز والعصر الآرخى مهمشة من حيـث

الإسهام الحضارى والتاريخى فى الفترتين ٠ ولم تلعب أثينا الدور الأبرز فى العالم اليونانى إلا فى العصر الكلاسيكى ـ وخاصة خلال القرن الخامس ق٠م٠ وبالأحرى خلال الأعوام الخمسين من ٤٨٠ إلى ٤٣٠ ق٠م٠ وهى العصر الذهبى لأثينا ـ ومن هنا جاءت أسطورة دايدالوس لتعطى أثينا دوراً مفترضاً فى أحداث عصر البرونز من الناحية الحضارية (إضافة إلى دور سياسى فى أسطورة ثيسيوس كما سنرى) وريادة مزعومة فى مجال الإستيطان ، أو على الأقل استكشاف مواطن الاستيطان النائية ٠

ولنتتبع هذه الدلالات والمضامين فى الأسطورة على النحو التالى :

– تشير الأسطورة إلى التقدم الحضارى الأثينى المبكر فى مجال المخترعات والصناعات والفنون كما هو واضح فى مخترعات وابتكارات دايدالوس ـ سواء فى أثينا أو كريت أو جنوب إيطاليا وصقلية ـ وكذلك مخترعات ابن اخته الشاب الصغير تالوس التى أثارت غيرة وحقد خاله دايدالوس عليه ٠ وكذلك فإن استفادة مينوس ملك كريت ثم أهل صقلية من مخترعات دايدالوس تشير فى دلالة واضحة ـ حسب الأسطورة ـ إلى الدور الأثينى الريادى المبكر (المزعوم) فى مجال الإسهام الحضارى فى المناطق المجاورة لبلاد اليونان جنوباً فى كريت وغرباً فى غرب إيطاليا وصقلية ٠ كما أن فى وصول دايدالوس إلى غرب إيطاليا ـ وكوماى تحديداً ـ وجزيرة

ساردينيا وإقامته فى جزيرة صقلية دلالة واضحة على إشارة لإسهام أثينى مبكر فى مجال استكشاف المستوطنات الإغريقية النائية ـ التى استوطنها الإغريق فى أزمنة لاحقة فى القرنين الثامن والسابع ق٠م٠ ـ وفتح الطريق أمام بقية الإغريق للتعرف على تلك البقاع النائية ٠ لقد اشتهرت " كوماى " فى غرب إيطاليا قرب شمال خليج نابولى بأنها أقدم وأبعد ـ لفترة طويلة ـ المناطق التى وصل إليها الاستيطان الإغريقى ، ومن هنا اتجه ذهن مؤلف الأسطورة لكى ينسب إلى شخصية دايدالوس ـ وبالتالى لأثينا ـ فضل الكشف المبكر عن هذه المستوطنة تحديداً ليعطى لأثينا فضل الريادة بين الإغريق فى الاستكشاف والاستيطان ٠ بل لقد بلغ الحال بواضع الأسطورة أن جعل دايدالوس يقدم الجناحين اللذين طار بهما من كريت إلى كوماى نذرا للإله أبوللون ويبنى له معبداً له سطح ذهبى فى كوماى، وهى بعض طقوس الاستيطان الإغريقى فى وقت لاحق لكى تبارك الآلهة المستوطنة الجديدة ٠

ـ تضفى الأسطورة عراقة مزعومة على بعض المؤسسات السياسية الحاكمة فى أثينا من وقت لاحق مثل مجلس الأريوباجوس الذى تنسب إليه الأسطورة اتخاذ قرار نفى دايدالوس إثر اغتياله لابن اخته تالوس ٠ إذ من المعروف أن مجلس الأريوباجوس كان هو المجلس التشريعى والسياسى الرئيسى فى أثينا فى فترة الحكم الارستقراطى (الأشراف) أى بعد زوال الحكم الملكى من أثينا بعد الغزو الدورى ٠ وقد برز دور مجلس الأريوباجوس فى أثينا خلال

القرنين الثامن والسابع ق٠م٠ إذ كان المجلس التشريعى الرئيسى الذى يتألف من صفوة الأشراف ويصدر القوانين ويحافظ على الدستور ويختار الأراخنة ويراقب أعمالهم حتى قلص سولون صلاحياته فى أوائل القرن السادس ق٠م٠

ـ تذكر الأسطورة أن دايدالوس تزوج من إحدى أماء الملك مينوس وتدعى " ناوكراتى " وأنجب منها ولده إيكاروس ٠ وإذا تعرفنا على معنى كلمة " ناوكراتى " فى اليونانية نجد أنها تعنى "القوة البحرية " ، وفى هذا دلالة على أن دايدالوس الأثينى قد خبر وعرف عن قرب القوة البحرية الكريتية التى أشتهر بها الملك مينوس * وهذا يعنى ضمنياً أن أثينا قد تعرفت على القوة البحرية الكريتية ـ التى كانت أحد جوانب القوة التى تخدم (إحدى إماء) الملك مينوس ـ مما سيساعد أثينا على إضعاف قوة كريت كما توحى بقية الأسطورة ٠ فعندما لاحق مينوس دايدالوس فى صقلية استطاع الآخير أن يقضى عليه بالحيلة والخديعة ، وتسقط كريت بعد ذلك فى خضم الفوضى والانهيار ٠

يفسر البعض نزوح وهرب دايدالوس وإيكاروس شمالاً فى بحر إيجة ثم توجه دايدالوس غرباً إلى كوماى وساردينيا وصقلية هرباً من وجه الملك مينوس بأنه ربما يرمز إلى هرب صناع البرونز المحليين من الكريتيين (على إعتبار أن دايدالوس كان

---

* R. Graves, Greek Myths, London, 4th ed. 1965 , pp. 316 - 317 , note 5.

مـاهراً فـي الصناعـات المعدنيـة) مـن كريـت كنتيجـة لهجمـات الهيلينيين** فى وقت ضعف الحضارة المينوية الكريتية ٠

(٦) أسطورة ثيسيوس فى كريت

ملخص الأسطورة :

ثيسيوس فى الأساطير الإغريقية هو البطل القومى لأثينا وهـو ابن أيجيوس ملـك أثينـا وأيـثرا ابنـة بيتثيـوس ملك " ترويزيـن " فـى منطقة أرجوليس ٠ وقد صور ثيسـيوس علـى أنـه صديـق ومعـاصر لهيراكليس (وبذلـك فهـو ينتمـى إلـى الجيـل السـابق علـى الحـروب الطروادية) وأنه يباريه فى أعماله وإنجازاته ٠ وحين ترك أيجيوس إيثرا فى ترويزين طلب منها أن يقوم ولدهما ثيسيوس ـــ حين يبلـغ مبلـغ الرجـال ـــ برفـع صخـرة ضخمـة وأن يحضـر إلـى أثينـا سـيفا وصندلا (خفا) مخبئين تحتها ٠ وفى الوقت المحدد رفـع ثيسيوس الصخـرة بسـهولة واسـتخلص الأمـارات التذكاريـة الموجـودة تحتهـا وانطلق نحو أثينا سالكا طريقا بريـاً وعـراً ٠ وفـى طريقـه إلـى أثينـا أهلـك عصابـات عديـدة مـن قطـاع الطريـق والوحـوش مثـل **بروكروستيس** (قـاطع الطريـق بيـن أثينـا وإليوسـيس الـذى كـان يستضيف عابرى السبيل ثم يمسك بالواحد منهم ويثبتـه علـى سـرير

** Ibid., p. 316 , note 4 .

ويجعل طوله مماثلاً لطول السرير إما بقطع بعض أطرافه إن كان أطول من السرير أو بشد هذه الأطراف وخلعها إن كان أقصر من السرير • وقد طبق ثيسيوس نفس المعاملة عليه وقطع رأسه) **وسكيرون** (قاطع الطريق الذى كان ينقض على المسافرين على الطريق الجبلى بين أثينا وميجارا ويجعلهم ينظفون له قدميه وبينما هم يفعلون ذلك كان يطيح بهم أقدامه من فوق المرتفع حيث تقوم سلحفاة عملاقة بالتهامهم) **وسينيس** الذى أعتاد أن يربط ضحاياه إلى شجرتى صنوبر يحنيهما حتى الأرض ثم يتركهما ليعودا لوضعهما الطبيعى فتشطران الضحية إلى نصفين •

عند وصوله إلى أثينا تعرفت عليه ميديا التى كانت قد ألتجأت إلى ايجيوس ملك أثينا بعد فرارها من أرجوس بعد أن قتلت عروس جاسون وصهره وولديها منه • وقد حاولت ميديا القضاء على ثيسيوس حين أوعزت إلى أيجيوس بأن يبعث به ضد ثور الماراثون أو ـ حسب رواية البعض ـ ثور باسيفاى الذى أحضره هيراكليس من كريت • وفى طريقه إلى ماراثون استقبلته وأكرمت ضيافته سيدة عجوز تدعى " هيكالى " ، وحين عاد ثيسيوس بعد أن قتل الثور الذى عاث فساداً وتخريباً فى سهل ماراثون وجد أن هيكالى قد ماتت وأمر بتكريم ذكراها والاحتفال بها • وحين عاد إلى أثينا حاولت ميديا أن تقتله بالسم ، لكن أيجيوس تعرف على ابنه ثيسيوس فى الوقت المناسب وأجبرت ميديا على مغادرة أثينا إلى كولخيس ومعها ميدوس ولدها من أيجيوس •

أما عن علاقة أثينا بجزيرة كريت خلال تلك الفترة (حكم ايجيوس ومينوس) فإن هناك أسطورة عن أبناء مينوس من باسيفاى تروى بأن أحدهم ويدعى أندروجيوس كان يزور أثينا ويشارك فى مسابقات ألعاب " الباناثينايا" ويفوز بها على الدوام • ولكن الملك أيجيوس علم بصداقة أندروجيوس لأبناء باللاس ــ أحد الأبطال الاتيكيين ــ الخمسين المتمردين وخشى من أن يحث أباه مينوس على تأييدهم ومؤازرتهم فى ثورة صريحة على حكم أيجيوس فتآمر مع الميجاريين على نصب كمين له فى " أورينوى " وهو فى طريقه إلى طيبة حيث كان سيشارك فى منافسة بعض الألعاب الجنائزية ، وقد دافع أندروجيوس عن نفسه ببسالة ثم سقط قتيلاً •

ولما علم مينوس باغتيال ولده على أيدى الاثينيين صمم على الانتقام منهم وأبحر إلى أرجاء بحر إيجه ليجمع السفن والرجال المسلحين ــ إذ كان لمينوس سطوة كبيرة فى المنطقة وكان قد طهّرها من القراصنة ــ وقد وافق بعض أهل الجزر على مساعدته ورفض البعض الآخر • فى الوقت ذاته كان مينوس يغير على برزخ كورنثة وفرض حصاراً على نيسا التى كان يحكمها نيسوس المصرى الذى كانت له ابنة تدعى سكيللا كانت تشاهد القتال من فوق برج القلعة • وقد طال حصار الكريتيين للمدينة وأصبحت سكيللا تعرف أسماء كل المحاربين الكريتيين وأذهلها جمال ملكهم مينوس فوقعت فى غرامه بصورة خرقاء جعلتها تتسلل إلى غرفة أبيها وتقص تلك الخصلة اللامعة الشهيرة من شعره التى كانت

تتوقف عليها حياته وعرشه وهو مستغرق فى نومه وسرقت مفاتيح بوابة المدينة وفتحت البوابة وانسلت خارجة ٠ وتوجهت سكيللا إلى خيمة مينوس مباشرة وعرضت عليه خصلة شعر أبيها فى مقابل حب مينوس لها ٠ وفى الليلة ذاتها تمكن مينوس من اقتحام المدينة وتدميرها وضاجع سكيللا ولكنه لم يشأ أن يصطحبها معه إلى كريت لأنه عاف وكره جريمة قتلها (تواطئها فى قتل) أبيها ٠ وحاولت اللحاق سباحة بسفينة مينوس ولكنها غرقت وتحولت روحها إلى طير من طيور البحر له صدر قرمزى اللون وأرجل حمراء وتحولت روح أبيها إلى عقاب (نسر) بحرى يطاردها دوماً ٠ وقد أطلق على نيسا بعد ذلك اسم ميجارا تكريماً لميجاريوس بن أوينوبى من هيبومينيس ، وقد كان ميجاريوس حليفاً لمينوس وتزوج ابنته ايفينوى ويقال أنه خلفه على عرش المدينة ٠

أما من ناحية الحرب ضد أثينا فقد طالت وامتدت ووجد مينوس أنه من غير الممكن اخضاعها فطلب من أبيه زيوس أن ينتقم له عن وفاة ابنه أندروجيوس فأصيبت كل البلاد اليونان بالقحط والزلازل ٠ ولما طلب ملوك اليونان النصيحة من وحى ديلفى نصحهم بأن يجعلوا اياكوس (أحد أتقياء الإغريق من جزيرة إيجينا) يقدم أضحيات نيابة عنهم فتوقفت الزلازل فى كل مكان عدا أتيكا ٠ وحاول الاتيكيون أن يزيحوا هذه اللعنة عنهم بأن قدموا مزيداً من الأضحيات إلى بيرسيفونى لكن دون جدوى إذ استمرت الزلازل فى أتيكا فطلبوا المشورة من وحى ديلفى فأخبرهم بأن يقدموا لمينوس ما

يشاء من ترضية ، وكانت الترضية التى طلبها مينوس أن يرسل الأثينيون إليه إتاوة (تقدمة تعبيراً عن التكفير عن جرمهم) تتمثل فى سبعة شبان وسبع فتيات عذارى كل تسع سنوات إلى كريت كفريسة يلتهمها ثور مينوس (المينوتاوروس) فى المتاهة .

وبعد فترة وجيزة من وصول ثيسيوس إلى أثينا بعد أن قتل ثور الماراثون حل وقت تقديم الضحايا الاثينيين من الشباب والفتيات لثور مينوس فى كريت للمرة الثالثة . وقد تعاطف ثيسيوس مع هؤلاء الشباب تعاطفاً عميقاً كما تعاطف مع الأهالى الذين كان أولادهم يختارون لهذا الغرض بالقرعة ، لذلك عرض ثيسيوس أن يقدم نفسه كأحد هؤلاء الضحايا من الشباب رغم محاولات أيجيوس المستميتة لإثنائه عن ذلك . ولكن يذكر البعض أن القرعة وقعت عليه ، فى حين يذكر البعض الآخر أن الملك مينوس أتى بنفسه مع أسطول كبير ليختار الضحايا وأن عينيه وقعتا على ثيسيوس الذى تطوع الذهاب إلى كريت بشرط أن فى حالة تمكنه من الانتصار على ثور مينوس بيديه مجردتين (بغير سلاح) تتوقف عملية إرسال الضحايا من الشباب والفتيات إلى كريت .

وفى المناسبتين السابقتين فى إرسال الضحايا إلى كريت كانت السفينة التى تحمل الأربعة عشر شاباً وفتاة ترفع اشرعة سوداء ، ولكن ثيسيوس كان واثقاً من أن الآلهة كانت فى صفه ولذلك أعطاه أبوه أيجيوس شراعاً أبيض كى يرفعه على الصارى عند عودته

رمزاً لتوفيقه فى إنجاز مهمته ٠ وكان قبطان السفينة هو " فاياكس " جد الفاياكيين الذى حل أوديسيوس فيما بعد ضيفاً عليهم لأن الأثينيين حتى ذلك الحين لم يكونوا يعلمون شيئاً عن الملاحة وركوب البحر ٠

وعند وصول هؤلاء الأثينيين إلى كريت وقعت أردياني ابنة الملك مينوس فى غرام ثيسيوس من النظرة الأولى ووعدته بتقديم العون له فى قتل أخيها غير الشقيق " المينوتاوروس " إن هو وعدها بأن تعود معه إلى أثينا كزوجة له ، وأقسم ثيسيوس لها على ذلك ٠ وكان دايدالوس ـ قبل مغادرته كريت ـ قد أعطى أريادنى كرة من الخيط السحرى وعلمها كيفية دخول المتاهة والوصول إلى المينوتاوروس والخروج عن طريق هذا الخيط ، فأعطت أريادنى هذه الكرة من الخيط لثيسيوس لتعاونه فى الوصول إلى المينوتاوروس ثم الخروج من المتاهة بعد ذلك ٠وقد تمكن ثيسيوس - من خلال مساعدة أريادنى ــ من الوصول إلى حيث يرقد هذا الوحش وتمكن من قتله وخرج من اللابيرينث حين لف الخيط فى صورة كرة مرة أخرى ٠

حين خرج ثيسيوس من المتاهة ملطخاً بالدماء احتضنته أريادنى بشوق وشغف وقادت الاثينيين إلى المرفأ ومكنتهم من الهرب والعودة على متن سفنهم وهى معهم بعد أن قتلوا الحراس الذين كانوا يحرسون الشباب الأثينى الذين كانوا سيقدمون كضحايا٠ وبعد بضعة أيام رست السفن على جزيرة ناكسوس (كان اسمها

آنذاك " ديا ") وهناك ترك ثيسيوس " أريادنى " نائمة على الشاطئ وأبحر بسفنه • وحين استيقظت أريادنى ووجدت نفسها وحيدة على الشاطئ انخرطت فى بكاء وعويل مرير لهذا الجحود والأنانية من قبل ثيسيوس ويقال أن الإله ديونيسوس ورفاقه من الساتيروى أنقذوها وسروا عنها وأنها تزوجت ديونيسوس وأنجبت منه أطفالاً كثيرين • أما عن ثيسيوس فقد أبحر من ناكسوس إلى ديلوس وقدم أضحيات هناك للإله أبوللو واحتفل بإقامة ألعاب رياضية على شرف هذا الإله •

وبعد ذلك أبحر ثيسيوس بسفنه إلى أثينا ولكنه نسى أن يضع الشراع الأبيض ـ رمز عودته المظفرة ـ على الصارى ، وكان أبوه أيجيوس يراقب الموقف من فوق أكروبول أثينا فأبصر الشراع الأسود على السفينة فأغمى عليه وسقط على التو فى الوادى الواقع تحته ولقى حتفه ، ولكن يذكر البعض أنه ألقى بنفسه عمداً فى البحر فسمى ببحر إيجة نسبة إليه •

وقد خلف ثيسيوس أباه أيجيوس على عرش أثينا ووطد حكمه وسيادته هناك بأن قضى على كل خصومه تقريباً باستثناء باللاس ومن تبقى من أبنائه الخمسين • وبعد بضع سنوات أعدم هؤلاء كذلك كإجراء وقائى ، وحين اتهم بالقتل فى محكمة أبوللو عرض دفاعاً غير مسبوق عن موقفه بأن ما فعله هو " قتل نفس بشرية له ما يبرره " وهو ما جعل المحكمة تبرئه • وقد تطهر من دمهم فى

ترويزين حيث أصبح ابنه " هيبوليتوس " يحكم هناك كملك ، وقضى ثيسيوس عاماً هناك ٠

وقد أثبت ثيسيوس أنه حاكم ملتزم بالقانون وبادر بإقامة نظام حكم فيدرالى فى إقليم أتيكا وهو أساس استقرار ورفاهية أثينا فيما بعد ٠ فمن قبل هذه الخطوة من قبل ثيسيوس كانت أتيكا منقسمة إلى إثنى عشر مجتمعاً ، كل منها يدير شئونه دون استشارة الملك الأثينى إلا فى أوقات الطوارئ العصيبة ٠ بل لقد وصل الأمر بأهل إليوسيس إلى إعلان الحرب ضد الملك اريخثيوس ــ أقدم ملوك أثينا ـ كما اتسع نطاق اشتباكات داخلية ضروس أخرى ٠ وإذا ما كان على هذه المجتمعات أن تتخلى عن استقلالها لتنضوى تحت حكم أثينا وملكها ثيسيوس فى ظل نظام فيدرالى فقد كان لزاماً على ثيسسيوس أن يتقرب إلى كل عشيرة وعائلة واحدة وراء الأخرى وهو ما فعله ٠ وقد وجد عامة الناس والمزارعين من أقنان الارض على استعداد لتلبية أوامره وأفكاره كما أقنع معظم كبار ملاك الأرض بالموافقة على خطته بأن وعدهم بإلغاء الملكية وإحلال الحكم الديمقراطى محلها على أن يبقى هو القائد الأعلى وكبير القضاة ٠ أما أولئك الذين ظلوا غير مقتنعين بمقولاته فقد رضخوا له احتراماً لقوته على الأقل ٠

مصادر الأسطورة :

اقدم ذكر لثيسيوس نجده فى البيت رقم ٢٦٥ من الكتاب الأول من الإلياذة ، وسياق ذكره هو حديث نسطور الحكيم ملك بيلوس لتهدئة الخصام بين أخيليوس وأجاممنون ، وهو يعرج فى هذا الحديث على المحاربين الإغريق الشجعان الذين عاصرهم والذين لم ولن يشاهدهم لأنهم من أجيال أقدم منه ، وبين هذه الفئة الأخيرة يذكر " ثيسيوس بن أيجيوس ، صنو الخالدين • Θησεα τ' Αιγειδην, επιεικελον αθανατοισιν.

لكن مشكلة هذا البيت أنه محذوف معظم المخطوطات التى وصلتنا من الإلياذة ، وهو على الأرجح مدسوس لى الإلياذة فى فترة متأخرة بعد تدوينها فى عهد بيزستراتوس • أنظر :

- A . T. Murray , The Iliad of Homer, Loeb,, ed. 1988 , n. 2 on 1. 265 of book 1 , p. 22 .
- T. Gantz , Early Greek Myth, Johns Hopkins Univ. Press, 1993, p. 248 .

ولكن فى الأوديسية (الكتاب الحادى عشر ـ الأبيات ٣٢١ ـ ٣٢٥) يذكر ثيسيوس فى سياق الحديث عن " أريادنى الجميلة ابنة مينوس الرهيب التى كان ثيسيوس يتوق لأن يأتى بها من كريت إلى تل أثينا المقدسة ، لكنه لم ينعم بذلك لأن أرتميس قد أودعتها جزيرة " ديا " من أجل شهادة ديونيسوس " •

هذه الأبيات فى الأوديسية ربما تؤيد رأى بعض علماء الدراسات الهومرية من أن الأوديسية ربما ليست من صياغة ونظم نفس الشاعر الذى حرر التراث الفولكلورى الإغريقى القديم المتعلق بالإلياذة وهو هوميروس ؛ وأن الأوديسية ربما كانت من نظم شاعر آخر فى زمن لاحق ٠

ـ وباستثناء هذه الإشارة المبهمة فلا يوجد ذكر لثيسيوس فىالمصادر مطلقاً قبل القرن الخامس ق٠م٠ أما من القرن الخامس نفسه فإن ثيسيوس مذكور عند الشاعر باخيليديس فى قصيدته السابعة عشرة من الشعر الديثورامبى عن رحلة ثيسيوس مع مينوس إلى كريت ضمن بقية الشباب الاثينى ممن سيضحى بهم ، وفى هذه القطعة يقطع باخيليديس بأن والد " ثيسيوس " هو الإله بوسيدون ولكنه يذكر فى موضع آخر من نفس العمل أنه من نسل بانديون ، كما يذكر أن أمه هى أيثرا ابنة بيتثيوس ملك ترويزين ٠ كما يرد ذكر ثيسيوس فى مسرحية " ميديا " ليوربيديس بصورة ضمنية عند عودة ايجيوس من وحى ديلفى ـ بعد استشارته له بخصوص عقمه ـ ومروره بكورنثة ولقائه ميديا هناك ثم ذهابه إلى ترويزين ومضاجعته لأيثرا ابنة الملك بعد زواجه منها ٠ كما نجد هذه الأحداث فى مقدمة مسرحية أخرى ليوربيديس بعنوان " الضارعات (المستجيرات) " ، كما يرد ذكر بعض جوانب من أسطورة ثيسيوس فى مسرحية " هيبوليتوس " ٠ كما أن هناك إشارة عند ثوكيديديس (II.15) إلى توحيد إتيكا تحت زعامة ثيسيوس والاحتفال بهذه

الذكرى سنوياً فى اليوم السادس عشر من شهر هيكاتومبيون (يوليو)٠ كما وردت إشارات عدة لأسطورة ثيسيوس فى بعض مسرحايت أريستوفانيس مثل " العناكب " و " السلام " و " الفرسان"٠

ـ أما بقية مصادر هذه الأسطورة والتى تعطينا أغلب التفاصيل الدقيقة عن هذا الموضع فهى مصادر لاحقة متأخرة ربما يعود أقدمها إلى القرن الثانى ق٠م٠ ويمكن أن نوجزها على النحو التالى :

أبرز هذه المصادر هى سيرة حياة ثيسيوس لبلوتارخ (حوالى ٤٦ ـ ١٢٠م) ٠

Plutarch's Lives. Thesues (Loeb) .

كما أن هناك مقتطفات متنوعة عن حياة وإنجازات ثيسيوس فى :

- Apollodorus, Bibliotheke III . 15 - 16 ; Epitome I. 1 - 11 .
- Diodours Siculus : IV . 59 - 61 .
- Hyginus : Fabula 38 , 43 , 244 .
- Ovid : Metamorphoses VII . 433 ff., 402 ff.,
- Pausanias : I . 22, 28, 37, 38 , 39, 42, 44 , II. 1. 4 ; 31 , 33.

دلالات ومضامين الأسطورة :

من خلال نظرة سريعة على مصادر هذه الأسطورة ندرك أنها ـ مثل سابقتها أسطورة دايدلوس ـ أسطورة دعائية أثينية من القرن الخامس ق٠م٠ ولكنها ذات أبعاد ومضامين سياسية هذه المرة لتضاف للأبعاد الحضارية الورادة فى أسطورة دايدالوس ، أى لتضيف لأثينا عراقة سياسية وإسهاماً فعالاً فى مقدرات بلاد اليونان منذ فترة مبكرة من التاريخ اليونانى ٠ فمثلما لم يبرز دور أثينا الحضارى بشكل واضح ضمن فعاليات الحضارة الموكينية فكذلك لم يبرز دورها السياسى واضحاً فى التراث الأدبى اليونانى المبكر كالإلياذة والأوديسية ٠ إن مساهمة أثينا مثلاً فى حملة الإغريق ضد طراودة يشار إليها باقتضاب شديد وفى مواضع محدودة : لقد حارب الأثينيون فى هذه الحملة تحت زعامة مينيسثيوس بن بيتيوس الذى كان بارعاً فى تنظيم وقيادة العربات والمحاربين الذين يحملون الدروع والذى لم يكن يباريه فى ذلك سوى نسطور بحكم تقدمه فى السن ٠ وقد أتى تحت قيادة مينيسثيوس خمسون سفينة سوداء بالإضافة إلى اثنى عشرة سفينة من سلاميس أودعها لديهم إياكس ٠ وقد ذكر هوميروس مينيسثيوس وبعض القادة الاثينيين الآخرين مثل أمفيماخوس وستيخيوس وفيدياس وبياس وياسوس ولكن دون أن يذكر أى إنجازات أو بطولات محددة لهم كما فعل مع قادة إغريق آخرين مشاهير مثل أخيليوس وأجاممنون ونسطور وغيرهم ٠ وقد

ذكرت المشاركة الأثينية فى حملة طروادة بقيادة مينيسثيوس ورفاقه فى ; Iliad : II . 551 , 558 ; IV. 328, XIII. 196, 689) XV . 337) . وبخلاف هذا الذكر العارض للمشاركة الأثينية غير البارزة أو المؤثرة فى الحملة الطروادية فإن هناك إشارة واحدة إلى تاريخ أثينا المبكر فى معرض حديثه عن المشاركة الاثينية فى الحملة الطروادية ٠ فى هذه الإشارة فى الإلياذة (II . 546 - 551) يرد عن أثينا أنها " القلعة (المدينة) جيدة التشييد وشعب اريختيوس العظيم الشهم الذى تبنته أثينا ابنة زيوس عندما ولدته الأرض مانحة الحبوب وجعلته يعيش فى أثينا فى محرابها الغنى ٠ وهناك فإن الشباب الأثينى على مر الأعوام يسعون إلى التقرب إليها بتقديم الأضحيات من الثيران والكباش " ٠

هذا يعنى أن أثينا كانت ـ أيام عصر الحضارة الموكينية خلال الألف الثانى ق٠م٠ ـ مدينة عادية لم تلعب دوراً مميزاً فى العالم اليونانى سياسياً أو حضارياً ٠ من هنا فإن واضعى الأساطير وكتاب المسرح والمؤرخين الاثينيين فى القرن الخامس ق٠م٠ ـــ قرن الازدهار والعصر الذهبى لأثينا ـ قد وسعوا من نطاق أساطير أثينية محدودة وأضفوا عليها تفاصيل وأضافات عديدة لكى ينسجوا منها حملة دعائية تعطى وتضفى عراقة سياسية وحضارية للدور الأثينى الذى برز بشدة خلال القرن الخامس ٠

إن ربط ثيسيوس بهيراكليس زمنياً وتصويره على أنه كان صديقاً ومعاصراً لهيراكليس وندا له فى أعماله ومنجزاته له دلالة سياسية تتعلق بالصراع الدائر بين أثينا واسبرطة على زعامة بلاد اليونان فى القرن الخامس ق٠م٠ إن اسبرطة ومعظم مدن البيلوبونيز كانت تنتمى إلى العنصر الدورى الذى غزا بلاد اليونان مع أواخر القرن الثانى عشر ق٠م٠ ، وقد صور الغزو الدورى فى الأساطير اليونانية على أنه بمثابة عودة لأبناء هيراكليس إلى موطنهم فى موكينى وتيرنس بعد أن طردهم أبناء بيلوبس منها بعد وفاة هيراكليس ٠ وهكذا فقد كان أهل البيلوبونيز — ولاسيما الأسبرطيين ـ يفاخرون بأنهم ينتمون إلى هيراكليس ، لذلك ضخمت أثينا من تراثها الأسطورى المحدود (أساطير ثيسيوس ودايدالوس) لتضارع هذا التباهى الاسبرطى المزعوم بالانتماء لهيراكليس ٠ بل وتنسب الأسطورة البطل الأثينى " ثيسيوس " إبن الملك أيجيوس إلى أم من منطقة " ترويزين " وابنة ملك " ترويزين " فى إقليم أرجوليس ـ وهو الإقليم الذى تقع فيه " موكينى " و " تيرنس " و " أرجوس " ـ وهو ما يقرب إلى حد بعيد بين ثيسيوس وهيراكليس من جهة ، ويدل على علاقات قديمة بين أثينا وإغريق البيلوبونيز من جهة أخرى ٠

أما عن علاقة أثينا بجزيرة كريت من عصر ايجيوس إلى عصر ثيسيوس ـ كما تتضح من خلال الأسطورة — فإن لها عدة

دلالات أراد واضعوا الأسطورة ومروجوها الإيحاء بها والإشارة إليها مثل :

ـ التفوق الكريتى على المدن اليونانية وهو يتمثل فى فوز أندرجيوس ابن مينوس على الدوام بمسابقات ألعاب أثينا الشاملة ٠ وفى قصة هذا الأمير الكريتى ما يلمح إلى تدخل كريتى فى الشئون الداخلية لأثينا عندما خشى الملك الأثينى أيجيوس من تآمره مع خصومه الاثينيين من أبناء باللاس ، ومن ثم تآمر الاثينيون مع الميجاريين فى نصب كمين له والقضاء عليه ٠ وفى هذا دلالة على تعاون الاثينيين والميجاريين فى وجه التدخلات الكريتية فى الشئون اليونانية الداخلية ٠ ومن اللافت للانتباه أن ملك ميجارا فى ذلك الحين (نيسا) كان مصرياً هو الملك نيسوس الذى سميت المدينة آنذاك بأسمه ، وربما كان فى ذلك إشارة إلى عمق الصلات المصرية ببلاد اليونان فى تلك الفترة وتغلغل نفوذهم فى بعض مناطقها مثل ميجارا ٠ كما أن شن مينوس الحرب على ميجارا وأثينا فى آن واحد لمعاقبتهما على تواطئهما فى قتل ولده يدل على مدى التعاون الوثيق بين الملك الأثينى ايجيوس والحاكم المصرى على ميجارا ، وربما كانت هذه الإشارة فى الأسطورة مقصودة بهدف إضفاء عراقة تاريخية على العلاقات الاثينية المصرية التى كانت جيدة خلال القرن الخامس ق٠م٠ لمواجهة عدو واحد للطرفين كان يجثم على أنفاس مصر آنذاك وهو الفرس ٠

كما يتضح التفوق الكريتى فى تمكن الملك مينوس من الاستيلاء على مدينة نيسا (ميجارا) بالغدر والخديعة حين وقعت سكيللا ابنة الملك نيسوس فى غرامه وسلمته سر قوة أبيها وهو خصلة شعره الأحمر ـ مثل أسطورة شمشون ودليلة ـ وكذا مفاتيح المدينة ٠ كما أن عدم تمكن الكريتيين من هزيمة الاثينيين بصورة حاسمة يرمز إلى قوة أثينا وصمودها أمام الملك الكريتى ـ من وجهة نظر واضعي الأسطورة ـ ولكن ربما كانت الإشارة إلى الزلازل والقحط فى كافة أرجاء العالم اليونانى بعد أن طلب مينوس ذلك من أبيه زيوس رمزاً إلى أن حرب مينوس ضد المدن اليونانية لم تكن سهلة بالنسبة للآخرين وكلفتهم خسائر فادحة لم تنته إلا بعد أن توسط لهم أحد الأتقياء من إيجينا الذى ربما كان يرمز إلى وساطة وإبرام صلح بين الطرفين ٠ لكن هذا الصلح مع الإغريق لم يشمل أثينا التي ظلت بها الاضطرابات حتى رضخت لشروط مينوس بإرسال أربعة عشر شاباً وفتاة من الشباب الأثينى بالقرعة كل تسع سنوات٠ هذا يدل على أن علاقة كريت بأثينا تحديداً كانت عدائية بسبب ما ألحقته أثينا بها من خسارة (يرمز لها بالأمير أندروجيوس بن مينوس) فى بادئ الأمر ولم تغفر لها كريت هذه اللطمة مطلقاً ولم يسوى الأمر بين الطرفين إلا بعد أن رضخت أثينا لشروط الكريتيين وأذعنت لمطالبهم ، وهو ما يرمز إلى نوع من التبعية لكريت ٠

ـ كل ذلك يرمز إلى أن الحضارة (المينوية) فى كريت ظلت لفترة من الزمن أقوى وأعلى شأناً من الحضارة الناشئة الوليدة

(الموكينية) فى بلاد اليونان وتؤثر فيها وتبسط اليد العليا عليها (فوز أندروجيوس الدائم فى مسابقات ألعاب الباناثينايا فى أثينا) لفترة من الزمن ثم بدأ التمرد على التفوق الكريتى واعتراض هذا المد ، وكانت أثينا ـ حسب الأسطورة ـ هى صاحبة الريادة فى التصدى لهذا المد الكبير نيابة عن بقية الإغريق ودفعت هى وحدها ـــ فى النهاية ـ ضريبة هذا الموقف دونا عن بقية الإغريق الذين تصالحوا مع الكريتيين كما ترمز الأسطورة ٠ ولكن الأسطورة ترمز أيضاً إلى تأثر اليونانيين فى بلادهم بجوانب الحضارة الكريتية تدريجياً وتعلموا منها الكثير حتى بدأوا يقفون على أقدامهم ، وكانوا خلال تلك الفترة يتعاملون بالحسنى مع الكريتيين ويحاولون إرضاءهم ٠ هذه الفترة فيما يبدو استمرت قرابة قرنين (حوالى ١٦٠٠ إلى ١٤٠٠ ق٠م٠) فى بدايات نهضة الحضارة الموكينية فى العصر الهيلادى الأول والثانى ، وخلالها أصبح منحنى الحضارة الموكينية فى صعود فى حين كان منحنى الحضارة الكريتية فى هبوط وبدأت تتأثر بالحضارة الموكينية بعد أن كانت تؤثر هى فى إغريق بلاد اليونان (ولعل خير مثال على ذلك أن إغريق بلاد اليونان أخذوا عن الكريتيين فى بداية تأثرهم بهم الكتابة الخطية الأولى ثم طوروها فى بلادهم إلى كتابة أكثر تقدماً هى الكتابة الخطية الثانية التى انتشرت فى بلاد اليونان ثم نقلوها إلى كريت) ٠ وبعد ذلك ولما ضعفت قوة الكريتيين بدأ الإغريق فى بلاد اليونان الاستعداد للإجهاز

عليهم سياسياً وحضارياً، واضطلعت أثينا ـ حسب الأسطورة ـ بهذه المهمة ٠

- وهكذا فإن أسطورة ثيسيوس فى كريت تعتبر أمتداداً للكفاح الأثينى الرائد ضد التدخل الأجنبى (الكريتى) فى الشئون اليونانية وتنسب إلى أثينا دوراً كبيراً ومبكراً فى الإجهاز على خصوم الإغريق ورد كيدهم تماماً مثلما فعلت فى الكفاح ضد الفرس فى القرن الخامس ق٠م٠ وتجسد الأسطورة البطولة والنبل الأثينى فى شخص البطل الأثينى ثيسيوس الذى أضفت عليه سلفاً من أمارات البطولة والشهامة الشئ الكثير وجعلته صنوا ونداً لهيراكليس فى إشارة لها مغزاها كما سبق أن نوهنا ٠ إن ثيسيوس يقبل التضحية ويقدم على المخاطرة بنفسه فى رحلة محفوفة بأشد المخاطر وأمل النجاة والعودة منها شبه منعدم فى سبيل إنقاذ بنى وطنه ورفاقه ومن مصيرهم المحتوم ومن أجل إعادة الاعتبار لوطنه وإنقاذه من التبعية لكريت ٠ وقد أقدم على هذه المغامرة القاسية رغم عدم التكافؤ بين قوة كريت وأثينا لا سيما فى القوة البحرية التى كانت مجال التفوق الكريتى (كما رأينا فى أسطورة دايدالوس) فى الوقت الذى لم تكن فيه أثينا على علم بأبسط فنون الملاحة بدليل أن ربان السفينة التى كانت تحمل الضحايا إلى كريت لم يكن أثينيا ٠ ثم أن القتال ضد الوحش الكريتى أو المينوتاوروس الذى كان يلتهم ضحاياه من الاثينيين التهاماً كان قتالاً غير متكافئ لا سيما وأن المتاهة الرابض بها هذا الوحش كانت مكاناً من المستحيل الخروج منه لمن دخله

حتى وإن انتصر على الوحش وهو بدوره أمر يكاد يرقى إلى المستحيلات للبشر العاديين فى عرف الأسطورة ٠

إن المنطق العادى يقول باستحالة مهمة ثيسيوس لولا أن حظه السعيد شاء أن يوقع أريادنى فى حبه فتفصح له عن أسرار المتاهة وتعطيه الخيط الذى يضمن له سلامة الدخول والخروج من المتاهة ٠ ولكن واضعى الأسطورة من الاثينيين أرادوا أن يضعوا فى ذهن المتلقى أن نجاح ثيسيوس لم يكن مرهوناً فقط بحظه السعيد أو إرادة أفروديتى التى أوقعت أريادنى فى غرامه بل أن للأمر شقاً آخر أهم يتمثل فى البراعة الأثينية التى بنت المتاهة وأدركت كنهها وأعطت لأريادنى سر الدخول والخروج منها وهو أمر كله من صنيع دايدالوس الأثينى ٠ وهكذا فإن الأسطورة تريد للمتلقى أن يدرك أن الانتصار الأثينى على غطرسة القوة الكريتية كان فى معظمه نتاجاً للدهاء والتقدم الحضارى الأثينى من جهة وللإرادة السياسية والشجاعة الفائقة للاثينيين من جهة أخرى وأنه إن كان للحظ دور فى الموضوع فهو دور محدود ومتواضع ٠

ويرى روبرت جريفز فى أسطورة ثيسيوس فى كريت (ويتفق فى ذلك مع ما ذكره بلوتارخ فى حديثه عن سيرة ثيسيوس) أنها غارة شنها ثيسيوس على كنوسوس وأنها ترمز إلى ثورة أثينية على حاكم كريتى أتخذ من الاثينيين رهائن لضمان حسن نواياهم ، كما ترمز إلى بناء أسطول محدود سراً وإلى اجتياح مدينة كنوسوس غير

المسورة وذلك خلال غياب معظم الأسطول الكريتى فى صقلية ٠ وقد ترتب على ذلك معاهدة سلام توجت بزواج الأمير الأثينى من أريادنى وريثة العرش الكريتية ٠ ويذكر أن هذه الأحداث ربما وقعت حوالى سنة ١٤٠٠ق٠م٠ وأن نزال ثيسيوس مع المينوتاوروس ونجاحه فى القضاء عليه ببراعة يشير إلى انتصار ثيسيوس على أحد قادة مينوس المبارزين فى مباراة مصارعة ترتب عليها إلغاء العبء الذى كانت تضطلع به أثينا والمتمثل فى شبابها الذين كانت ترسلهم كضحايا ٠ (R. Graves, op. cit., p. 345, n. 1.)

ـ أما عن رحلة العودة لثيسيوس من كريت إلى أثينا بعد إنجاز مهمته فإن لها بعض الدلالات التاريخية أوالاسقاطات على أحداث تاريخية لاحقة ٠ ففى طريق عودته مر بجزيرة " ديا " (ناكسوس) حيث ترك أريادنى هناك ثم يمم شطر جزيرة ديلوس حيث قدم أضحيات للإله أبوللو واحتفل بإقامة ألعاب رياضية على شرف أبوللو ٠ هذه اللمحة الأخيرة هى بيت القصيد هنا إذ ترمز إلى علاقة مبكرة بين أثينا ـ سيدة المدن الأيونية ـ وجزيرة ديلوس٠

وهى بذلك تؤصل هذه العلاقة التى بلغت أوجها خلال القرنين السادس والخامس ق٠م٠ حين أهتم الطاغية الأثينى بيزاستراتوس اهتماماً كبيراً بالاحتفالات الأيونية التى تقام فى ديلوس سنوياً للاحتفال بأعياد ابوللو وأرتميس وكان ينفق بسخاء على هذه

الاحتفالات ليعطى لأثينا مكانتها اللائقة بين جمع الأيونيين ٠ وفى القرن الخامس ق٠م٠ وبعد انتصار الإغريق على الفرس ـ وهو الانتصار الذى أسهمت فيه أثينا بدور كبير ـ تحولت هذه الريادة الأثينية بين الأيونيين من ريادة معنوية إلى زعامة سياسية فى بحر إيجة انعقد لواؤها لأثينا بعد تزعمها لحلف ديلوس البحرى الشهير ٠ وبالمناسبة فإن هذا الجزء من الأسطورة يوحى بأن السيادة التى كان يمارسها الكريتيون على جزر ومناطق بحر إيجة التى وقف بعضها إلى جوارهم فى الحرب ضد أثينا كما رأينا فى أول الأسطورة قد بدأت تتحول لصالح أثينا بعد رد الاعتبار الذى قام به ثيسيوس ، ولعل فى إطلاق اسم الملك الأثينى أيجيوس على هذا البحر دلالة واضحة على هذا التحول الذى دام بعد ذلك لأثينا ٠

ـ الدلالة الأخيرة فى أسطورة ثيسيوس هى تمكن هذا البطل والملك الأثينى القديم من القضاء على خصومه فى أثينا وإبرام تحالفات مع العشائر والعائلات الاتيكية لتوحيد أتيكا تحت الحكم الأثينى وتمكنه من إنجاز ذلك رغم الصعوبات ٠ فى هذا الجزء من الأسطورة نجد نوعاً من الدعاية السياسية المضادة أو المنافسة للاسبرطيين فى البيلوبونيز : فإذا كان الأخيرون قد نجحوا فى إخضاع كل منطقة جنوب البيلوبونيز (بما فيها منطقة كينوريا شرقاً ومسينيا غربا) بالقوة فى الفترة من القرن العاشر حتى القرن السابع ق٠م٠ (مع نهاية الحرب المسينية الثانية) فإن الأسطورة تريد الإيعاز بأن الوحدة الاتيكية تحت الزعامة الأثينية قد تمت مبكراً جداً

قبل مجئ الدوريين بعدة قرون ، وإن كان ما تذكره الأسطورة أمر بعيد الاحتمال • أما الدعاية السياسية البارزة والفجة لنظام الحكم الأثينى فى القرن الخامس فهى القول فى الأسطورة بأن ثيسسيوس وعد بعض معارضيه بإلغاء الملكية وإحلال الحكم الديمقراطى محلها••• هكذا طفرة واحدة ! إذ من المعروف أن الحكم الديمقراطى فى أثينا كان ترتيبه الزمنى والسياسى فى ختام قائمة النظم الحاكمة فى أثينا بعد الحكم الملكى ثم حكم الأشراف ثم حكم الأقلية (فى أوائل القرن السادس مع إصلاحات سولون) ثم حكم الطغاة بيزاستراتوس وأولاده وأخيراً الحكم الديمقراطى الذى أرسى كليسثنيس معالمه فى أواخر القرن السادس (رغم أن سولون وضع بعض دعائمه فى أوائل القرن السادس ووصل به بيركليس إلى الذروة فى فترة حكمه لأثينا من حوالى ٤٦١ إلى ٤٢٩ ق•م•) •

ثبت تعريفى ببعض ممن كتبوا فى الأساطير اليونانية فى المصادر القديمة (من غير المعروفين على نطاق واسع)

فهرس النساء الشهيرات E οιαι (E (h) oiai)

قصيدة شعرية إغريقية من الوزن السداسى منسوبة إلى الشاعر هيسيود ولكنها ربما لا تعود إلى فترة أقدم من القرن السادس ق.م• وهى تكملة لقصيدة " أنساب الآلهة " فى خمسة كتب ، وتضم حكايات عن النساء اللاتى وقع الآلهة فى حبهن وأنجبوا منهن أبطالاً • وهناك بعض أجزاء من هذا المؤلف لا تزال باقية فى صورة اقتباسات عند بعض الكتاب اللاحقين وفى شذرات من أوراق البردى • وقد اتخذ عنوان القصيدة من الكلمات اليونانية التى تسبق تقديم كل مجموعة جديدة من البطلات : η οιαι " أو مثل النساء " :

الملحمة القبرصية Κυπρια Cypria

هى قصيدة ملحمية إغريقية مفقودة ضمن أشعار " الدائرة الملحمية " (وهو الأسم الذى أطلق على مجموعة الملاحم ـ باستثناء الإلياذة والأوديسية ـ التى كتبها عدة شعراء خلال القرنين السابع والسادس ق•م• والتى لم يتبق منها سوى ١٢٠ بيتاً ، وهذه الملاحم

كانت تمثل سرداً زمنياً يمتد من بداية العالم حتى نهاية عصر الأبطال) • وتقص الملحمة القبرصية ـ فى أحد عشر كتاباً مفقوداً لم يتبق منها سوى بعض الاقتباسات اللاحقة ـ الأحداث السابقة المؤدية إلى تلك المرحلة فى الحرب الطروادية التى تبدأ معها حوادث الإلياذة ، وتتضمن عرس بيليوس وثيتيس وتحكيم " باريس " بين الربات هيرا وأثينا وأفروديتى ، واختطاف هيلين ، وتجمع الأسطول الإغريقى ، وإنقاذ ايفجينيا على يد أرتميس فى لحظة التضحية بها والاشتباكات الأولى فى طروادة • وتنسب هذه الملحمة أحياناً إلى ستاسينوس القبرصى ، ومن هنا كان عنوانها " الملحمة القبرصية " •

ستيسيخوروس

شاعر غنائى يونانى كتب فى النصف الأول من القرن السادس ق•م• ، وكان اسمه الحقيقى تيسياس • ويقال أنه ولد فى " ماتاوروس " عند إصبع القدم الإيطالية وأنه عاش فى هيميرا فى شمال صقلية • وكان الشاعر يكتب قصائد طويلة تغنى ويصاحبها رقص من الجوقة وأن الشاعر كان يؤدى هذه القصائد بنفسه بمصاحبة القيثارة على طريقة الشعراء الجوالين للأشعار الهومرية• وكانت قصائد ستيسيخوروس طويلة يتجاوز بعضها ١٨٠٠ بيت مثل قصيدته " الأوريستية " التى شغلت كتابين • وقد قام علماء الاسكندرية بتجميع قصائده فى ستة وعشرين كتاباً لم يتبق منها

سوى شذرات قليلة عثر على معظمها فى أوراق البردى المكتشفة خلال القرن العشرين •

ما يعنينا هنا بصدد ستيسيخوروس أن العناوين المتبقية عن الموضوعات التى تناولها تبين أن موضوعاته كانت مستقاة من فيض كبير من المصادر الملحمية مثل شعراء الدائرة الملحمية وهوميروس• ومن أمثلة هذه العناوين " الأوريستية " عن عودة أجاممنون من طروادة ومقتله ، و " الألعاب الجنائزية لبلياس " والمتصلة بأسطورة " بحارة السفينة أرجو " ، و " سقوط طروادة " المأخوذة عن شعراء " الدائرة الملحمية " وتتضمن رواية عن "ايبيوس" الذى صنع الحصان الخشبى • كما أن ستيسيخوروس قص حكاية هيلين فى روايتين : الأولى هى الرواية المألوفة التى تلقى اللوم على هيلين باعتبارها سبب حرب طروادة ــ والتى تقول الأساطير أنه فقد بصره بعدها بسبب تشهيره بهيلين ــ والثانية هى الرواية فى شكلها وصياغتها التى عرفت بها بعد ذلك فى مسرحية "هيلين " ليوربيديس والتى تفيد بأن طيف هيلين هو الذى صاحب باريس إلى طروادة فى حين تخلفت هيلين الحقيقة فى مصر • ويقال أنه فى الرواية الثانية ألقى باللوم على هوميروس الذى صور هيلين بالصورة الأولى ، وعلى أثر ذلك استرد بصره •

باخليديس

شاعر غنائى يونانى وابن شقيق الشاعر سيمونيديس ، وقد ولد فى نهاية القرن السادس ق٠م٠ فى جزيرة كيوس القريبة من ساحل أتيكا وربما توفى حوالى منتصف القرن الخامس ق٠م٠ وما تبقى من أشعاره كان فى صورة اقتباسات عند كتاب لاحقين إلى أن آلت إلى ملكية المتحف البريطانى فى أواخر القرن التاسع عشر لفافتان برديتان تحتويان على خمس عشرة انشودة من أغانى النصر (للفائزين فى الألعاب والمنافسات الرياضية الكبرى) وست قصائد ديثورامبية لباخيليديس ، ثم ظهرت بعد ذلك بعض الشذرات القليلة التى تنسب له ٠

وكان المنافس الرئيسى لباخيليديس فى كتابه أغانى النصر للفائزين هو الشاعر الطيبى بندار ٠ وكانت أنشودات النصر عند الشاعرين تضم نفس العناصر وهى : سرد أسطورى رئيسى مأخوذ عن أحد الأساطير ، وفقرة تمتدح الفائز ، كما تمتدح موطنه (مدينته) والآلهة ، وفقرات تحض على مكارم الأخلاق والفضائل ٠ وهناك على سبيل المثال أنشودته الثامنة عشرة وهى قصيدة ديثورامبية فريدة بين شعره الغنائى الكورالى المتبقى ، وهى فريدة فى كونها بالكامل حواراً ثنائياً بين قائد الجوقة الذى يمثل الملك أيجيوس ـ ملك أثينا ـ وباقى الجوقة التى تمثل رفاقه وأتباعه ، أما الموقف الذى يدور حوله الحوار فهو وصول بطل شاب مرموق إلى أثينا والحديث

عن انجازاته الخارقة وذلك قبل أن يعرف الملك أن الشاب المعنى هو ابنه ثيسيوس ٠

فيركيديس

من ليروس (إحدى جزر السبوراديس الجنوبية إلى الشمال من كوس فى مقابل ساحل كاريا) وأمضى معظم حياته فى أثينا ، وهو من كتاب النثر من أوائل القرن الخامس ق٠م٠ وأحياناً يكون هناك خلط بينه وبين فيركيديس من سيروس (إحدى جزر الكيكلاديس) الذى كان فيلسوفاً واشتهر بأنه أستاذ بيثاجوراس ٠ وأعظم مؤلفات فيركيديس الذى نعنيه هنا هو تاريخ للأساطير فى عشرة كتب تبدأ بالحديث عن أنساب الآلهة ثم تتناول عصر الأبطال والعائلات الكبرى فى ذلك العصر والتى كان أحفادها معاصرين للمؤلف ٠ ولم يتبق من مؤلفه سوى شذرات ٠

يوميلوس

من عائلة الباكخيداى فى كورنثة وهو شاعر ملحمى إغريقى من النصف الثانى من القرن الثامن ق٠م٠ ومؤلف لملحمة عن التاريخ الأسطورى والبطولى لكورنثة (وربما قصائد ملحمية أخرى)٠ كما كتب أغنية مناسبات احتفالية لكى يغنيها الميسينيون فى احتفالات أبوللو فى ديلوس ٠ أما الشذرة الصغيرة المتبقية فى أحد الاقتباسات فهى طريفة لكونها عينة مبكرة جداً من الشعر الغنائى ٠

أبوللودوروس

هو أبوللودوروس الأثينى الذى ازدهر حوالى سنة ١٤٠ق٠م٠ وهو مؤلف أطروحة طويلة من النثر الإغريقى بعنوان "عن الآلهة" و " التاريخ المرتب " (وهو مؤلف تاريخى يتسم ببعض الأهمية) الذى كتب بالوزن الإيامبى ويغطى الفترة من سقوط طروادة حتى سنة ١٤٤ق٠م ولكن لا يتبقى منه سوى شذرات ٠ كما كتب مؤلفه "المكتبة Bibliotheké " وهو دراسة فى الأساطير البطولية الإغريقية ، ولكن العمل غير الحاذق الذى وصلنا والذى يحمل هذا العنوان ربما جمع فى القرن الأول أو الثانى الميلادى ٠ كما وصلنا ملخص للجزء الأخير من مؤلف " المكتبة " تحت عنوان Epitome

هيجينوس (جايوس يوليوس) (حوالى ٦٤ ق٠م٠ ـ١٧م ٠)

أحد عتقاء الإمبراطور أغسطس وهو أسبانى الأصل وصديق للشاعر أوفيد وواحد من أعظم علماء وباحثى عصره ٠ وكتاباته ـ المفقودة الآن ـ كانت تغطى إطاراً واسعاً من الموضوعات من بينها تعليق على فرجيل وأطروحة حول الزراعة ومؤلفات تاريخية وأثرية ودينية ٠ وقد وصل إلينا مؤلفان يحملان اسمه هما كتاب فى الأساطير Fabulae تم تجميعه من مصادر إغريقية ربما فى القرن الثانى الميلادى ، وكتيب فى الفلك يستند أيضاً إلى مصادر يونانية ٠

أوفيد (بوبليوس أوفيديوس ناسو : ٤٣ ق٠م٠ ـ ١٧م٠)

أوفيد شاعر غنى عن التعريف بطبيعة الحال فهو ذلك الشاعر الرومانى الغزلى الشهير من عصر الإمبراطور أغسطس ٠ وهو من أسرة من طبقة الفرسان وتعلم البلاغة فى روما ، وكان أبوه يهدف من وراء ذلك توجيهه للعمل بالقانون لكن اتجه بدلاً من ذلك نحو الشعر ٠ وحسب شهادة بلينى الأكبر فإن أوفيد تبنى الشق العاطفى وليس الجدلى من البلاغة ٠ وقد ارتحل وزار أثينا وآسيا الصغرى وصقلية وشغل بعض المناصب الصغيرة فى روما ولكنه سرعان ما هجر الحياة العامة إلى الشعر ٠ وكان أوفيد أحد الشعراء المحيطين بـ " ميسالا " وكان بمنأى إلى حد ما عن تلك الدائرة من شعراء أغسطس المحيطين بـ " مايكيناس " ٠ وكان هوراس وبروبيرتيوس من أصدقائه ولكن كان تيبولوس هو أعز أصدقائه ، وكان بدوره زميلاً لأوفيد فى جماعة الشعراء المحيطين بميسالا ٠ وشعر أوفيد جعل منه شخصية بارزة فى الدوائر الاجتماعية والأدبية فى روما ، ولكن أغسطس نفاه فجأة عام ٨م٠ إلى " توميس " على الساحل الغربى من البحر الأسود وحظر تداول كتبه فى المكتبات العامة بسبب ما أشيع عن تورطه فى علاقة زنا مع حفيدة أغسطس جوليا إضافة إلى استياء الإمبراطور من قصيدة أوفيد " فن العشق " التى حظيت بشعبية هائلة وكانت مضادة للاتجاه الأخلاقى لأغسطس ٠

ما يعنينا من أوفيد فى هذا المقام هو كتاباته فى الجوانب الأسطورية وأبرزها فى هذا الصدد هما قصيدته الملحمية " التحولات ، أو مسخ الكائنات " و " البطلات ، أو رسائل البطلات " واسمهما باللاتينية : Heroides (or Heroidum epistulae) - Metamorphoses

والأولى هى قصيدة ملحمية الأسلوب فى خمسة عشر كتاباً من الوزن السداسى ، وهى أطول قصائده والوحيدة المتبقية له من هذا الوزن (وهى أطول من ملحمة الانيادة لفرجيل) . وهذه القصيدة هى فى الأساس مجموعة من الحكايات من الأساطير اليونانية الرومانية وأساطير الشرق الأدنى ، ورغم أن هذه القصص تهدف إلى رواية تحولات عجيبة إلى صور وأشكال أخرى تعرضت لها شخصيات مأخوذة فى الأغلب من الأساطير والحكايات الخرافية اليونانية والرومانية فإن هذا المسخ لهذه الشخصيات ليس هو محور الأهمية فى كل الأحيان . ففى بعض الأحيان نجد فى هذه الحكايات أكثر من مجرد رغبة الشاعر فى الامتاع ونلاحظ فيها عمق المعنى وتماسك التكوين أو وحدة البناء الشعرى .

أما " البطلات " أو " رسائل البطلات " فهى قصائد غزل لاتينية لأوفيد كتبت فى الوزن الإيليجى فى صورة خطابات يفترض أنها موجهة من بطلات الأساطير إلى عشاقهن أو أزواجهن رغم أنها تبدو كما لو كانت مناجاة تمثيلية (مونولوجات درامية) . والأربعة

عشر خطاباً الأولى موجهة من نساء إلى رجال (الخطاب الخامس عشر من سافو إلى فاعون مشكوك فى كونه أصلياً) أما الخطابات من ١٦ إلى ٢١ فإنها ثنائية بمعنى أن المرأة فيها ترد على خطاب من الرجل ، وساد اعتقاد بأن هذه المجموعة الأخيرة ليست من نظم أوفيد • إن خطابات البطلات هى دراسات فى الحب من وجهة نظر المرأة وربما كانت تستند على الملاحظة والتأمل وكذلك على التدريبات البلاغية فى رسم الشخصيات ، والأحاسيس والموقف الأخلاقى فيها هى ما كان مألوفاً فى روما فى تلك الفترة • ويطبق أوفيد هذا الأسلوب على الشخصيات الملحمية والتمثيلية اليونانية وعلى شعراء العصر الهيللينستى وعلى الشخصيات التى صاغها ورسمها شعراء الرومان مثل ديدو عند فرجيل وأريادنى عند كاتوللوس •

سويداس (السودا)

هذه الكلمة تعنى باليونانية القلعة أو الحصن ، وكان يشار إليها من قبل باسم " سويداس " كما لو كانت اسم شخص • والسودا أو القلعة هو اسم معجم يونانى أو موسوعة أدبية جمعت فى أواخر القرن العاشر الميلادى وتضم مقالات عديدة قيمة حول الأدب والتاريخ اليونانى • وهى تعتمد جزئياً على المعاجم الأسبق ، كما تعتمد على النصوص والشروح الخاصة بهوميروس وسوفوكليس وأريستوفانيس والمتفرقات البلاتينية Palatine Anthology ،

وكذلك تعوّل جزئياً على المقتطفـات التـى وردت فـى عصـور أسـبق من مؤلفات المؤرخين والنحويين وكتاب السير ٠

تزيتزيس (يوحنا)

باحث وعالم من أواخر القرن الثانى عشر الميلادى كان علـى دراية واسعة بالأدب الكلاسيكى والهيللينستى ٠

الفصل الثالث

" التوحيد "

فى الفكر اليونانى القديم !

مقدمـــة

إن أى دارس أو قارئ – ولو بدرجة محدودة - فى فكر وعقيدة الإغريق القدماء لابد وأن يستغرب ويندهش لعنوان هذا البحث. فالعقيدة الإغريقية معروفة بأنها عقيدة تعددية فيها مجمع آلهة هم آلهة الأوليمبوس الإثنى عشر بزعامة كبيرهم " زيوس " ، بالإضافة إلى عدد كبير من الآلهة الصغرى أو المحلية الطابع مثل " ديونيسوس " و " بان " ، وأنصاف الآلهة والأبطال مثل هيراكليس وأخيليوس وغيرهم " وعشرات من ربات وعرائس المروج والينابيع والغدران . فى هذا الجو المفعم بالتعددية العقائدية التى تغلغلت فى نفوس الإغريق وجرت فيها مجرى الدم من الوريد وأصبحت أقرب إلى البديهيات التى لا تُناقش هل يجرؤ أديب أو مفكر أن يصدم قومه فى ثوابت وركائز اعتقاداتهم ؟! الإجابة المنطقية عن هذا السؤال هى بالنفى بطبيعة الحال ، ولكن الإجابة الواقعية هى بالإيجاب ، وإن كانت مثل هذه الحالات محدودة لدرجة الندرة ، ولكن المهم أنه قد ظهر من بين مفكرى الإغريق من نادى بالتوحيد ودعا إليه رغم كل شئ. وأتناول فى هذا البحث نموذجين من هؤلاء المفكرين وأرصد – معكم – القرائن والشواهد من أقوالهما - أو ما بقى منها من نقف وشظايا - والتى جعلتنى أكاد أجزم أنهما من الموحدين . الأول غير معروف إلا للمتخصصين وهو الفيلسوف والمفكر كسينوفانيس من إغريق ساحل آسيا الصغرى فى أيونيا من القرن السادس ق.م. ،

والثانى شخصية معروفة للكافة من العامة والخاصة ألا وهو فيلسوفنا الشهير سقراط . إن فى دفاع سقراط عن نفسه - حسبما أورده تلميذه أفلاطون فى محاورته الشهيرة " الدفاع " - فيما نسب إليه من تهم كالها له الأثينيون بإفساد الشباب والإيمان بآلهة أخرى غير آلهة الدولة ما يكاد يقطع بأن سقراط كان موحداً ويوحى - من طرف خفى - بأنه ربما كان رسولا أو نبيا .

ولنحتكم الان إلى النصوص بشأن هذه " المزاعم "

أ ـ كسينوفانيس

تفاوتت الآراء إلى حد ما حول تاريخ حياة كسينوفانيس إذ ذكر كلمينت السكندرى نقلاً عن أبولنودوروس أنه ولد فى الأولمبياد الأربعين (٦٢٠ ـ ٦١٧ ق.م.) وعاش حتى عصر قورش وداريوس (تولى داريوس عرش فارس من ٥٢١ - ٤٨٥ق.م.) ، ولكنه نقل عن تيمايوس رأيا اخر يفيد بأنه عاش فى زمن هيرون طاغية صقلية [١] (سيراكيوز فى صقلية من ٤٧٨ إلى ٤٦٧ق.م.)، ومن الصعب تصديق أنه عاش على هذا النحو من حوالى ٦٢٠ إلى حوالى ٤٧٠ق.م. أى حوالى مائة وخمسين عاماً. ولكن من خلال كلمات كسينوفانيس نفسه فى إحدى شذراته المتبقية ندرك أنه عَمّر طويلاً إذ يذكر أنه أمضى سبعة وستين عاماً من عمره تتقاذف أفكاره شتى أرجاء اليونان يُضاف إليها خمسة وعشرين عاما منذ مولده [٢] ، أى أنه كان ـ وقت كتابة هذه

الأبيات - فى الثانية والتسعين ، وربما عمّر بعد ذلك إلى ما بعد المائة. ولكن لماذا فصل الخمسة والعشرين عاماً الأولى عن بقية عمره (السنوات السبع والستين التى تقاذفت أفكاره أرجاء هيلاس) ؟ يبدو أن الخمسة والعشرين عاما الأولي من حياته هى التى قضاها فى موطنه كولوفون (على الساحل الأيونى غرب آسيا الصغرى) حتى غزاها الفرس (الذين يُسمون فى النصوص اليونانية بـ " الميديين ") حولى ٤٤٦ /٤٤٥ ق.م. (وقد أشار هو فى الشذرة الثانية والعشرين له إلى ظهور الميديين كما أشار فى الشذرة الثالثة إلى حياة الترف التى كان يحياها أهل كولوفون تحت الحكم الليدى قبل مجئ الميديين) . ويشير ديوجينيس لايرتيوس إلى أنه (كسينوفانيس) بعد أن طُرد من موطنه (ربما المقصود بعد مجئ الفرس الميديين) أمضى أوقاته فى زانكلى (ميسانا) وكاتانا فى صقلية [٣] ، كما ذُكر عند أفلاطون وأرسطو أنه كان من رواد مدرسة ايليا الفلسفية فى جنوب ايطاليا وأستاذ بارمينيديس أحد أشهر أعلام هذه المدرسة [٤] .

إذا ربطنا هذه المعلومات ببعضها وبما ذكره كسينوفانيس نفسه فى الشذرة الثامنة نستنتج أنه غادر وطنه بعد الغزو الفارسى حوالى ٥٤٥ ق.م. وهو فى الخامسة والعشرين من عمره بمعنى أنه ولد حوالى ٥٧٠ق.م. (مما يُرجح خطأ ما ذُكر عند كليمينت - نقلاً عن أبوللودوروس - عن مولده حوالى ٦٢٠ ق.م.) . يرجح ذلك ان ديوجينيس لايرتيوس يذكر أنه بلغ قمة نضجه خلال الأولمبياد

الستين (٥) (٥٤٠ _ ٥٣٧ ق٠م٠) وهو تاريخ ملائم لمغادرته كولوفون وربما إسهامه فى تكوين وتأسيس مدرسة إيليا الفلسفية (حيث أسست مدينة إيليا حوالى عام ٥٤٠ ق٠م٠ على يد مهاجرين اغريق من فوكيا على الساحل الأيونى) ٠ ثم يتضح أنه أمضى بقية حياته بين إغريق الغرب فى جنوب ايطاليا وصقلية فى المدن المذكورة أعلاه وأنه ربما أمضى السنوات الأخيرة من حياته فى كنف هيرون طاغية سيراكيوز وربما توفى هناك حوالى عام ٤٧٠ ق٠م٠ وعاش حوالى قرن من ٥٧٠ إلى ٤٧٠ ق٠م٠

عُرف كسينوفانيس فى العالم القديم بنقده اللاذع ورفضه الكثير من الأمور المألوفة فى العالم اليونانى القديم ، والشذرات المتبقية من أشعاره تقدم قرائن وشواهد عديدة على تبنيه هذا الاتجاه نحو الشعراء والفلاسفة بل وحتى رجل الشارع العادى ٠ لقد كانت لديه نزعة إصلاحية تجلت فى هذه الشذرات الاجتماعية وفى حديثه عن نفسه وعبرت عن عدم رضاه عن كثير من المفاهيم والمعتقدات والعادات والتقاليد السائدة ٠ فمن بين المفاهيم الاجتماعية السائدة التى هاجمها وانتقده بعنف الاحتفاء الهائل والامتيازات المفرطة التى كانت تُغدق على الأبطال الرياضيين ويرى كسينوفانيس أن بطولاتهم الجسمانية لا ترقى فى قيمتها أبدا إلى " فنه " (فكره وأشعاره) إذ لا تساهم فى إصلاح شئون الحكم فى المدينة ولا فى رفاهيتها المادية (الشذرة الثانية) ٠ وهو بذلك يشن هجوما على ظاهرة اكتسبت شعبية هائلة بين كافة طبقات المجتمع الإغريقى القديم ، ولكنها على

أية حال هى نفس نظرة المثقف حتى يومنا هـذا حين يضيق ويتبرم بحفاوة وتكريم الجماهير للرياضيين أكثر بكثير من تكريمهم للمثقفين والمفكرين • ومن الأمور التى كان كسينوفانيس يدعو إليها الاعتدال فى التمتع بمباهج الحياة وعدم الإفراط فى حياة الرفاهية والاستعراض المتباهى والمغرور للثروات • ويتجلى ذلك الموقف فى نقده لمواطنيه من أهل كولوفون قبل أن يداهمهم الغزو الفارسى وحكم الطغاة المعينين من قبل الفرس ، إذ يذكر تأثرهم باالليديين فى الإنغماس فى الرفاهية فيقول فى (الشذرة الثالثة) :

لقد تعلموا طرائق الليديين فى إعداد أطايب الطعام وما لايجدى نفعاً وهم لم يزالوا بمنأى عن حكم الطغاة الكريه مستمتعين بحريتهم • إذ كان يذهب إلى الجمعية الشعبية ما لا يقل عن ألف من الرجال مرتدين ثيابهم القرمزية مختالين شامخين بأنوفهم وقد أصلحوا هندام وخصلات شعورهم الجميلة المتهدلة التى يتساقط منها قطرات عطرية من الزيوت الصناعية •

ثم نأتى إلى بيت القصيد فى موضوعنا وهو انتقاداته المريرة وهجومه العنيف على نظرة الإغريق للعقيدة والدين والآلهة وهى النظرة التى روّج لها شعراء الملاحم الإغريق ولاسيما هوميروس وهيسيود ، ولذلك صبَّ جام غضبه عليهما • إذ يذكر فى (الشذرة الحادية عشرة) أن :

" هوميروس وهيسيودوس نسبا إلى الآلهة كل ما هو مخجل ومخزى بين البشر : فهم يسرقون ويزنون ويخدعون بعضهم بعضاً"[٦] .

ويقول فى موضوع آخر (الشذرة الرابعة عشرة) إن :

" البشر يرون أن الآلهة يولدون وأنهم يرتدون ملابس ويتحادثون ولهم أجساد " [٧] .

كما يورد فى مكان آخر (الشذرة السادسة عشرة) أن :

" الإثيوبيين يقولون أن آلهتهم سود البشرة وذوى أنوف فطساء ، فى حين يقول الطراقيون أن آلهتهم ذوو عيون زرقاء وشعر أحمر " [٨] .

كما يذكر (الشذرة الخامسة عشرة) أن "

" الماشية والخيل والأسود لو كان لها أيدى تستطيع أن ترسم وتقوم بالأشياء التى يقوم بها البشر لرسمت الخيول آلهتها فى صورة خيول ولرسمت الماشية آلهتها من الماشية وجعلت أجساد هذه الآلهة على شاكلتها" [٩] .

إن كسينوفانيس هنا يهاجم أقدم وأشهر شعراء الإغريق الذين صاغوا مفاهيم الإغريق حول الآلهة والعقيدة اليونانية وهما هوميروس وهيسيود ، وينكر عليهما تلك النظرة المبتذلة حول الدين

بآلهته التـى تسرق وتزنـى وتخـدع ٠ إن كسـينوفانيس بهجومـه هذا يهاجم الأسس الراسخة والأركان القوية لتلك العقيـدة حسـبما وضعهـا هوميروس الذى يقول عنه كسينوفانيس (الشذرة العاشرة)

" **إن كل ما يتعلمه الناس قد صاغه هوميروس منذ البداية** "،

كما أن هيرودوت يقول عن هوميروس وهيسـيود " إنهمـا مـن ابتكـر ثيوجونيـة (سلسـلة لأنسـاب الآلهـة) للإغريـق ، إذ أعطيـا الآلهـة أسـماءها ، ووزعـا امتيـازاتهم ومهـاراتهم ، ووصفـا هيئـة كـل منهم"(١٠)٠ وفى بقية انتقاداته المذكورة أعلاه أراد كسينوفانيس القـول بأن هذه الآلهة (المزعومة) فـى العقيـدة الإغريقيـة هـى مـن صنـع خيال البشر الذين تصوروها على شاكاتهم بنفـس التشـكيل الجسـمانى والصوتى وترتدى ملابس كالبشـر ، وتصـوروا بـادئ ذى بـدء أنهـم يُخلقون أو يولدون ٠ هذه أفكار لا يقبلها كسـينوفانيس ولا يستسـيغها إذ يذكر أرسطو أن كسينوفانيس اعتاد على أن يجـادل فـى مقولـة أن الآلهة تولد باعتبارها مقولة آثمة كالقول بموت الآلهـة ، لأنـه يـترتب على القول بمولد الآلهة أو وفاتهم أنه فى وقت من الأوقات لا توجـد هذه الآلهة " (١١) ٠ وربما كان هذا تأكيداً لعبارات وردت عند كُتّاب لاحقين بأن كسينوفانيس قد قـال بفكـره خلـود الإلـه (١٢) ٠ إن البشـر عند كسينوفانيس قد أضفوا على آلهتهم كذلك نفس الصفـات المجـردة (خصوصـاً المرذولـة منهـا) كالسـرقة والزنـا والغـش ٠ وتوكيـداً لنظرته من أن هذه الآلهة المزعومة هى من صنـع خيـال البشـر فـى كل مكان وأنه لا وجود حقيقى لها أن أهل كل منطقـة يتصـورون ـــ

وبالتالى يصوّرون ـ آلهتم بنفس ملامحهم الجسدية : فإن كانوا سود البشرة وذوى أنوف فطساء كالأثيوبيين اعتقدوا أن آلهتهم كذلك ، وإن كانوا شقرا بعيون زرقاء وشعر أحمر كالطراقيين صوروّا آلهتهم على شاكلتهم • بل ذهب إلى حد القول بأن الحيوانات من الفصائل المختلفة ـ لو أتيح لها أن ترسم وتصوّر ـ لصورت آلهتها على شاكلتها •

هذا هو الجانب النقدى عند كسينوفانيس للعقيدة والمفاهيم الدينية الإغريقية السائدة فى عصره فماذا عن رأيه هو بهذا الأمر الخطير ؟ إن له اعتقادات هامة وثورية بهذا الشأن تماماً مثلما كانت انتقاداته الرائدة فى هذا الشأن ـ حسب علمى المتواضع ـ وهى انتقادات واعتقادات لم يألفها الإغريق فى زمنه ولا بعد زمنه • يقول كسينوفانيس (فى الشذرة الثالثة والعشرين)

" هناك إله واحد هو الأعظم بين الآلهة والبشر ولا شبيه له بين البشر الفانين لا فى الجسد ولا فى الفكر "(١٣)

ويقول فى موضع آخر (الشذرتين الخامسة والعشرين والسادسة والعشرين)

" إنه (أى هذا الإله الواحد) باق فى نفس المكان على الدوام لا يتحرك منه مطلقاً ، إذ لا يليق به التنقل بين الأماكن المختلفة فى أوقات مختلفة ، بل أنه يهز كل

شئ هزاً من على البعد ودون جهد يُذكر من خلال بصيرته ورجاحة عقله " (١٤) .

وفى موضع آخر (الشذرة الرابعة والعشرين) يصف هذا الإله الواحد بأنه :

" البصير بكل شئ العليم بكل شئ السميع لكل شئ"(١٥).

من خلال هذه الشذرات القاطعة الدلالة ندرك بجلاء أن كسينوفانيس قد أطلق صرخة التوحيد مدوية " صريحة " لا يكتنفها أدنى شك أو مواربة ۰ ويعلق أرسطو على هذا التوحيد من قبل كسينوفانيس فيقول " لقد تأمل فى الكون بأسره وقال بأن الواحد موجود ألا وهو الرب " (١٦) ۰ إن هذه الجملة توحى إلى الخيال بصورة بديعة رائعة لذلك الشاعر الفيلسوف يقف وحيداً فى فضاء شاسع فى ليلة صافية وقد بسط ذراعيه فى حركة وإيماءة تدل على عمق اعتقاده وصاح " الواحد موجود ، إنه الرب " (١٧) ۰ ولكن قد يثور تحفظ واعتراض مشروع على قضية التوحيد عند كسينوفانيس وأنها لم تكن خالصة دون شوائب ، إذ أنه تحدث فى شذراته النقدية المذكورة أعلاه (الهوامش ٦ ــ ٩) عن الآلهة (بصيغة الجمع) كما أنه ذكر عن إلهه الواحد أنه " الأعظم بين الآلهة والبشر "(١٨). ولكن يمكن الرد على ذلك وتفسيره ببساطة فى أنه يخاطب ــ فى شذراته النقدية ــ أفراد مجتمعه فى ذلك الحين بما ألفوا من مفاهيم

وعقائد بما فيها تعدد الآلهة ويثبت لهم خطأ مـا تصـوروه وزيف مـا توهموه ، أما قوله فى إحدى الشذرات المعبرة عن رؤيته هو لتلك العقيدة أن آلهه الواحد هو " الأعظم بين الآلهة والبشر " فأعتقد أنـه أراد القـول " الأعظـم بيـن الآلهـة (التـى ابتدعتموهـا بخيـالكم) والبشر"٠ إن هذا الذكر للآلهة عنده إنكارى وليس تقريرى ٠ والدليل على ذلك أنه ـ فى الجملـة التاليـة للجملـة المذكـورة ـ ذكر أن هذا الإله الواحد " لا يشبه البشر الفانين لا فـى الجسد ولا فـى الفكر " (وتجاهل ذكر هذه الآلهـة المزعومـة) ٠ إن الإلـه الحقيقـى الأعظـم عنده هو ذلك الإله الواحد الذى يبشر به ويدعو إليه ٠

والآن ماذا عن رد فعل الإغريق القدماء من مفكريـن وكُتّـاب من معاصرى كسينوفانيس ولاحقيه حول أفكاره الثورية الجديدة فيمـا يتعلق بوحدة الوجود وبالتـالى وحدانيـة الخـالق ؟ لـم تحـظ آراء كسينوفانيس بقبول واسع بين هؤلاء كمـا هـو متوقـع ، إذ أن الأفكـار والرؤى الجديدة التى تخالف الآراء والمعتقدات السـائدة تقـابل ـ فـى كل زمان ومكان تقريباً ـ بدرجات من الإنكار أو الاستنكار ، ويكون لهـا وقـع الصدمـة عند الكثيرين مـن الذيـن يتصـدون لهـا بالمقاومـة والرفض ٠ إن أقرب المعـاصرين لكسينوفانيس ممـن علّقـوا علـى آرائـه هـو هيراكليتوس مـن ايفسـوس (مدينـة أيونيـة شـهيرة إلـى الجنوب من كولوفون) (حولى ٥٤٠ ـ إلى ٤٨٠ ق٠م٠) ٠ وقد اشتهر هيراكليتوس بغطرسته وتحقيره لمشـاهير الشـعراء والفلاسـفة والمفكرين الإغريق الذيـن خصَّ منهـم بـالذكر هيسـيود وفيثـاغورث

وكسينوفانيس وهيكاتيوس الميليتى • يقول هيراكليتوس عن هؤلاء المشاهير " **إن علمهم الغزير لم يعلمهم شيئاً يذكر** " (١٩) • معنى ذلك ان هيراكليتوس لم ترُق له أفكار كسينوفانيس واعتبره كالآخرين لم يتعلم شيئاً • ومع ذلك يمكن القول بأن هيراكليتوس كان قريباً فى نظرته للكون من نظرة كسينوفانيس إذ يرى الأول – فى واحدة من شذراته المتبقية على الأقل – ما يلى :

> **" بالإنصات إلى صوت العقل والمنطق وليس إلىّ نجد أن من الحكمة الاتفاق على أن كل الأشياء هى شئ واحد** " (٢٠) .

إن هذه العبارة لهيراكليتوس تعطى الانطباع بأنه كل يؤمن بوحدة الوجود وهو نفس المبدأ الذى انطلق منه كسينوفانيس إلى فكرة الإله الواحد (٢١) رغم أن هيراكليتوس لم يشر إلى الإله الواحد •

يأتى بعد ذلك أفلاطون فى محاورة " السوفسطائى " ويعبر عن رأيه فى فلاسفة مدرسة إيليا الذين ألمح إلى أن كسينوفانيس أحد روادهم بالقول (على لسان زائر غريب من إيليا هو المتحدث الرئيسى فى المحاورة) بأن فلاسفة إيليا من بارمينيديس ورفاقه يخاطبون سامعيهم وكأنهم أطفال يمكن مراوغتهم بقصص أو روايات شتى (٢٢) ، وأن طائفة إيليا - ابتداءً من كسينوفانيس وربما قبله - يعتقدون فى رواياتهم المتعددة أن ما يُطلق عليه " كل الأشياء" هو فى واقع الأمر شئ واحد (٢٣) • (مبدأ وحدة الوجود) •

أمـا أرسـطو فـى كتابـه " الميتافيزيقـا " فيتحـدث عــن فلاسـفة مدرسة إيليا ونظرتهم إلى الوجود ووحدة الكون ويخص بالذكر منهم بارمينيديس وميليسوس وكسينوفانيس (أسـتاذ بـارمينيديس) ويقـول ما يلى :

" يبدو أن بارمينيديس كان مـن أنصـار وحـدة الوجـود المنطقية أما ميليسوس فكان مع وحدته المادية (لذلـك يقول الأول بأن الوجود محدود فـى حين يقـول الثـانى أنه لا متناهى) " (٢٤) .

وحين يتحدث عن كسينوفانيس يقول :

" إنه لم يكن واضحاً (فى فكره) ويبـدو أنـه لـم يكـن مُلِمّاً بـأى مـن المفهومين (المذكورين أعلاه) عـن الطبيعة ، كل ما فى الأمر أنه تأمل فـى الكـون بأسـره وقال إن الواحد موجود ألا وهو الرب"(٢٥).

ويخلص من ذلك إلى القول :

" لذلك ينبغى استبعاد هؤلاء الفلاسفة من نطاق بحثنـا الحـالى ، واثنـان منهمـا ينبغـى تجاهلهمـا كليـةً ـــ كسـينوفانيس وميليسـوس ـــ لأن أفكارهمـا سـاذجة للغاية ، أما بارمينيديس فيبـدو أنـه تحـدث بقـدر أكـبر من العمق والتأمل "(٢٦) .

هكذا بسَّط أرسطو أفكار كسينوفانيس حول وحدة الوجود والتوحيد إلى درجة التسطيح واعتبره مفكراً مشوشاً ساذجاً ووصل الأمر إلى حد تجاهله نهائياً وإسقاطه من إعتباره للأسباب التى ذكرها ٠ إن هذا التقييم من قِبل ارسطو لكسينوفانيس يتسق مع شخصية أرسطو - كما نعرفها من أعماله ومؤلفاته – فهو عالم يؤمن بالبراهين والأدلة المادية والتجريبية ولا يقيم وزناً لرؤية روحية عقلية منطقية للكون ووحدة الوجود وبالتالى وحدانية الخالق كما تراءت لكسينوفانيس رغم وجاهتها ومنطقيتها ٠ وكان من الطبيعى أن يحذو **ثيوفراستوس** حذو استاذه أرسطو ويرفض الاعتراف بكسينوفانيس كباحث جاد للعالم الطبيعى إذ يقول عنه "بالنظر إلى مجمل آرائه نجدها تنتمى إلى دراسة أخرى غير دراسة الطبيعة " (Simplicius, A 31) ٠

إن هذا الرفض المبكر لكسينوفانيس وأفكاره – خصوصاً من قِبل مفكر بارز كأرسطو – قد عجَّل باندثار قصائد وآراء أخرى هامة لكسينوفانيس وتواريها فى غياهب النسيان بعد ذلك ٠ لقد أصبح من النادر أن نجد كاتباً أو مؤلفاً من شيشرون (القرن الأول ق٠م٠) فصاعداً يتحدث عن كسينوفانيس وآرائه من خلال قراءة مباشرة لنصوصه ، إذ نجد هؤلاء الكتاب (سيكستوس امبريكوس وجالينوس من القرن الثانى الميلادى ، وسمبليكيوس من القرن السادس ، على سبيل المثال) يتحدثون عنه من واقع كتابات

الآخرين عنه ويعترف بعضهم بأنهم لم تتح لهم قراءة نصوصه وأفكاره مباشرة [٢٧] .

ونخلص من كل ما ذُكر أعلاه أن آراء كسينوفانيس حول وحدة الوجود والتوحيد لم تحظ بقبول عند المفكرين المعاصرين له بل وكذلك عند مفكرى وفلاسفة القرن الرابع ق٠م٠ البارزين مثل أفلاطون وأرسطو وثيوفراستوس الذين اتهموه بالسذاجة والتشوش وعدم الوضوح فى الفكر ورأوا أنه أبعد ما يكون عن الفلاسفة الطبيعيين ، ومن هنا أسقطوه من حساباتهم وقاموا بنوع من التعتيم المتعمد على أفكاره وآرائه وقاموا بفرض رؤيتهم عنه على الأجيال اللاحقة ٠ وهنا قد نتساءل : هل كان هذا الموقف المضاد من كسينوفانيس قائماً على الاختلاف العلمى حول رؤيته من الكون والطبيعة فقط ؟ أم أن موقفه اللاهوتى من موضوع التوحيد كان أمراً غريباً كل الغرابة فى بيئته فصدم معاصريه ولاحقيه ودعاهم إلى نبذه ورفض أفكاره واتهامه بالسذاجة والتشوش ؟ـ أغلب الظن أن هذا الموقف الأخير قد ساهم كثيراً فى هذا الرفض له والتعتيم على أفكاره ، هذا إضافة إلى أنه لم يسهم ـ حسب الشذرات القليلة المتبقية منه ـ فى إرساء دعائم نظرية فلسفية متبلورة عن الطبيعة والكون ٠

لقد أثّرت هذه الآراء الانطباعية القديمة التى راجت عن كسينوفانيس ـ بتأثير من أرسطو على وجه الخصوص ـ على

أحكام الباحثين وتقييمهم له بحيث تفاوتت آراء هؤلاء بشأنه • فمن هؤلاء الباحثين من يراه " شاعراً حماسياً أصبح ـ بطريق الخطأ ـ أحد شخصيات تاريخ الفلسفة اليونانية " ، ومن يرى أن " فهمه الحقيقى يتأتى من خلال النظر إليه كباحث فى اللاهوت والعقيدة فقط" ، وهناك من يعتقد أنه " أعترف بوضوح بتعدد الآلهة " ، ومن يرى على النقيض أنه " ممثل التوحيد الحقيقى الوحيد الذى وجد فى هذا العالم " (٢٨) •

لكن قبل كل هذا التعتيم والتجاهل الذى فرض على آراء كسينوفانيس من القرن الرابع ق•م• فصاعدا والذى أثر بشدة على انطباع وتقييم الباحثين له بعد ذلك ، فإن هذه الآراء والمعتقدات لكسينوفانيس لم تعدم بعض التأثير على بعض مفكرى القرن الخامس ق•م• لاسيما من كتاب المسرح التراجيدى الأثينى • إن ايسخيلوس مثلاً يذكر فى بعض سطور مسرحيته " الضارعات " ما يلى :

" إن كل فعل مقدس (خاص بالآلهة) يتم دون عناء • إن (الإله) ينجز ما يجول بفكره من موقعه من فوق عروشهم الطاهرة فى كافة الأحوال " (٢٩) •

(قارن الشذرتين الخامسة والعشرين والسادسة والعشرين من كسينوفانيس حول الإله الواحد الباقى فى مكانه على الدوام والذى لا يبرح موقعه وينتقل فى الزمان والمكان ، بل ينفذ مشيئته وهو جالس على عرشه ودون جهد يذكر) •

ويذكر يوربيديس فى بعض أبيات من مسرحيته " جنون هيراكليس " ما يلى على لسان هيراكليس البطل الأسطورى :

" إننى لا أعتقد أن الآلهة تسعد بممارسات الحب غير المشروع ، كما أننى لا أقيم وزناً لمقولة أن أيدى الآلهة يمكن ان تُصفّد بالأغلال ولن أقتنع بها ، كما لن أقتنع بأن إلهاً يولد ليكون سيداً على إله آخر لأن الإله ـ إن كان إلهاً حقاً ـ لا ينقصه شئ ٠ إن هذه ما هى إلا أقاويل تعسة من جانب الشعراء "(٣٠) ٠

(قارن الشذرة الحادية عشرة عند كسينوفانيس حين ينتقد تصوير هوميروس وهيسيود المُخزى للآلهة واتهامها بكل نقيصة)٠

إن أيسخيلوس ويوربيديس فى الأبيات المقتبسة من مسرحياتهما لم يتأثرا بنظرة كسينوفانيس إلى التوحيد ــ إذ يدور حديثهما عن آلهة متعددة ـ ولكنهما على الأقل اتفقا معه فى وجوب تنزيه الإنسان لآلهته عن الفواحش والنقائص وعن الانتقال من عروشها لتنفيذ مشيئتها ٠ إذاً لم يلتقط هؤلاء المفكرون جوهر رسالته وهو التوحيد التى لقيت آذاناً صماء ، وإن تأثر به بعضهم فهو تأثر فى نقاط فرعية هى أنه لا يجوز ــ كما كان يحدث من قبل ـ أن يهزأ البشر بالآلهة وإنما يجب عدم تحقيرهم بل تنزيههم عن الزلل والاعتراف بما لهم من سطوة وجبروت ٠

إن كسينوفانيس مصلح موحِّد تأمل الكون بعقله ووجدانه واهتدى إلى أنه لابد لهذا الكون من خالق واحد مبدع عظيم على كل

شئ قدير وبكل شئ عليم وبصـير وسميع وينبغـى تنزيهـه عـن كـل النواقص (ليسـت هـذه عبـارات إنشـائية أو دينيـة متــأثرة بــالعقيدة الإسـلامية بـل هـى كلمــات كسـينوفانيس بنصهـا كمـا وردت فـى شـذراته) ٠ لقـد اقتنـع كسـينوفانيس وآمـن بـالتوحيد وبالخـالق الواحـد وانطلـق يبشـر بيـن قومـه الإغريـق بهـذه الدعـوة ويبيـن لهـم زيـف وخرافة ما يعتقدون ويدعوهم إلى نبذ هذه الخرافات والإيمـان بالإلـه الواحد ٠ لكن دعوة كسينوفانيس جاءت فى غير أوانها لأن معتقدات الإغريق كانت متغلغلة فى نفوسهم لدرجة أنهـم كـانوا يختلقـون لكـل ظاهرة من ظواهر الطبيعة وسلوك البشـر تفسـيراً يتفـق ويتسـق مـع تصوراتهـم عـن الآلهـة ووظائفهـا ٠ وحتـى حيـن بـدأ المفكـرون الإغريق منذ القرن السادس ق٠م٠ يتحررون بعض الشئ من ربقـة الأسـاطير الدينيـة الموروثـة فـى تفسـير ظـواهر الكـون فـإنهم كـانوا يلجأون لتفسيرات مادية عن كيفية نشوء هذا الكون وتطوره والمـواد المختلفة التى يُحتمل أن تكـون أصـل الوجـود دون أن يعبـأوا كثـيراً بمن خلق هذه المواد المختلفة أو يعطون تفسـيرات غـير مقنعـة عـن نشأتها وخلقها ٠

يكفى كسينوفانيس شرف الريادة بين الإغريق فى إعمال عقلـه ووجدانه حول الخالق الأوحد والأعظم للكـون حتـى وإن اصطدمـت دعوته بآذان صماء وأفكار مناوئة حاولت التعتيم عليه وعلى أفكـاره وإسقاطه فى غياهب النسيان ٠

الهوامش

(1) Clement, Stromateis I . 64, 2 :

της δε Ελεατικης αγωγης Ξενοφανης ο Κολοφωνιος καταρχει, ον φησι Τιμαιος Ιερωνα τον Σικελιας δυναστην και Επιχαρμον τον ποιητην γεγονεναι, Απολλοδωρος δε κατα την τεσσαρακοστην ολυμπιαδα γενομενον παρατετακεναι αχρι Δαρειου τε και Κυρου χρονων.

(2) Fragment 8 (H. Diels, Die Fragmente Vorsokratiker, 5th to 7th eds., by H. Diels, ed. with additions by W. Kranz, 1951/2 - 1954 : henceforth referred to as DK) : DK 21 A1 :

ηδη δ'επτα τ'εασι και εξηκοντ ενιαυτοι Βληστριζοντεσ εμην φροντιδ αν Ελλαδα γην. εκ γενετης δε τοτ ησαν εεικοσι πεντε τε προς τοις, ειπερ εγω περι τωνδ οιδα λεγειν ετυμως.

(3) Diogens Laertius IX, 18 = G.S. Kirk, J.E. Raven and M. Schofield, Presocratic Philosophers, Cambridge, 2nd ed. 1983 (reprint 1993, henceforth referred to as KR) KR 161 p. 163 :

ουτος εκπεσων της πατριδος εν Ζαγκλη της Σικελιας διετριβε και εν Κατανη.

(4) Plato , Sophist 242 D (DK 21 A 29) = KR 163 :

το δε παρ ημιν Ελεατικον εθνος , απο Ξενοφανους τε και ετι προσθεν αρξαμενον, ως ενος οντος των παντων καλουμενων ουτω διεξερχεταις τοις μυθοις .

" اما عن الجماعة الايلية بدءاً من كسينوفانيس بل حتى قبله ، فإن رواياتهم تفصح عن أن ما نطلق عيه كل الأشياء هى فى واقع الأمر شئ واحد " .

Aristotle, Metaphysics A 5 , 986 b18 = KR 164 :

Ξενοφανης δε πρωτος τουτων ενισας (ο γαρ Παρμενιδη. τουτου λεγεται γενεσθαι μαθητης).

وقد كان كسينوفانيس هـو أول مـن قـال بوحـدة الوجـود من بين هؤلاء (فلاسفة ايليا) (إذ يقال أن بـارمينيديس كـان تلميذاً له) .

(5) Diogenes Laertius IX , 20 = KR 161 :

και ηκμαζε κατα την εξηκοδτην ολυμπιαδα.

(6) Fr. 11 ,Sextus Empiricus adv. math. IX, 193 = KR 166 :

παντα θεοις ανεθηκαν Ομηρος θ Ησιοδος τε οσσα παρ ' ανθρωποισιν ονειδεα και ψογος εστιν , κλεπτειν μοιχευειν τε και αλληλους απατευειν.

(7) Fr. 14 ; Clement , Strom. V, 109, 2 = KR 167:

αλλ' οι βροτοι δοκεουδι γενναdσθαι θερυς , την σφετερην δ'εσθητα εχειν φωνην τε δεμας τε.

(8) Fr. 16 : Clement , Storm. VII , 22, 1 = KR. 168 :

Αιθιοπες τε <θεους σφετερουσ> σιμους μελανας τε Θρηκες τε γλαυκους και πυρρους < φασι πελεσθαι> .

(9) Fr. 15 : Clement , Strom. 109, = KR. 169 :

αλλ ' ει χειρας εχον βοες <ιπποι τ'> ηε λεοντεσ , η γραψαι χειρεσαι και εργα τελειν απερ ανδρες, ιπποι μεν θ' ιπποισι βοες δε τε βουσιν ομοιας και <κε> θεων ιδεας εγραφον και σωματ' εποιουν τοιαυθ οιον περ καυτοι δεμας ειχον <εκαστοι> .

(10) Herodotus II. 53 .

(11) Aristotle, Rhetoric : 1399 b 6.

(12) W.K.C. Guthrie, A. History of Greek Philosophy, Cambridge (vol. 1.) "ch. VI, Xenophanes, pp. 360-402" , p. 372.

(13) Fr. 23 : Clement, Strom. V, 109, 1 = KR 170:

εις θεος , εν τε θεοισι και ανθρωποισι μεγιστος , ουτι δεμας θνητοισιν ομοιιος ουδε νοημα.

(14) Frs. 25+26, Simplicius in Phys. 23, 11+23, 20= KR 171:

αιει δ'εν ταυτω μιμνει κινουμενος ουδεν ουδε μετερχεσθαι μιν επιπρεπει αλλοτε αλλη, αλλ' απανευθε πονοιο νοου φρενι παντα κραδαινει.

(15) Fr. 24, Sextus, adv. math. IX, 144:

ουλος ορα, ουλος δε νοει, ουλος δε τ'ακουει.

(16) Aristotle, Metaphysics A5, 986 b 21:

αλλ ' εις τον ολον ουρανον αποβλεψας το εν ειναι φησι τον θεον.

(17) W.K.C., Guthrie, Op. Cit., pp. 380 and 390.

(18) Ibid., pp. 375 - 76 .

(19) Fr. 40 : Diogenes Laertius IX, 1 =KR 190:

πολυμαθιη νοον εχειν ου διδασκει. Ησιοδον γαρ αν εδιδαξε και Πυθαγορην αυτισ τε Ξενοφανεα τε και Εκαταιον.

(20) Fr. 50: Hippolytus, Ref. IX, 9, 1 =KR 196:

ουκ εμου αλλα του λογου ακουσαντας ομολογειν σοφον εστιν εν παντα ειναι.

(21) See notes 4 and 16 above.

(22) Plato, the Sophist 242 C-D:

Ξεν. Μυθον τινα εκαστος φαινεται μοι διηγεισθαι παισιν ως ουσιν ημιν.

إن كل واحد منهم يبدو وكأنه يروى قصة كما لو كنا أطفالاً.

(23) Ibid., and note 4 above.

(24) Aristotle, Metaphysics 986 b 19-22 :

Παρμενιδης μεν γαρ εοικε του κατα τον λγον ενος απτεσθαι, Μελισσος δε του κατα την υλην (διο και ο μεν πεπερασμενον, ο δε απειρον φησιν ειναι αυτο).

(25) Ibid., 22 - 24 :

Ξενοφανης δε πρωτος τουτων ενισας ... ουθεν διεσαφηνισεν, ουδε της φυσεως τουτων ουδετερας εοικε θιγειν, αλλ' εις τον ολον ουρανον αποβλεψας το εν ειναι φησι τον θεον.

(26) Ibid., 25 - 28 :

ουτοι μεν ουν, καθαπερ ειπομεν, αφετεοι προς την ζητησιν, οι μεν και παμπαν ως οντεσ μικρον αγροικοτεροι, Ξενοφανης και Μελισσος. Παρμενιδης δε μαλλον βλεπων εοικε που λεγειν.

(27) W. Guthrie, op. cit., pp. 367 - 68, 370.

كما نقرأ فى هذه الصفحات تقييماً نقدياً حول مدى أصالة مبحث " عن ميليسوس وكسينوفانيس وجورجياس " المنسوب لأرسطو ۰ إذ يذكر الكاتب أن هذا المبحث لم يكتبه أرسطو بل وربما لم يكتب قبل القرن الأول ق۰م۰ وأن الحديث عن كسينوفانيس فى هذا البحث يتناقض مع رأى أرسطو الواضح عنه فى " الميتافيزيقا " ـ كما ورد أعلاه ـ وأن كاتب هذا البحث اعتمد فقط على مقولة أرسطو أن كسينوفانيس من رواد مدرسة إيليا ثم بنى عليها ونسب إليه كثيراً من الأفكار اللاحقة المتبلورة لهذه المدرسة والتى روّج لها بارمينيديس فيما بعد ۰ بل أن بعض الباحثين من أمثال Karl Reinhardt لجأ إلى تغيير الترتيب التاريخى لهذه الشخصيات بحيث جعل بارمينيديس أسبق زمنياً من كسينوفانيس حتى يتسق مع الأفكار الإيلية المتقدمة التى نسبت لكسينوفانيس فى المبحث المذكور ۰ لكن " جوترى " يرفض هذا الافتراض الذى لا يدعمه دليل والذى يتناقض مع ما ذُكر فى المصادر القديمة عن ريادة كسينوفانيس للمدرسة الإيلية ۰

(28) Ibid., pp. 361 - 62 .

(29) Aeschylus, Supplices, 11. 100-103:

παν απονον δαιμονιων. | ημενος ον φρονημα πως | αυτοθεν εξεπραξεν εμπας | εδρανων εφ αγνων.

(30) Euripides, Hercules Furens, 11. 1341 - 1346:

εγω δε τους θεους ουτ λεκτρ α μη θεμις| στεργειν νομιξω , δεσμα τ'εξαπτειν χεροιν | ουτ, ηξιωσα πωποτ ουτε πεισομαι | ουδ αλλον αλλου δεσποτην πεφυκεναι | δειται γαρ ο θεος , ειπερ εστ ορθως θεος , | ουδενος . αοιδων οιδει δυστηνοι λογοι.

ب – هل كان سقراط موحِّداً ٠٠٠٠٠ ورسولاً ؟!

واستكمالاً للحديث عن فكرة التوحيد عند الإغريق يلح علينا هاجس أثاره الطرح الأفلاطونى فى محاورة " الدفاع " عن سقراط وهو : هل كان سقراط موحداً ؟

لمتابعة هذه القضية والبحث فى دوافع هذا السؤال الهاجس لابد أن نمعن النظر فى محاورة " الدفاع " لأفلاطون لنتبين ـــ من خلال تصوير سقراط وهو يدفع عن نفسه التهم الموجهة إليه ـــ إلى أى مدى يكتسب هذا السؤال مشروعيته وهل يمكن أن نجد له إجابةً من ردود سقراط ٠

لقد كان من أبرز الاتهامات الموجهة إلى سقراط أنه " أخطأ لأنه يفسد الشباب ولا يؤمن بآلهة الدولة بل بأرواح أخرى جديدة"[1]٠ وفى معرض رده على الجزئية الثانية من الاتهام ـ وهى ما يعنينا فى هذا المقام ـ يستفسر سقراط من مقدم الاتهام ميليتوس عما إذا كان يعنى أنه (أى سقراط) يؤمن ببعض الآلهة دون البعض الآخر وأن الآلهة التى يؤمن بها تختلف عن آلهة المدينة أم أنه يقصد أن سقراط ملحد ولا يؤمن بأى آلهة على الإطلاق وأنه يُعلِّم (كفره) هذا للناس ٠ فيرد مقدم الاتهام أنه يقصد الأخيرة وهى أن سقراط لا يؤمن بآلهة على الإطلاق [2] ٠ (واضح أنه يقصد أن سقراط لا يؤمن بأى من آلهة الدولة الأثينية المعروفة أى

أن الإنكار هنا لا يعنى الإلحاد على إطلاقه بل الكفر بالآلهة المتعارف عليها لديهم) • وهنا يحاول سقراط الدفاع عن نفسه برد فيه قدر من المراوغة ـ فى تقديرى ـ إذ يذكر فى سؤال استنكارى " ألا أعتقد بأن الشمس والقمر آلهة كما يعتقد بقية البشر ؟ " • فيرد ميليتوس " كلا وحق زيوس ـ أيها القضاة ـ إنه يقول أن الشمس حجر وأن القمر أرض " • فكان رد سقراط إن القائل بهذا هو أناكساجوراس من كلازوميناى وأن آراءه فى هذا الصدد معروفة للجميع وكتبه انمليئة بهذه الآراء تُباع بدراخمة على الأكثر فى الأوركسترا • ويكرر السؤال على ميليتوس بطريقة أخرى "أتعتقد أننى لا أؤمن بأى إله ؟ (لنتمعن معنى السؤال هنا وما قد يوحى به) فيؤكد الأخير " لا وحق زيوس على الإطلاق" (٣) •

ويحاول سقراط تفنيد زعم ميليتوس بالقول بأنه لا يُعقل أن يعتقد المرء بأن هناك أموراً تتعلق بالبشر وهو لا يعتقد بأن هناك بشر ، أو أن يعتقد بأن هناك خيولاً ثم لا يعتقد أن هناك أموراً متصلة بالخيل ، أو ألا يعتقد بأن هناك عازفى مزمار ثم يعتقد فى أمور تتصل بهؤلاء العازفين • ويخلص من هذه الأمثلة إلى القول بأن خصومه يقولون بأنه يؤمن بكائنات روحية ـ سواء كانت قديمة أو جديدة ـ وأنه يُعلِّم الناس هذا الاعتقاد • ويقول إذا كنت أؤمن بكائنات روحية فمن المحتم أننى أؤمن بأرواح ، ألستم تؤمنون بأن الأرواح آلهة أو أبناء للآلهة ؟ ـ يتساءل سقراط ـ وعلى ذلك فأن كنت أؤمن بالأرواح فإننى أؤمن بالآلهة (٤) (حسب تفسيره) •

نحـاول الآن تحليـل هـذا الموقـف السـابق برمتـه علـى النحـو التالى: **أولاً** : إن اتهام ميليتوس لسقراط من أنـه لا يؤمـن بـأى مـن الآلهـة المعروفـة لـدى قومـه اتهـام واضـح ومؤكـد بلهجـة قطعيـة متكررة، مما يدل على أن صاحبه واثق من ذلك كل الثقة وسمع مـن آراء سقراط ما يجعله يقطع بذلك • **ثانياً** : حيـن يـرد سـقراط بأنـه يؤمن بإلوهية الشمس والقمر كغيره مـن النـاس ينفـى ميليتـوس هـذا الزعم ويذكِّر بوجهة نظر سقراط فيهما وهو أنهما ـ على التوالى ـــ حجـر وأرض • فمـاذا كـان رد سـقراط علـى ذلـك ؟ إنـه لا ينفـى صدور هذا القول عنه وإنما اكتفى بأن ذكر صاحب هذا الرأى أصلاً وهو أناكساجوراس ، ولكنه لم ينفِ إيمانه بهذه المقولة كما لـم ينـفِ أنه رددها • ونفهم من هذا أن سقراط ـ خلافاً لما ذكر ـــ لـم يؤمـن بإلوهية الشمس والقمر بـل سـاير الآراء العلميـة السـائدة عنهمـا فـى عصره وأشهرها رأى أناكساجوراس • **ثالثاً** : حيـن حـاول سـقراط أن يزعم أنه يؤمن بالآلهة جاء ذلك الزعم من خلال طريقـة ملتويـة تعتمد على الجدل المنطقى (الذى يرتكـز علـى زعـم خصومـه بأنـه يؤمن بكائنات روحية دون أن يوضـح موقفـه مـن هـذا الزعـم ، بـل استغله لصالحه فى دفاعه) ولـم يـأت فـى صـورة اعـتراف صريـح ومباشر بإيمانه بهذه الآلهة • لقد كان بإمكانـه ـــ لـو أنـه آمـن بهـذه الآلهة حقاً ـ أن يُكذِّب زعم ميليتوس بصورة قاطعة وأن يؤكد بشتى الطـرق ومـن أقصـر السـبل إيمانـه بهـا • إن مـا فعلـه سـقراط فـى محاولة مجاراة معتقدات الاثينيين والتظاهر بالإيمـان بهـا ربمـا كـان

نوعاً من (التَقية) – إن جاز لى استخدام هذا التعبير – وربما كان الغرض من ذلك أن يفلت من الإعدام حتى تتاح له فرصة الترويج والدعوة لأفكاره الحقيقية بين الأثينيين ٠

إن سقراط يحاول أن يبين سبب عداء بعض الأثينيين له ومحاولة كيل التهم المذكورة له للخلاص منه فيذكر أن أحد الأثينيين المشهود لهم بالجرأة ويُدعى خايريفون قد " توجه ذات مرة إلى معبد الوحى فى ديلفى وسأل وحى الإله (أبوللو) عما إذا كان هناك من هو أحكم من سقراط ؟ فردت بيثيا كاهنة الوحى بأنه ليس هناك من هو أحكم منه " (٥) ٠ وهنا يتساءل سقراط " ماذا يعنى **الإله** بهذا القول وما هذا اللغز الذى أثاره ؟ إننى أعلم أننى لست حكيماً فى كثير أو قليل ٠ ولكن **الإله لا يكذب** بحال ولا يليق به ذلك " [٦] وبقية القصة معروف من أن سقراط حاول أن يستوثق من نبوءة الوحى ويتأكد ما إذا كان هناك من أهل أثينا من هو أحكم منه فذهب إلى واحد ممن اشتهروا بالحكمة من بين الشخصيات العامة وحاوره واكتشف جهله ، فحاول سقراط أن يفهمه أنه يظن نفسه حكيماً ولكنه فى واقع الأمر ليس كذلك ، ومن هنا اكتسب كراهية وعداوة هذه الشخصية ٠ وهنا أدرك سقراط أنه يَفْضُل محاوره فى شئ واحدٍ وهو أنه (أى سقراط) لا يعلم شيئاً ولا يظن (فى قرارة نفسه) أنه يعلم شيئاً ، أما محاوره فلا يعلم شيئاً ولكنه يعتقد أنه يعلم وأوهم الناس أنه يعلم [٧] ٠

إذا ما تأملنا هذا الموقف نجد أن حديث سقراط عن الإله ــ بصيغة المفرد ــ ونبوءته هنا تشير ــ ظاهرياً ــ إلى إله ديلفى (أبوللو) رغم أنه لا يشير إليه بالاسم ، إن حديثه هنا عن نبوءة وحى ديلفى يلائم سياق مرافعة الدفاع عن نفسه أمام الاتهامات ، فها هو يقول للأثينيين ـ من طرف خفى ـ أنه يؤمن بإله ديلفى ويثق فى صدقه وهو ما ينفى عنه تهمة الإلحاد السابقة ، ويثبت لهم ـ ظاهرياً ـ أنه يؤمن بآلهتهم ويربأ بها عن الكذب ، ولا ننسى ما كان لوحى ديلفى من مكانة فى نفوس الإغريق جميعاً ، وهو ما يُضفى مصداقية على حكمة سقراط (فى نفوس مواطنيه) ، أما ما يقصده سقراط ـ فى حقيقة الأمر ـ فلربما كان إلهاً آخر ـ لا علم لمستمعيه به ـ يؤمن به فى قرارة نفسه لا سيما وأنه لم يذكر اسم أبوللو أو أى إله آخر صراحةً ،

ومصداقاً لهذا الافتراض أو الاقتراح الأخير لنعد إلى محاورة "الدفاع" ونتأمل بعض عباراتها ــ وفى سياقها ــ حتى نحاول أن نرى أبعاد العلاقة بين سقراط وبين هذا الإله (الواحد) الذى يذكره مراراً فى الجزء التالى :

" اعلموا أنكم إذا قتلتمونى ــ وأنا ذلك الرجل الذى حدثتكم عنه ـ فإنكم لن تضيرونى بقدر ما سوف تضيرون أنفسكم لأنه ليس بوسع ميليتوس أو أنيتوس أن يلحق بى ضُراً ، إن ذلك غير ممكن إذ لا أعتقد أن من الحق أن يُضار الأفضل على يد الأسوأ ، ربما

كان بوسعه أن يقتلنى أو ينفينى أو يجردنى من حقوق المواطنة ، وربما تصور هو وآخرون بذلك أنه يلحق بى ضرراً بليغاً ، ولكننى لا أعتقد ذلك بل أعتقد أنه يلحق بنفسه ضرراً أفدح حين يحاول إزهاق روح بريئة بغير وجه حق ·

وعلى ذلك أيها الأثينيون فإن هذا الدفاع ليس دفاعاً عن نفسى فى المقام الأول ـ كما قد يتصور البعض ـ وإنما هو بالأحرى دفاع عنكم **حتى لا تخطئوا بحق هدية الإله إليكم** · فإنكم إن اعدمتمونى فلن تعثروا بسهولة على شخص آخر على شاكلتى ـ ولأُبسّط التشبيه حتى وإن قلت ما يثير الضحك ـ شخص مرتبط بالمدينة ارتباطاً وثيقاً كارتباط ذبابة الخيل بالخيل ، بفرس ضخم وأصيل تسببت ضخامة حجمه فى زيادة بلادته وترهله فصار بحاجة لذبابة كهذه لكى تخزه وتحفزه · ويبدو أن **الإله قد جاد بى على المدينة لأقوم** بمثل هذا الدور حيث أتولى استنهاضكم وتحريضكم وتأنيب كل واحد منكم بلا توقف وحيثما أحط رحالى فى كل مكان طيلة اليوم · لذا فليس من اليسير أن يأتيكم رجل آخر من هذه النوعية ، فإن أخذتم بنصحى فستطلقون سراحى · ولكن ربما استبد بكم الغضب كمن أوقظوا من سُباتهم فتصفعوننى حسب نصيحة وتحريض أنيتوس وتقتلوننى بسهولة ثم تُمضون بقية حياتكم فى نوم وسبات **ما لم يشملكم الإله برعايته ويرسل إليكم شخصاً (رسولاً) آخر** · أما عن قولى **بأنى هدية من الإله للمدينة** فبوسعكم أن تتفهموه من هذا المنطق : ليس من خصال البشر أن أهمل كافة شئونى الخاصة وأن

أتحمل إهمال وترك أمورى المنزلية طيلة تلك السنوات وأن أنشغل بأموركم على الدوام وأن أقترب من كل واحد منكم شخصياً كأب أو أخ أكبر ناصحاً إياه بأن يولى الفضيلة جل عنايته " [٨] .

إن هذه الفقرة بعباراتها القاطعة الدلالة فى غاية الأهمية إذ يؤكد فيها سقراط على الإله (الواحد) دون تخصيص لإسم أى إله من آلهة الإغريق مما يؤكد الوحدانية المطلقة عند سقراط • بل والأهم من هذا ان سقراط يؤكد أنه هدية ورسول لقومه من هذا الإله الواحد لينشر الفضيلة بينهم ويأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر • ومما يضفى دعماً أكبر لهذا الافتراض أن سقراط ربما كان يشير – فى فقرة أخرى ضمن هذا السياق – إلى وحى يُوحى إليه حين يتحدث عن ذلك الشئ المقدس الروحانى " الذى يتجلى له - منذ طفولته - فى صورة " صوت ما " يأتيه ، ولنوضح ذلك فى سياق الاقتباس التالى لهذا الجزء من الفقرة المعنية :

" ربما يبدو غريباً أن أتجول هنا وهناك وأتدخل فى شئون الناس لأقدم لهم النصيحة الفردية وألا أجرؤ على المجئ إلى الجماهير (فى الجمعية الشعبية) لكى أُسدى نصحى للمدينة على الملأ • ولكن السبب فى هذا هو ما سمعتمونى أردده عليكم مراراً فى أماكن كثيرة وهو أنه **يحضرنى شئ مقدس وروحانى** وهو ما سجله ميليتوس وسخر منه فى صحيفة ادعائه • لقد بدأ هذا الأمر معى **منذ طفولتى فى صورة صوت معين يأتى إلى** ، وعندما يأتى

فإنه دائماً ما يمسكنى عما أنا مقدم على فعله • وهو الذى يعترض على مشاركتى فى الأمور العامة (السياسية) "[٩] •

ولعل خير ختام لهذا الحديث عن الوحدانية عند سقراط العبارة الأخيرة التى يختتم بها دفاعه عن نفسه – حتى بعد صدور الحكم بإعدامه - إذ يقول : " لقد حان وقت الوداع ، فبالنسبة لى فإنى ذاهب لألقى حتفى ، أما أنتم فستبقون على قيد الحياة • ولكن **من منا سيذهب إلى مصير أفضل ، هذا أمر لا يعلمه إلا الإله** "[١٠] •

وكأن سقراط هنا يقول ان النافع والضار هو هذا " الإله " وأنه هو وحده الذى يعلم الخير والشر •

الهوامش

(1) Plato, Apology (loeb, translated by H.N.Flower, reprint 1990), 24 B.

Σωκρατη φησιν αδικειν τους τε νεους διαφθειροντα και θεους ους η πολις νομιζει ου νομιζοντα, ετερα δε δαιμονια καινα, το μεν δη εγκλημα τοιουτον

(2) Ibid. 26 C. :

τουτοις. εγω γαρ ου δυναμαι μαθειν, ποτερον λεγεις διδασκειν με νομιζειν ειναι τινας θεους, και αυτος αρα νομιζω ειναι θεους, και ουκ ειμι το παραπαν αθεος ουδε ταυτη αδικω, ου μεντοι .... ουσπερ γε η πολις, αλλα ετερους, και τουτ εστιν ο μοι εγκαλεις, οτι ετερους <u>η πανταπασι με φης ουτε αυτον νομιζειν θεους τους τε αλλους ταυτα διδασκειν. Ταυτα λεγω, ως το</u>

παραπαν ου νομιζεις θεους. Ω θαυμασιε Μελητε, ινα τι ταυτα λεγελις ;

(3) Ibid., 26 D - E :

ουδε ηλιον ουδε σεληνην αρα νομιζω θεους ειναι, ωσπερ οι αλλοι ανθρωποι ; Μα Δι , ω ανδρες δικασται, επει τον μεν ηλιον λιθον φησιν ειναι, την δε σεληνην γην. Α ναξαγορου οιει κατηγορειν, ω φιλε Μελητε, και ουτω καταφρονεις τωνδε και οιει αυτους απειρους γραμματων ειναι, ωστε ουκ ειδεναι, οτι τα Αναξαγορου βιβλια του Κλαζομενιου γεμει τουτων των λογων ; και δη και οι νεοι ταυτα παρ εμου μανθυνουσιν, α εξεστιν ενιοτε, ει πανυ πολλου, δραχμης εκ της ορχηστρας πριαμενοις Σωκρυτους καταγελαν, εαν πορσποιηται εαυτου ειναι, αλλως τε και ουτως ατοπα οντα. αλλ , ω προς Διος , ουτωσι σοι δοκω[2] ουδενα νομιζειν θεον

<u>ειναι ; Ου μεντοι μεντοι μα Δια ουδ οπωστιουν.</u>

(4) Ibid , 27 B - D :

Ειωθοτι τροπω τους λογους ποιωμαι. Εστιν οστις ανθρωπων, ω Μελητε, ανθρωπεια μεν νομιζει πραγματ ειναι, ανθρωπους δε ου νομιζει; αποκρινεσθω, ω ανδρες, και μη αλλα και αλλα θορυβειτω. εσθ οστις ιππους μεν ου νομιζει, ιππικα δε πραγματα ; η αυλητας μεν ου νομιζει ειναι, αυλητικα δε πραγματα ; ουκ εστιν ω αριστε ανδρων ει μη συ βουλει αποκρινασθαι, εγω σοι λεγω και τοις αλλοις τουτοισι. αλλα το επι τουτω γε αποκριναι . εσθ οστις δαιμονια μεν νομιζει πραγματ ειναι, δαιμονας δε ου νομιζει ; Ουκ εστιν. Ως ωνησας, οτι μογις απεκρινω υπο τουτωνι αναγκαζομενος. <u>ουκουν δαιμονια μεν φης με και νομιζειν και διδασκειν, ειτ ουν καινα ειτε παλαια.</u>

αλλ ουν δαιμονια γε νομιζω κατα τον σον λογον, και ταυτα και διωμοσω εν τη αντιγραφη. ει δε δαιμονια νομιζω, και δαιμονας δηπου πολλη αναγκη νομιζειν με εστιν . ουχ ουτως εχει ; εχει δη . τιθημι γαρ σε ομολογουντα, επειδη ουκ αποκρινει. τους δε δαιμονας ουχι ητοι θεους γε ηγουμεθα η θεων παιδας ; φης η ου ; Πανυ γε. Ουκουν ειπερ δαιμονας ηγουμαι, ως συ φης , ει μεν θεοι τινες εισιν οι δαιμονες, τουτ αν ειη ο εγω φημι σε αινιττεσθαι και χαριεντιζεσθαι, θεους ουχ ηγουμενον φαναι εμε θεους αυ ηγεισθαι .

(5) Ibid., 21 A :

οιος ην Χαιρεφων, ως σφοδρος εφ ο τι ορμησειεν. και δη ποτε και εις Δελφους ελθων ετολμησε τουτο μαντευσασθαι. και, οπερ λεγω, μη θορυβειτε, ω ανδρες . ηρετο

<u>γαρ δη, ει τις εμου ειη σοφωτερος. ανειλεν ουν η Πυθια μηδενα σοφωτερον ειναι.</u>

(6) Ibid., 21 B :

ταυτα γαρ εγω ακουσας ενεθυμουμην ουτωσι. <u>τι ποτε λεγει ο θεος, και τι ποτε αινιττεται</u> ; εγω γαρ δη ουτε μεγα ουτε σμικρον ξυνοιδα εμαυτω σοφος ων. τι ουν ποτε λεγει φασκων εμε σοφωτατον ειναι ; <u>ου γαρ δηπου ψευδεται γε ου γαρ θεμις αυτω.</u>

(7) Ibid., 21 D:

σοφωτερος εστι, συ δ εμε εφησθα. διασκοπων ουν τουτον – ονοματι γαρ ουδεν δεομαι λεγειν, ην δε τις των πολιτικων, προς ον εγω σκοπων τοιουτον τι επαθον, ω ανδρες Αθηναιοι, – και διαλεγομενος αυτω εδοξε μοι <u>ουτος ο ανηρ δοκειν μεν ειναι σοφος αλλοις τε πολλοις ανθρωποις και μαλιστα εαυτω, ειναι δ ου.</u> καπειτα επειρωμην αυτω δεικνυναι, <u>οτι οιοιτο μεν</u>

ειναι σοφος, ειη δ ου. εντευθεν ουν τουτω τε απηχθομην και πολλοις των παροντων, προς εμαυτον δ ουν απιων ελογιζομην, οτι τουτου μεν του ανθρωπου εγω σοφωτερος ειμι. κινδυνευει μεν γαρ ημων ουδετερος ουδεν καλον καγαθον ειδεναι, αλλ ουτος μεν οιεται τι ειδεναι ουκ ειδως εγω δε, ωσπερ ουν ουκ οιδα, ουδε οιομαι. εοικα γουν τουτου γε σμικρω τινι αυτω τουτω σοφωτερος ειναι, οτι α μη οιδα ουδε οιομαι ειδεναι. εντευθεν επ αλλον ηα των εκεινου δοκουντων σοφωτερων ειναι, και μοι ταυτα ταυτα εδοξε. και ενταυθα κακεινω και αλλοις πολλοις απηχθομην.

(8) Ibid., 30 C - 31 B .

μηδαμως ποιειτε τουτο. ευ γαρ ιστε, εαν εμε αποκτεινητε τοιουτον οντα, οιον εγω λεγω, ουκ εμε μειζω βλαψετε η υμας αυτους. εμε μεν γαρ ουδεν αν βλαψειεν

ουτε Μελητος ουτε Ανυτος . ουδε γαρ αν δυναιτο. ου γαρ οιομαι θεμιτον ειναι αμεινονι ανδρι υπο χειρονος βλαπτεσθαι. αποκτλεινειε μεντ αν ισως η εξελασειεν η ατιμωσειεν. αλλα ταυτα ουτος μεν ισως οιεται και αλλος τις που μεγαλα κακα, εγω δ′ ουκ οιομαι, αλλα πολυ μαλλον ποιειν α ουτος νυνι ποιει, ανδρα αδικως επιχειρειν αποκτιννυναι. νυν ουν, ω ανδρες Α θηναιοι, πολλου δεω εγω υπερ εμαυτου απολογεισθαι, ως τις αν οιοιτο, αλλα υπερ υμων, μη τι εξαμαρτητε περι την τον θεου δοσιν υμιν εμου καταψηφισαμενοι. εαν γαρ εμε αποκτεινητε, ου ραδιως αλλον τοιουτον ευρησετε, ατεχνως . ει και γελοιοτερον ειπειν, προσκειμενον τη πολει,[1] ωσπερ ιππω μεγαλω μεν και γενναιω, υπο μεγεθους δε νωθεστερω και δεομενω εγειρεσθαι υπο μυωπος τινος. οιον δη μοι δοκει ο θεος εμε τη πολει προστεθεικεναι τοιουτον τινα, ος

υμας εγειρων και πειθων και ονειδιζων ενα εκαστον ουδεν παυομαι την ημεραν ολην πανταχου προσκαθιζων. τοιουτος ουν αλλος ου ραδιως υμιν γενησεται, ω ανδρες, αλλ εαν εμοι πειθησθε, φεισεσθε μου. υμεις δ' ισως ταχ αν αχθομενοι, ωσπερ οι νυσταζοντες εγειρο-μενοι, κρουσαντες αν πειθομενοι Ανυτω, ραδιως αν αποκτειναιτε, ειτα τον λοιπον βιον καθευδοντες διατελοιτε αν, ει μη τινα αλλον ο θεος υμιν επιπεμψειεν κηδομενος υμων. οτι δ' εγω τυγχανω ων τοιυτος, οιος υπο του θεου τη πολει δεδοσθαι, ενθενδε αν κατανοησαιτε. ου γαρ ανθρωπινω εοικε το εμε των μεν εμαυτου απαντων ημεληκεναι και ανεχεσθαι των οικειων αμελουμενων τοσαυτα ηδη ετη, το δε υμετερον πραττειν αει, ιδια εκαστω προσιοντα ωσπερ πατερα η αδελφον πρεσβυτερον, πειθοντα επιμελεισθαι αρετης.

(9) Ibid., 31 C - D :

Ισως αν ουν δοξειεν ατοπον ειναι, οτι δη εγω ιδια μεν ταυτα ξυμβουλευω περιιων και πολυπραγμονω, δημοσια δε ου τολμω αναβαινων εις το πληθος το υμετερον ξυμβουλευειν τη πολει. τουτου δε αιτιον εστιν ο υμεις εμου πολλακις ακηκοατε πολλαχου λεγοντος, οτι μοι θειον τι και δαιμονιον γιγνεται,[1] ο δη και εν τη γραφη επικωμωδων Μελητος εγραψατο. εμοι δε τουτ εστιν εκ παιδος αρξαμενον φωνη τις γιγνομενη, η οταν γενηται, αει αποτρεπει με τουτο ο αν μελλω πραττειν, προτρεπει δε ουποτε. τουτ ετιν ο μοι εναντιουται τα πολιτικα πραττειν.

(10) Ibid., 42 :

αλλα γαρ ηδη ωρα απιεναι, εμοι μεν αποθανουμενω, υμιν δε βιωσομενοις. οποτεροι δε ημων ερχονται επι αμεινον πραγμα, αδηλον παντι πλην η τω θεω.



ملحق

ببعض الألفاظ المشتركة

بين اليونانية والعربية

ألفاظ مشتركة بين اليونانية والعربية

لا تخلو لغة من اللغات القديمة أو الحديثة من تأثيرات أجنبية من المناطق القريبة منها مكانياً أو المناطق التى تعاملت معها على أى صعيد سواء كان سياسياً أو عسكرياً أو حضارياً ٠ هذه التأثيرات قد تتمثل فى التراكيب اللغوية المشابهة أو فى انتقال ألفاظ من لغاتها الأصلية لتنتشر فى نطاق أوسع من نطاقها المكانى الأصلى لتكتسب تداولاً فى أماكن أخرى تتحدث لغة أو لغات أخرى ٠ ولما كنا نعلم من دراسة التاريخ أن الحضارات على مرّ التاريخ قديمه وحديثة تمر بأطوار نشوء ونمو وازدهار ثم انحدار وانهيار فإن الحضارة التى تصل لمرحلة الازدهار تأخذ فى التأثير على الأماكن الأخرى المحيطة بها والمتعاملة معها وتظل تأثيرات وألفاظ هذه الحضارة باقية فى مناطق التأثر تلك حتى بعد تدهور وسقوط الحضارة التى أخذت عنها ٠ ولما كانت كل الحضارات القديمة ــ فى الشرق والغرب ـ قد سادت لفترات معينة ثم اضمحلت ليسود غيرها وهكذا، فإن الحضارات الأقدم كانت تترك تأثيراتها وبصماتها ـ بلا شك ـ على الحضارات التالية واللاحقة عليها ٠ هكذا فإن حضارات الشرق القديم فى مصر وبلاد الرافدين والمدن الفينيقية قد أثّرت على اليونان الذين ازدهرت حضارتهم فى فترة زمنية لاحقة لهذه الحضارات التى كانت حينذاك فى طور الانحدار ٠ ويعترف اليونان أنفسهم فى كتاباتهم بتأثرهم الشديد بعلوم المصريين وحكمتهم فى الطب والفلك

والهندسة ، وأن روادهم الأوائل مثل طاليس وسولون وهيكاتيوس الميليتى وهيرودوت قد نهلوا كثيراً من علوم المصريين ٠ بل يذكر الجغرافى والمؤرخ اليونانى سترابون من القرن الأول ق٠م٠ أن أفلاطون قد مكث فى مصر مع كهنة هيليوبوليس ثلاثة عشر عاماً ليستفيد من حكمتهم وعلومهم ولكنهم ضنوا عليه ولم يعطوه سوى قشور معرفتهم ٠ كما تأثر اليونان كذلك بعلم التنجيم البابلى ، وأخذوا حروف أبجديتهم ـ بعد انقشاع آثار الغزو الدورى لبلادهم ـ عن الفينيقيين ثم طوروها وأضافوا إليها بعض حروفهم ٠(الحروف الخمس المتحركة) ٠

ومن الجدير بالتنويه فى هذا المقام أن التفوق السياسى أوالعسكرى ليس هو المعيار فى فرض ثقافة الجانب الأقوى فى هذه النواحى على الجانب الأضعف وإنما المعيار هنا هو الرصيد الحضارى والثقافى ٠ إذ قد يفرض الطرف المهزوم بلغة الحرب والسياسة ثقافته على الطرف القوى المنتصر ، ولعل أبرز مثال على ذلك هو بلاد اليونان التى خضعت فى القرن الثانى ق٠م٠ لسلطان روما سياسياً وعسكرياً ومع ذلك فإن اليونان قاموا بغزو ثقافى وفكرى وحضارى لعقول الرومان الذين انبهروا إذ ذاك بكنوز الحضارة اليونانية التى انفتحت أمامهم حتى لم يعد أى رومانى يستطيع آنذاك أن يزعم أنه مثقف "doctus" ما لم يكن مطلعاً على عيون الثقافة اليونانية ٠ هذا الغزو الفكرى اليونانى للرومان لقى ـ رغم ذلك ـ بعض المقاومة من قلة من الشخصيات الرومانية

المحافظة المتعصبة الذين كان من أبرزهم "كاتو الأكبر " الذى عزّ عليه أن تفقد الشخصية الرومانية بساطتها وصلابتها الفطرية وهى أهم مقومات بقائها وتوسعها حين سيطر الرومان على معظم السواحل المطلة على البحر المتوسط وكانوا يشيرون إلى هذا البحر فى كتاباتهم ووثائقهم بتعبير " بحرنا "mare nostrum" كما كان يخشى أن يكون من نتيجة هذا المد الثقافى اليونانى " إفساد " الشخصية الرومانية • إلا إن هذه المعارضة من جانب كاتو الأكبر لم تصمد كثيراً أمام موجات الغزو الفكرى والحضارى اليونانى لروما حتى أن كاتو نفسه قد تعلم اللغة اليونانية فى شيخوخته ! وأقبل الكثيرون من مثقفى الرومان على النهل من ينابيع الثقافة اليونانية • ولعل ما يلخص انتصار الإغريق على الرومان فى هذا الصراع الحضارى عبارة ذات دلالة بالغة للشاعر هوراتيوس الرومانى الشهير من القرن الأول ق•م• يقول فيها " إن بلاد اليونان الأسيرة قد أوقعت غازيها المتباهى (يقصد الرومان) فى شراكها " • وحتى فى عصر ازدهار الإمبراطورية الرومانية خلال القرنين الأول والثانى الميلاديين كان بعض أباطرة الرومان يكنون أعظم التقدير للحضارة والثقافة اليونانية ويحجون إلى بلاد اليونان مهد تلك الحضارة ويعفون أهلها من الضرائب المفروضة على بقية سكان الإمبراطورية الرومانية ويقيمون المكتبات والمعابد والمهرجانات فى بلاد اليونان ، وكان من أبرز هؤلاء الأباطرة نيرون ودوميتيان وهادريان الذى لقب بالمتأغرق Graeculus •

قد يثور فى ذهن البعض تساؤل مشروع وهو : لماذا ركزت على الألفاظ اليونانية فى اللغة العربية رغم أن الحضارة اليونانية أحدث - زمنيا - من حضارات الشرق القديم كالحضارة المصرية وحضارات بلاد الرافدين والمدن الفينيقية والتى لابد أنها تركت آثارها وبصماتها فى اللغة العربية - لا سيما أن هذه الحضارات القديمة قد نشأت وازدهرت فى الحدود الجغرافية الحالية للوطن العربى ؟

والإجابة على هذا السؤال ذات شقين :

الأول : أن الحضارة اليونانية والرومانية هى مجال تخصصى الذى درسته وتعلمته وأقوم بتدريسه ، وهذه هى بضاعتى ٠ وأترك تأثيرات الحضارات الشرقية القديمة فى اللغة العربية لأصحاب الاختصاص فيها ٠

أما الشق **الثانى** فهو أن الظروف فى العصر الحديث قد ساعدت على إحياء اللغة اليونانية واللغة اللاتينية بصورة غير مباشرة ، كما أسهمت فى انتشارهما فى كثير من أنحاء العالم ٠ السبب ببساطة أن اللغتين اليونانية واللاتينية كانتا الدعامة التى قامت عليها الحضارة اليونانية ومن بعدها الحضارة الرومانية ، أو فى عبارة أخرى الحضارات الأوربية القديمة ٠ ولما أفاقت أوروبا من سباتها الحضارى فى أعقاب العصور الوسطى وبدأت محاولات إحياء نهضتها القديمة كان لابد لها أن تنهل من منابعها القديمة فى

التراث اليونـانى والرومـانى ٠ ومـن الطريـف أن الحضـارة العربيـة الإسلامية قد لعبت دوراً فاعلاً وحيوياً فى الحفـاظ علـى هـذا الـتراث اليونانى والرومانى من خلال حركة الترجمة الرائعة والرائدة لكثير من هذا التراث خـلال العصـر العباسـى ـ لاسـيما أيـام حكـم الرشـيد وولديه الأمين والمأمون ـ كما لعبت الحضارة العربية الإسلامية نفس هذا الدور الهام فى نقل ذلك التراث إلى منـاطق توسـعها الجديـد فـى الأندلس وصقليـة حيـث نهـل منـه الأوروبيـون ٠ لـذا كـانت الألفـاظ الاصطلاحية اليونانية واللاتينية هى القاعدة الأساسية فى كافة العلـوم والمعـارف والآداب والفنـون الأوربيـة ٠ ولمـا كـان الأوربيــون قـد سيطروا فى العصر الحديث على معظم أجزاء الوطن العربى وكانوا هم أصحاب الحضارة والثقافة الحديثة التى شدت انتباه الكثـيرين مـن المتعلمين العرب فقد تغلغلـت لغـاتهم وثقافـاتهم بيـن أوسـاط المثقفيـن العرب كما تسللت إلى لسان رجل الشارع العربى فى بعض نواحـى حياته اليومية ، وقد انتقلت مع لغات هؤلاء الأوربيين وألفاظهم التـى جرى بعضها على اللسان العربى الأصـول اليونانيـة واللاتينيـة لهـذه الآلفاظ الأوربية الحديثة فى لغاتها المختلفة ٠

وأود أن أوكـد فـى طرحـى لهـذا الموضـوع علـى أننـى لسـت متخصصـاً فـى فقـه اللغـة المقـارن ، وبالتـالى لا أزعـم القـدرة علـى التحديد الدقيق للموطن الأصلى لكل لفظة من الألفاظ التـى سأسـوقها بالأمثلة ، والتاريخ الدقيق لظهورها ورحلتها بيـن التـأثير والتـأثر ٠

الموقف ببساطة أننى تخرجت فى شعبة الدراسات الكلاسيكية * (اليونانية واللاتينية) ودرست فى مرحلة الليسانس قدراً لا بأس به من النصوص اليونانية واللاتينية بلغاتها الأصلية فى مجالات الأدب (شعره ونثره) والتاريخ والفلسفة والآثار وعلم البردى والنقوش ، ثم تخصصت فى مرحلة الدراسات العليا (الماجستير والدكتوراه) وما بعدهما فى فرع من الدراسات الكلاسيكية هو " التاريخ اليونانى والرومان " • وأزعم أننى قرأت ودرست قدراً كبيراً من النصوص

---

* كلاسيك وكلاسيكى وكلاسيكيات :

اصطلاحات فى اللغة الانجليزية مشتقة من الصفة اللاتينية Classicus بمعنى " من الطبقة الأعلى " (من بين الطبقات الخمس التى قسم إليها المواطنون الرومان حسب الثروة على يد الملك سيرفيوس توليوس) • وكان الكاتب أولوس جيليوس من القرن الثانى الميلادى ـ فيما يبدو ـ أول من استخدم الصفة بصورة مجازية ليصف بها كاتباً ، ولكن شيشرون أخذ الأسم classis (بمعنى "طبقة") من دائرة استخدامها السياسى والعسكرى واستخدمها ليصف بها " فئة " أو "طبقة" من الفلاسفة •

أما علماء عصر النهضة الذين كتبوا باللاتينية فقد اتخذوا هذه الصفة Classicus ليصفوا بها الكُتّاب الإغريق واللاتين على وجه العموم • ومن هذا الاستعمال اشتق الاستخدام الحالى • وأحياناً تستخدم هذه الاصطلاحات بمعنى أضيق أو بمعنى محدود زمنياً لتصف فترة بعينها يعتقد أنها الأرقى والأفضل ثقافياً بين فترات الحضارتين اليونانية والرومانية • وهكذا فإن الفترة الكلاسيكية عند الإغريق كانت معظم القرن الخامس والرابع ق•م• وهى تمتد تقريباً من هزيمة الفرس عام ٤٨٠ ق•م• حتى وفاة الاسكندر الأكبر فى ٣٢٣ ق•م• ، وفى روما القرن الأول ق•م• وحتى وفاة أغسطس سنة ١٤م • وهى الفترة التى يشار إليها أحياناً بـ " العصر الذهبى " فى الأدب اللاتينى •

اليونانية واللاتينية والوثائق البردية والنقشية خلال هذه الرحلة على مدى أكثر من عشرين عاماً ٠ وقد لفت نظرى منذ وقت مبكر فى هذه النصوص - التى تغطى الفترة من القرن الثامن ق٠م٠ حتى القرن الرابع الميلادى تقريباً - وجود ألفاظ متطابقة أو متشابهة فى نطقها ومعناها مع ألفاظ نستعملها الآن فى لغتنا فى الفصحى وبعض اللهجات العامية ٠ وقد كنت أجمع ما يقابلنى من هذه الألفاظ فى النصوص طيلة هذه الفترة أولاً بأول لعمل فهرس يضمها حين يتجمع منها قدر كاف لهذا الغرض ٠ ولا أدّعى رغم ذلك أننى قد حصرت كل الكلمات اليونانية المستعملة فى اللغة العربية وإن كان ما توفر لدىّ منها حتى الآن يكفى لهذا البحث ، وللموضوع بقية بإذن الله ٠

قبل أن أطوّف فى هذه الأمثلة فى المجالات المختلفة يجدر أن أنوه إلى أن تركيبة الكلمة اليونانية تختلف عن تركيبة الكلمة العربية فى نقطة هامة : ففى حين يعتمد النحو العربى على علامات الإعراب : الضمة والفتحة والكسرة التى تبين موضع الكلمة فى الجملة ووظيفتها فإن اللغة اليونانية تعتمد فى هذا الصدد على نهايات الكلمات ٠ إن الكلمة اليونانية من اسم وصفة وفعل تنقسم إلى قسمين: جذر ثابت فى الغالب ونهاية متغيرة ٠وتدل نهايات الأسماء والصفات على النوع والعدد والحالة من الإعراب ، وتوجد الكلمة من اسم أو صفة فى المعاجم اليونانية بنهايتها الدالة على المفرد فى حالة المبتدأ أو الفاعل ٠ أما نهايات الأفعال فتدل على الشخص أو

الأشخاص الذين قاموا بالفعل ، وزمن الفعل ، وهل هو مبنى للمعلوم أو المجهول وصيغته (إخبارية ـ تمنى أو رجاء شك ـ أمر) ، ويوجد الفعل فى المعجم بنهايته الدالة على المتكلم فى زمن المضارع البسيط الإخبارى • أما عن الألفاظ المستعملة فى العربية الموجودة فى اللغة اليونانية فإن الاشتقاق فى الكثير منها مأخوذ من جذر الكلمة اليونانية وبعضها مقتبس بأكمله (الجذر والنهاية) عن الأصل اليونانى •

كلمة أخيرة فى هذه المقدمة وهى أن الكلمات المستعملة فى العربية والمأخوذة عن اليونانية أو الموجودة فى النصوص والمعاجم اليونانية هى ألفاظ تجرى لفظاً ومعنى على ألسنة الناس من المتعلمين ومتوسطى الثقافة وبعضها شائع لدى رجل الشارع العادى• أى أننى لم ألجأ إلى اعتساف كلمات شائعة فى اللغات الأوروبية وغير معروفة فى الشارع العربى ، وهى ظاهرة يلجأ إيها بعض من بنى أوطاننا ممن تعلموا لفترات طويلة فى الغرب إما تأثرا وإما مباهاة • ولو فعلت هذا بالنسبة للألفاظ ذات الأصول اليونانية فى اللغات الأوربية لما انتهيت لأنها كثيرة وتجل عن الحصر ، إضافة إلى أنها تخرجنا عن صلب موضوعنا وهو تأثر " العربية " بألفاظ وجدت فى النصوص والمعاجم اليونانية ، أو دخول ألفاظ عربية إلى اللغة والمعاجم اليونانية •

ولنبدأ الآن بتصنيف تلك الكلمات المشتركة بين اللغتين فى حياتنا اليومية حسب وجودها فى مجالات مختلفة على الوجه الآتى:

أولاً : كلمات عادية من أسماء وأفعال شائعة فى الفصحى والعامية:

لنتأمل هذه الكلمات اليونانية والعربية التى تكاد تتطابق لفظاً ومعنى :

- أكروبات (من ألعاب السيرك) وهى مأخوذة من فعل acrobaté ακροβατεω "يسير على أطراف أصابعه " .
- أثير aether αιθηρ (الهواء النقى) .
- أكمة acmé ακμη (ما ارتفع وصعد فى السماء) .
- عربون arrhabo αρραβων (عبرية) .
- بربرى barbaros βαρβαρος
- جنس (بمعنى سلالة) genos γενος
- دَين daneion δανειον
- زوج (بمعنى اثنين) zeugos ζευγος
- زفير zephyeros Ζεφυρος
- متر (بمعنى قياس) metron μετρον
- ترمومتر thermometon θερμομετρον (بمعنى مقياس الحرارة باليونانية) .
- قادوس (دلو الساقية) cados καδος

- كىّ (بالنار) caéo καιω
- قلم (نبات البوص) calamus καλαμος
- كمرة (التى تحمل السقف المقوس) camara καμαρα
- قانون canon κανων
- جمل camelos καμηλος (تذكر القواميس أنها كلمة عبرية أو سامية)
- سيراميك (خزف فخار مصقول) ceramicos κεραμεικοσ
- نوتى (بحار) nautes ναυτης
- سيف xephos ξιφος
- أخطبوط octopus οκτωπους (أى ذو الأقدام الثمانية)
- رواسى (التى ربما كانت مشتقة من) oros ορος بمعنى جبل
- بلازما (الجبلة أو الخلية الحية) وهى كلمة plasma πλασμα اليونانية التى تعنى حرفياً الشئ الذى يتخذ شكلاً أو صورة ، وهذا المعنى مأخوذ من فعل plasso πλασσω بمعنى يشكل أو يقولب .
- ومن نفس الأصل كذلك كلمة " بروتوبلازما " بمعنى " الخلية الحية الأساسية " .
- ومنه كذلك " بلاستيك " (أى المادة الطيعة القابلة للتشكيل plasticos πλαστικος

- وكذلك " بلاستر " وهى الكلمة التى تشير إلى اللاصق الطبى المسكن للألم ، وهذا المعنى بدوره مأخوذ عن المعنى الذى يقصد الجصّ الذى كان وهو فى حالته الطرية ـ يتخذ الشكل الذى يريده له صانعه أو من يشكّله ، وكان هذا الصانع أو المقولب للجص هو من يطلق عليه أصلاً πλαστης للمذكر ، πλαστερα للمؤنث (من الأصل اليونانى للفعل πλασσω بمعنى يشكل ويقولب) ٠

ولما كان الجص لا يتشكل فقط بل ويلتصق أيضاً بالأجسام وغيرها فقد أطلق على اللاصق الطبى كذلك اسم " بلاستر " ٠

- سمبوزيوم بمعنى " ندوة أو تجمع ثقافى " symposion συμποσιον ومعناها الأصلى " حفلة شراب " أو " ملتقى للشراب" أو " مأدبة " من فعل συμπινω sympion بمعنى " يشرب مع " ثم تطور معناها لتصبح الندوة التى يعقبها مأدبة أو حفل شراب ٠
- غرغرة بمعنى " سائل لمضمضة الفم يستعمل طبيّاً " وهى ربما كانت مأخوذة إما من كلمة gargara γαργαρα اليونانية بمعنى " كمية كبيرة ـ وفرة " وتفسيرى (وفرة من هذا السائل الذى يملأ الفم) ٠ أو من كلمة gargalos γαργαλος بمعنى " يدغدغ" أو " يخز وخزاً خفيفاً " وهو فعل هذا السائل فى الفم ـ والله أعلم !

ولنستكمل هذه المجموعة من الكلمات العربية واليونانية التى تكاد تتطابق لفظاً ومعنى :

- برج πυργος pyrgos (مع حذف النهاية اليونانية) ٠
- ر ىّ ρεω rheo (بمعنى يتدفق وبالتالى يروى مع حذف النهاية ω) ٠
- اسفين σφην sphyn (بمعنى خازوق) ٠
- اسفنج σφογγος sphongos
- سيما σημα sema (سيماهم على وجوههم) ٠
- تراخى ταραχη tarache
- ثور ταυρος tautros (مع حذف الـ os) ٠
- يفنى (يقتل ويهلك) φονευω phoneuo
- خير χαιρε (تصحبك السلامة والخير) ٠
- سيمترية συμμετρια symmetria بمعنى " تناسق وتناسب"٠
- أرخبيل (وهو البحر الذى يضم مجموعة كبيرة من الجزر) وكان يقصد به فى الأصل بحر إيجة شرق بلاد اليونان الذى يضم مجموعة كبيرة من الجزر المتناثرة وهذة الكلمة مأخوذة من الكلمة المركبة اليونانية αρχιπελαγος archiplegos أى البحر الأعظم (التى ربما كانت تحريفاً للـ A'ιγαιον Πελαγος أى بحر إيجة الذى كان يضم جزراً كثيرة) ٠
- " جمنازيوم " γυμνασιον gymnasion ومعناها فى اليونانية منتدى أو " مكان العراة " " من كلمة γυμνος gymnos أى "

عـارى " ، وهـى تشير إلـى صالـة الألعـاب الرياضيـة الـى كـان اللاعبون يمارسون فيها الألعاب وهم عراة أو شبه عراة ٠

- " دبلومـة " diploma διπλωμα وتعنـى الـورق أو الشـهادة المكتوبة على الوجهين ٠
- " الطوفان " وهى شبيهة بالكلمـة اليونانيـة typhon τυφων أو typhaon τυφαων

I –وهو فى الأساطير اليونانية أسم أحد العمالقة الذين قهرهم زيـوس كبير آلهة اليونان ٠

II – ثم أصبح هذا الأسم يطلق على الرياح العاتية والأعاصير التى يطلقها العمالقة ٠

- " أكاديميـة وأكـاديمى " وهـى كلمـات أصبحت تشـير فـى اللغـة العربية إلى التخصص العلمى فى فروع المعرفة وأصبح البحث العلمى والمعرفى المتخصص يسمى بحثاً أكاديمياً و " الأكاديميـة " فـى الأصـل اليونـانى Ακαδημεια هـى تلـك المدرسـة التـى افتتحها الفيلسوف والمفكر اليونانى الكبير أفلاطون فـى أثينـا فـى القرن الرابع ق٠م٠ وظل أتباع هذا المذهب الفلسفى الأفلاطونـى يسمون بالأكاديميين حتى عصر الإمبراطورية الرومانيـة ٠ وقد سميت مدرسة أفلاطون بالأكاديميـة نسـبة إلـى بطـل أثينـى قديـم يسمى أكاديموس ٠

وهناك بعض الكلمات اليونانية في العامية السكندرية (في مدينة الاسكندرية حيث كانت تعيش جالية يونانية كبيرة لازال بعض منها باقياً هناك) مثل :

- مستيكة (بمعنى علكة) mastax μασταξ والفعل منها mastichao μαστιχαω
- ترابيزة (بمعنى طاولة أو مائدة) trapeza τραπεζα
- كوللا (بمعنى صمغ لاصق) colla καλλα ·
- أوزى (بمعنى لحم الحيوانات الصغيرة كالعجول مثلاً) من كلمة ozos οζος · والتى تعنى فرعاً صغيراً أو نبتة صغيرة ·
- سيمافور (بمعنى أعمدة السكك الحديدية ذات الإشارات التى توضح للسائق كيفية السير) من كلمتى sema σημα بمعنى علامة أو إشارة و phorous φορος أى حامل وهى مشتقة من فعل phoréo φορεω بمعنى يحمل ·
- " ستروبيا " (بمعنى بالحظ أو بالمصادفة) من كلمة strobia στροβια المشتقة من فعل strobéo στροβεω بمعنى يلف أو يدور كالدوامة وتطور معناها فى العامية فأصبح يصيب الهدف أثناء دورانه هذا دون قصد بمعنى بالحظ أو بالمصادفة ·

ثانيا : أسماء المعادن والأحجار الكريمة وما يستخرج من باطن الأرض :

لننظر إلى الشبه أو التطابق أحياناً فى نطق ولفظ هذه الألفاظ اليونانية والعربية التى تحمل نفس الدلالة تقريباً :

- αδαμας adamas (الماس) ٠
- μαρμαρος marmaros (مرمر : وهو نفس الجذر اليونانى للكلمة بدون النهاية) ٠
- κασσιτερος cassiteros (قصدير : مع حذف النهاية اليونانية والإبقاء على الجذر) ٠
- " اليكترون " ηλεκτρον electron ولكن هذه الكلمة فى اليونانية تعنى سبيكة من الذهب المخلوط بالفضة ، وهذا المخلوط كان يستخرج - حيث كان يوجد على صورته الطبيعية هذه - من قيعان الأنهار فى مملكة ليديا فى آسيا الصغرى - أول من اخترع العملة - وكانت تضرب منه العملة الليدية ٠
- أما " المغناطيس " فإنه حجر (λιθος) ماجنيتيسmagnetis Μαγνητις أى " الحجر المغنيسى " الذى كان يستخرج من ماجنيسيا أو ماغنيسيا وهى مدينة قديمة بآسيا الصغرى وهو عبارة عن قطع من خام الحديد تتمتع بخاصية طبيعية وهى جذب قطع الحديد العادى إليها (قاموس وبستر / ١٩٨٦ / p. 1359) ٠

- أما " البترول " كلمة مركبة تركيباً مزجياً من كلمة لاتينية هى Oleum بمعنى " الزيت " وأخرى يونانية هى petros πετρος بمعنى الحجر و πετρα بمعنى الصخرة ٠ إذن فكلمة " بترول " تعنى حرفياً الزيت المستخرج من بين الأحجار والصخور ٠

ثالثاً : أسماء بعض الحاصلات الزراعية والنباتات :

لنتأمل وجه الشبه الكبير بين أسماء هذه الحاصلات فى اليونانية والعربية :

- قِنَب أو κανναβις cannabis (وهو النبات الذى يخرج خيوط القنب التى تصنع منها الحبال وأكياس الخيش ونسيج الكتان)
- قرطم أو καρδαμον cardamon
- لوتس λωτος lotus
- لبان λιβανος libanos
- ملوخية μαλαχη أو μολοχη moloche ٠
- سمسم σησαμη sesame

رابعاً : أسماء العلوم والتخصصات العلمية العملية والنظرية :

أ – العلوم المنتهية بالمقطع " لوجيا " أو " لوجى " المأخوذ عن كلمة " λογος , logos والتى تعنى أصلاً " كلمة ـ قول ـ تعبير " والتى من بين معانيها " كتابة نثرية أو علم " والمعنى الأخير للكلمة هو المعنى المقصود فى سياق الاصطلاحات العلمية لأسماء العلوم"٠ ولنتأمل النماذج الآتية :

- أنثروبولوجى " وتعنى علم " الإنسان " anthropos ανθρωπος ٠
- " جيولوجى " وتعنى علم " الأرض " γη , gé أو بالأحرى طبقات قشرة الأرض ٠
- " بيولوجى " وتعنى علم الأحياء βιος , bios بمعنى حياة ٠
- وكذلك " ميكروبيولوجى " أو علم " الأحياء الدقيقة " المكونة من μικρος ,micros بمعنى دقيق أو صغير و , bios βιος المعبرة عن الحياة والأحياء ٠
- " ثيولوجى " بمعنى علم " اللاهوت " من " θεος theos " بمعنى رب أو إله ٠
- " سيكولوجى " وتعنى علم النفس " Ψυχη psyché "
- " فونولوجى " وتعنى علم تراكيب " الأصوات φωνη phoné

- " مورفولوجى " وتعنى " علم الصرف " الذى يدرس بنية وشكل " morphé Μορφη " الكلمة مرتبطاً بمعناها ، كما تعنى فى العلوم الطبيعية " علم التشكل " أى دراسات أشكال النبات والحيوان ،
- " تكنولوجى " وهو اصطلاح ذو معنى عام يعنى التقدم العلمى التجريبى من خلال المهارة فى " الابتكار والصنعة , techné τεχνη " التى تعنى " فن - مهارة - صنعة - حيلة " وهى كلمة يونانية عرّبناها تحت مسمى " تقنية " بمعنى التقدم العلمى التجريبى ،

ب – علوم تنتهى بالمقطع " غرافيا " أو " جرافيا " المأخوذة عن كلمة graphé γραφη بمعنى " كتابة " أو – فى هذا السياق – " وصف" ، والفعل منها γραφω , grapho وأهم الأمثلة الشائعة بهذا التركيب :

- " جغرافيا " بمعنى " علم وصف " " الأرض gé , γη " ،
- " طبوغرافيا " بمعنى " علم وصف " " الأماكن أو المواقع topos, τοπος " بمعنى بقعة أو مكان أو موقع ،

جـ – علوم أخرى ذات أصول يونانية مختلفة فى أسمائها مثل :

- " فلسفة " وتعنى " الشغف بالمعرفة والحكمة " من philos , φιλος بمعنى " محب أو عاشق أو مغرم " ، " sophia ,

σοφια " بمعنى " المهارة أو الحصافة أو الحكمة في الأمور العامة " فهى حب الحكمة والمعرفة .

- " الفيزياء " وتعنى " العلم الطبيعى φυσικη , physiké " وهى صفة مشتقة من كلمة φυσις , physis " بمعنى " الطبيعة " والصفة المشتقة منها . " تعنى " الطبيعى " تصف كلمة مُقدّرة هى τεχνη بمعنى علم او فن " علم الطبيعة " أو " العام الطبيعى " .
- " الديناميكا " وتعنى تأثير " القوة δυναμις , dynamis " على الأجسام المتحركة وهو بذلك يعنى علم القوة والحركة حيث أن dynamiké , δυναμικη هى صفة لأسم مفهوم ضمناً هو τεχνη الذى يعنى " علم " .
- " استاتيكا " بمعنى " علم السكون " عكس " الديناميكا " وهذه الكلمة فى اليونانية statiké στατικη هى صفة لنفس الأسم المقدر أعلاه وهو τεχνη بمعنى " علم " والصفة تعنى الثابت أو الساكن وهى مأخوذة من فعل histemi, ιστημι بمعنى " يقف أو يثبت أو يتوقف " .

خامساً : اصطلاحات السياسة ونظم الحكم :

أ – اصطلاحات تنتهى بمقطع " قراطية " المأخوذة عن الكلمة اليونانية το, kratos κρατος " التى تعنى " حكم أو سلطة أو سيادة " ومن خلاله حدثت التركيبات المزاجية للألفاظ الاصطلاحية الآتية :

- " ديمقراطية " وهى تعنى حكم الشعب " demos , δημος " لنفسه بنفسه ٠
- " أرستقراطية " وتعنى حكم " الأفاضل أو الصفوة " , aristos αριστος " هؤلاء الصفوة من " أفضل الناس " فى عرف الإغريق هم الأشراف ذو النسب العريق الذين تولوا الحكم بعد نهاية الحكم الملكى فى بلاد اليونان ، وخرجت عن معناها الأصلى لنظام حكم وأصبحت تطلق على ذو الأصول العريقة٠
- " ثيوقراطية " وتعنى " الحكم الدينى " من كلمة " , theos θεος " بمعنى إله ٠
- " تيموقراطية " و تعنى " الحكم حسب مقدار الثروة " حيث ان كلمة " time , τμιη " تعنى الثروة ، أى أن يكون هناك مقدار دخل معين ومحدد كنصاب لا ينبغى لمن يريد ترشيح نفسه للوظائف العليا أن يقل عنه ٠
- " أوتوقراطية " وتعنى " الحكم الفردى " أى أن يقوم شخص بذاته " autos , αυτος " بإدارة شئون الحكم ٠

ومن الجدير بالذكر أن هذه الألفاظ الاصطلاحية فى اليونانية لم تكن تُنطق هكذا وإنما كانت تنطق مرققة كالتالى : " ديمو كراتيا"، " أرستوكراتيا " ، " ثيوكراتيا " ، " تيموكراتيا " ، " أوتوكراتيا " • لكن العرب حين تبنوا هذه الألفاظ فى لغتهم فخموا حرف التاء فى مقطع " كراتيا " وجعلوه طاء كما قلبوا الكاف فى هذه الكلمة إلى " قاف " حتى تنسجم مع " الطاء " التى استخدمت للتفخيم• وبذلك ألبست اللغة العربية هذه الألفاظ رداءً عربياً فبدت كما لو كانت عربية صرفة وهى ليست كذلك

ب – كلمات تنتهى بنهايات أخرى مختلفة :

- " أوليجارخية " بمعنى " حكم الأقلية " من كلمتى " , oligos ολιγος " بمعنى " قليل أو قلة " و " archy , αρχη " بمعنى " حكم " ، وكان هذا النظام فى بلاد اليونان القديمة من أقلية من المواطنين فى المدن اليونانية وتتألف هذه الأقلية من الأشراف الأرستقراطيين والأثرياء الجدد ، وهؤلاء كانوا يشكلون أقلية عددية أمام الكثرة الساحقة من متوسطى الحال والفقراء •
- " ديماجوجية " وهى تعنى تزعم شخص بعينه " , agogos αγωγος " بمعنى زعيم لجموع الشعبيين ", demos δημος" مستغلاً عواطفهم والتفافهم حوله لقدراته الخطابية وسحر زعامته ، وهذه المرحلة تمثل انحراف الديمقراطية عن مسارها فى بعض الأحيان •

- " بولوتيكا " أو علم السياسة " πολιτικη , politiké " وهى صفة لأسم مقدر هو " τεχνη , techné " بمعنى " علم أو فن، والصفة πολιτικη هنا تعنى " ما يتعلق بإدارة الشئون العامة للمدينة أو الدولة " حيث أنها مشتقة من كلمة " , polis πολις " بمعنى " المدينة " وكذلك بمعنى " الدولة " حيث أن بلاد اليونان عرفت نظام " دول المدينة " ولم ينشأ بها نظام الدولة المركزية الكبيرة •

- " دبلوماسية " وهى اصطلاح يعنى أصلاً " السعى والمحاولة فى اتجاهين " (للوصول إلى حل لقضية معينة) وهى مأخوذة من كلمتين يونانيتين هما " διπλοος , diploos " وهى صفة بمعنى "مزدوج " ، " ματευω أو ματεω , mateo " بمعنى " يبحث ، يسعى ، يحاول " وأدمجتا فى كلمة واحدة هى διπλοματια بمعنى " السعى بأكثر من طريقة أو " السعى بمرونة " لحل مشكلة أو قضية ما •

- " بروتوكول " πρωτοκολλον , protokollon وهى تعنى حرفياً " الصفحة الأولى الملصقة " فى مقدمة وثيقة قانونية أو سياسية وكان يكتب عليها محتويات هذه الوثيقة وتوثيق ما سوف يتلوها من صفحات • وهذه الكلمة مشتقة من كلمتين يونانيتين الأولى هى πρωτος , protos " بمعنى " الأولى " وكلمة κολλον , collon بمعنى " الصفحة الملصقة "

المأخوذة من كلمة κολλα , colla بمعنـى " صمـغ " وفعـل κολλαω , collao أى يلصـق ٠ ومـن هنـا فـإن كلمـة " بروتوكول " تعنى أصلاً " الغلاف أو الصفحة الأولى التى تضم الفهرس " لمجموعـة صفحـات متلاصقـة مـن ورق الـبردى مكتوب عليهـا وثيقـة قانونيـة أو سياسـية ٠ ثـم اسـتخدمت لدينـا كلمة "بروتوكول " بعد ذلك بمعنى تلك الوثيقة فى أى مجال من مجـالات التعـاون أو المعـاهدات ولـم تعـد تعنـى فقـط الصفحـة الأولى أو الغلاف للوثيقة كما فى معناها الأصلى ٠

- " اسـتراتيجية " وهـى فـى الأصـل كلمـة عسـكرية عنـد اليونـان وتعنـى " القيـادة العليـا للجيـش " στρατηγια , strategia وهـى مـأخوذة مـن كلمـة στρατηγος , strategos بمعنـى القـائد الأعلـى للجيـش ، ولمـا كـانت مهمـة القيـادة العليـا هـى الأستفادة من كافة طاقات وإمكانات الأمة (الوطن) من خـلال تخطيـط واسـع النطـاق وبعيـد المـدى لتـأمين وضمـان إحـراز النصر على المدى الطويل ، فقد تحول مفهـوم الكلمـة ولـم يعـد يعنى المعنى العسـكرى فقـط للكلمـة بـل أصبحـت الكلمـة تعنـى عموماً " التخطيط على المدى الطويـل لتحقيـق أهـداف معينـة " فى أى مجال من المجالات العامـة ٠ وعكـس " الاسـتراتيجية " هى كلمة " تكتيـك " (τακτικος , tacticos) وهـى تعنـى استخدام القوات العسكرية ونشرها فى معركة حربية ، ثم تطور معناها واكتسب صفة أشمل وأصبح التكتيك يعنى " وضع خطة

قصيرة الأجل لمواجهة موقف بعينه " في أى مجال من المجالات العامة ٠

- " ايديولوجية " وتعنى " تبنى رؤية معينة والتعبير عنها " ، ثم تطور الاصطلاح ليعنى تبنى رؤية سياسية أو اقتصادية أو عقائدية٠ وهذه الكلمة مشتقة من جذرين أو أصلين يونانيين هما eido , ειδω بمعنى " يرى أو يكون له رؤية أو تصور " ، logos , λογος " بمعنى القول أو التعبير ٠ فأصبح مصطلح " أيديولوجية " تعنى " تبنى رؤية أو تصور معين والتعبير عنه " ιδιολογια لا سيما فى النواحى السياسية والاقتصادية والعقائدية ٠

سادساً : الأجهزة والرسائل السمعية والبصرية والصوتية المستخدمة فى حياتنا اليومية والعلمية :

(أ) الأجهزة الصوتية :

وهى تلك التى تضم المقطع " فون " أو phone, φωνη بمعنى " صوت " فى اليونانية مثل :

- " تليفون " وهو الجهاز الذى يأتى بصوت φωνη قادم " من بعيد τηλε , tele ٠
- " ميكروفون " وهوالذى يقوم بتكبير وتعلية " الصوت " φωνη الصغير μικορς , micros أى المنخفض أو العادى ٠

- " فونوجراف " الذى كان من قبل يسمى " جراموفون " وهو ذلك الجهاز الذى يقوم بـ " تسجيل γραφη graph , " الصوت φωνη ٠
- " ستريو " وتعنى " الصوت المجسم " وهى من كلمة stereos, στερεος بمعنى " صلب / قوى " ٠

(ب) الأجهزة والرسائل الكتابية والتصويرية :

وهى تلك التى تنتهى بالمقطع " جراف أو غراف " , graphé γραφη " الذى يدل على " الكتابة أو التسجيل أو الوصف " مثل :

- " تلغراف " أو " تلجرام " وهى ألفاظ تعبر عن الجهاز الذى ينقل " رسالة مكتوبة γραφη " قادمة " من بعيد τηλε , tele " أو عن " الرسالة المكتوبة القادمة من بعيد " , telegram τηλεγραμμα ذاتها المنقولة على هذا الجهاز ٠
- " أوتوجراف " وهو ذلك الدفتر أو الكرّاس الذى يدوّن grapho , γραφω " فيه الشخص " بنفسه autos , αυτος " مذكرات أو أموراً خاصة به ٠
- " فوتوجرافيا أو فوتوغرافيا " أى " التسجيل , graphé γραφη " الضوئى " حيث نجد كلمة " phos, φως " بمعنى "الضوء" يوجد جذرها فى التصريف φωτος والتسجيل الضوئى " photography لحدث أو موقف ما يعنى تصويره٠

(جـ) الأجهزة البصرية :

وهـى تلـك التـى تحتـوى علـى المقطـع اليونـانى ,scope σκοπη" سكوب " الذى يدل على " المشاهدة " والمأخوذ من الفعل اليونانى scopeo , σκοπεω بمعنى " يشاهد أو ينظـر إلـى " ومـن هذه الأجهزة :

- " ميكروسكوب " وهو ذلك الجهاز الذى نرى scopéo من خلاله الكائنات أو الأشياء " الدقيقة μικρος " حيث يقوم بتكبير صورة هذه الأشياء ٠
- " تيليسكوب " وهو ذلك الجهاز الذى " نرى scopéo " من خلاله الأجرام أو الأشياء " البعيدة tele " ٠
- أما كلمة " تليفزيون " فإنها تتكون من مقطعين أحدهما لاتينى وهو vision مـن فعل video اللاتينـى بمعنـى " يشـاهد " ــ وهـى التـى نستخدمها ونطلقها علـى جهـاز الفيديـو ــ ومقطـع يونانى هو " τηλε" بمعنى " بعيد " فتركيب الكلمتين اليونانية واللاتينية " تليفزيون " يعنى ذلك الجهاز الذى ينقل لنا ويجعلنا " نشاهد أشياء وصوراً قادمة من مكان بعيد " وهو يعنى حرفياً " جهاز المشاهدة عن بعد " ٠

سابعاً : الكلمات المتصلة بالفنون :

- " موسيقى " mousiké , μουσικη " وهى صفة تصف اسماً مقدراً هو techné , τεχνη بمعنى " فن الموسيقى " أما عن هذه الصفة μουσικη فإنها مأخوذة من اسم ربات الفنون التسعة عند الإغريق الآتى كان يطلق عليهن اسم , mousae μουσαι وكان يعتقد أنهن يسكنّ فوق جبل بارنا سوس فى منطقة " فوكيس " وامتداده فى إقليم " بؤوتيا " المجاور له شرقاً والمسمى جبل " هيليكون " فى بلاد اليونان •
- " قيثارة " هى نفس الكلمة kithara, κιθαρα فى اليونانية •
- دراما drama, δραμα وهى تعنى باليونانية " الأداء " ومشتقة من فعل يونانى هو δραω , drao بمعنى يؤدى • ولاسيما الأداء التمثيلى •
- وكذلك " ميلودراما " وهى " التمثيلية العاطفية التى تهز المشاعر " إذ تتكون من مقطعين : الأول هو " الدراما " بمعنى "الأداء التمثيلى " والثانى هو μελος , melos بمعنى " طرف أو وتر " (فيكون المعنى الأداء التمثيلى الذى يهز أطراف وأوتار (بمعنى مشاعر) المشاهد) •
- " تراجيديا " أو " المسرحية الجادة أو المأساة " وهى تكتب فى اليونانية " تراجوديا " " τραγωδια , tragodia " وهو

تركيب يعنى " أغنية أو عرض أو أشعار الماعز " وتتكون من كلمتين يونانيتين هما " odé , ωδη " بمعنى " أغنية أو عرض " و tragos, τραγος بمعنى " ذكر الماعز " والسبب فى ذلك أن المسرحية الجادة كان يقوم بتمثيلها فى أول الأمر ممثلون يرتدون ملابس من جلد الماعز وكانوا يغنون أشعاراً جادة على يد جوقة من المغنيين قبل أن تتحول إلى مسرحية تمثيلية ذات حوار ٠

- " سينما " فن السينما وهى كلمة يونانية هى κινημα وتنطق فى الانجليزية cinema فأخذنا الكلمة اليونانية بنطقها الانجليزى وهى تعنى فى اليونانية الشئ المتحرك حيث يمتلئ الفيلم السينمائى بالحركة وهى مشتقة من فعل يونانى هو κινεω بمعنى يتحرك (الخيالة) ٠

- " كوميديا " أو المسرحية الهازلة أو الساخرة ، وتكتب فى اليونانية κωμωδια , comodia ومعناها " الأغنية الصاخبة " أو " العرض الصاخب " وهى تتكون من كلمتين هما , odé ωδη بمعنى " أغنية أو عرض " و κωμος ,comos ومعناها الصخب والعربدة٠

- " أوركسترا " أى " الفرقة الموسيقية " أو " الموضع المخصص لها فى المسرح " وهى تكتب باليونانية " , orchestra ορχηστρα وهى فى المسرح الأثينى تعنى مساحة واسعة

نصف دائرية كان يرقص عليها أفراد " الكورس , chours
χορος " والتى هى بدورها كلمة يونانية تعنى " فرقة أو جوقة
" من الراقصين والمغنيين المشاركين فى عرض تمثيلى
مسرحى ٠

- " سيمفونية " συμφωνια , symphonia وهو نفس النطق اليونانى للكملة المؤلفة من شقين هما (ν) συμ بمعنى " مع ، جنباً إلى جنب " و φωνη الدالة على الصوت أو الأصوات ، فهى تعنى إذن " مجموعة أصوات متناغمة مع بعضها " ٠
- ديالوج " وتعنى " حوار أو نقاش " من كلمة , dialogos διαλογος بنفس المعنى ٠
- " مونولوج " μονολογος , monologos وتعنى مشهد مسرحى أو غنائى أو مناجاة يقوم بها شخص واحد , monos μονος ٠
- " زخرفة " وهى مأخوذة عن كلمة يونانية هى , zographia ζωγραφια وتعنى " رسم أو تصوير " γραφη و " الحيوان " ζωον , zoon أى التزيين والتجميل من خلال رسوم الحيوانات وتصويرها ٠

ثامناً : أسماء بعض الأمراض النفسية أو الجسمية :

- " فوبيا " phobia , φοβια بمعنى " الخوف المَرَضى " وهو مشتق من الفعل اليونانى phobéo , φοβεω بمعنى " يخيف " والفعل المبنى للمجهول منه بمعنى " يخاف " ٠ وللكلمة مركبات كثيرة فى علم النفس تعنى " الخوف المرضى " من أشياء عديدة سأضرب أمثلة لها مثل :
- algophobia أى الخوف من " الألم " αλγος
- androphobia أى الخوف من " الرجال " ανδρος ٠ ανηρ ٠
- anthropophobia أى الخوف من "البشر" ανθρωπος
- gynephobia " الخوف من " النساء " γυνη
- bathophobia من " الأماكن العميقة أو المرتفعة βαθυς بمعنى عميق أو مرتفع ٠
- cynophobia أى الخوف من " الكلاب κυνος , κυων
- gymnophobiaأى الخوف من " العُرّى " γυμνος " عارى ، لا يرتدى ملابس " ٠
- gamophobia أى الخوف من " الزواج " γαμος ٠
- heliophobia الخوف من " الشمس " ηλιος

- hematophobia الخوف من " الدم αιματος , αιμα "٠
- hypnophobia الخوف من " النوم υπνος " ٠
- kelptophobia الخوف من " السرقة κλεπτης بمعنى لصّ، والفعل κλεπτω بمعنى يسرق ٠
- skotophobia الخوف من " الظلام σκοτος " ٠
- monophobia أى الخوف من " الوحدة μονος " ٠
- thanatophobia الخوف من " الموت θανατος "٠
- treiskaideka phobia أى الخوف والتشاؤم من رقم τρισκαιδεκα١٣
- thalassophobia أى الخوف من " البحر θαλασσα "٠
- zoophobia الخوف من " الحيوانات ζωον "٠

وغيرها كثير (وهذه ألفاظ يستخدمها المتخصصون فى علم النفس والطب النفسى) ٠

ننتقل لكلمة أخرى متداولة وشائعة فى علم النفس والأمراض النفسية وهى " مانيا " μανια , mania بمعنى " الجنون " ، وهناك مركبات أخرى مع الكلمة مثل :

- megalomania أى جنون " العظمة " μεγαλος , μεγας حين يشعر الفرد شعوراً مرضياً مبالغاً فيه بتفوقه على الأخرين وأهميته الكبيرة التى ليست كذلك فى الواقع ٠

- kleptomania أو جنون السرقة أو الولع المرضى " بالسرقة κλεπτης " •
- bibliomania أى الجنون أو الولع المرضى " بالكتب βιβλος •••••• الخ •
- " الشيزوفرنيا " وهى مرض نفسى يعنى " الفصام العقلى " schizophrenia وهى مركبة من كلمتين يونانيتين كما يلى :

  فعل σχιζω , schizo بمعنى ينقسم أو ينشطر أو ينفصم •

  اسم φρην , phren بمعنى العقل •

- " المناخوليا أو " الميلانخونيا " melancholia وهى مرض نفسى يعنى الكآبة أو الانقباضية أو السودواية ، وهى اصطلاح مركب من كلمتين يونانيتين هما :μελαν , μελας وهى صفة تعنى أسود أو قاتم أو كئيب ، و χολαω بمعنى يغضب أو يهتاج أو يشعر بالمرارة وهو فعل مشتق من اسم هو χολη بمعنى المرارة أو السائل المرارى الأصفر الذى يفرزه الكبد ويختزن بالمرارة • ولكن فى العامية المصرية فإن " مناخوليا " تعنى بشكل عام الجنون أو الحماقة وفقدان الاتزان•
- " الهلوسة " وهى مرض نفسى يعنى الهذيان وهى كلمة مأخوذة من فعل يونانى هى αλυω أو αλυσσω بمعنى يتشتت أو يضطرب ويصبح فى حيرة من أمره •

- " هيستريا " hysteria وهى اضطراب عصبى يسبب نوبات عنيفة من الضحك أو البكاء أو يسبب ضروباً من الأمراض الوهمية وفقدان السيطرة على الذات • وهى كلمة مشتقة من كلمة يونانية هى υστερα بمعنى " رحم المرأة " إذ كان يعتقد قديماً أن النساء أكثر انفعالاً واستثارة من الرجال بسبب انقباضات وتقلصات الرحم ، ومن هنا جاء استعمال لفظ " هيستريا " للتعبير عن الانفعال الشديد •
- " بارانويا " وهو جنون الاضطهاد أو جنون الشك والارتياب فى الآخرين وهى كلمة يونانية παρανοια , paranoia بمعنى الإصابة بالخبل والتشوش وهو اسم مشتق من فعل يونانى هو παρανοεω ويعنى أن يفكر المرء بشكل خاطئ ومشوش ويفتقر للحس السليم •

وأخيراً فى هذا المقام مرض عضوى غير نفسى هو من أمراض العيون هو الـ " جولوكما " glaucoma أى " المياه الزرقاء وتراكمها على العين " وهى مشتقة من صفة يونانية هى γλαυκος بمعنى اللون الأخضر المائل للزرقة أو اللون الرمادى •

تاسعاً : ألفاظ متصلة بالدين وعلم اللاهوت :

١ - بعض المذاهب المسيحية والكلمات المتصلة بالعقيدة المسيحية :

- " كاثوليكى " catholic وهى كلمة يونانية الأصل καθολικος بمعنى " عمومى - عالمى - كونى " بمعنى المذهب الذى يعتنقه الجميع أو الغالبية أو " المذهب السائد " وهذه الصفة مأخوذة أصلاً من الظّرف καθολου بمعنى " على وجه العموم "
- " أرثوذكسى " orthodoxy وهى تركيبة مزجية يونانية تعنى "استقامة الرأى " أو " العقيدة القويمة " وهى مركبة من كلمتين يونانيتين هما :orthos , ορθος بمعنى " مستقيم - قويم - صحيح - أصلى " ، doxa , δοξα بمعنى " حكم أو رأى أو معتقد " .
- " أيقونة " وهى كلمة يونانية هى eikon εικων,η وتعنى "شبه - صورة أو تمثال أو أيقونة " والكلمة مأخوذة من فعل يونانى هو eiko , εικω بمعنى يشبه أو يماثل .

٢ - كلمات أخرى متفرقة تتصل بالعقائد والأديان عموماً مثل :

- " غنّوصى وغنّوصية " وهى فى الأصل مفهوم دينى وترتكز على أسطورة الخلاص من الخطيئة وذلك من خلال المعرفة " γνωσις gnosis " وكان لها أصولها ــ ربما قبل قيام المسيحية ـ ولكنها انتشرت فى القرن الثانى الميلادى واتخذت صوراً مسيحية ووثنية • المهم فى هذه النظرية ــ من حيث اشتقاقها اللغوى ـ أن الخلاص فيها يعتمد على " المعرفة أو الـ gnosis " التى اشتقت منها الغنوصية ، وبالتالى فـ " الغنوصى " هو ذلك الـ γνωστικος gnostikos أى " العارف أو العليم " و " الغنوصية " هى الـ γνωστικη , gnostiké أى تلك الملكة (وهى الاسم المقدر δυναμις , dynamis التى تصفها هذه الصفة) المعرفية ، فهذه الملكة المعرفية أو الطاقة المعرفية (وهى الغنوصية) هى ـ كما يرى أتباعها ـ طريق الوصول للخلاص من الخطيئة •

- " ناموس " بمعنى الشريعة أو القانون ربما كان مأخوذاً من الكلمة اليونانية νομος nomos بمعنى العادة أو العرف أو القانون أو المرسوم

- " مجوس " أخذ الإغريق هذه الكلمة بالتأكيد عن الفرس وصارت مستعملة فى لغتهم فالـ Μαγος magos عند اليونان هو ذلك الحكيم من العرافين الفرس الذين كانوا يقومون بتفسير الأحلام أو السحر ومن هنا أتت كلمة magic فى الإنجليزية •

- كما نجد كلمة " قربان " مستخدمة فى اللغة اليونانية korban κορβαν بنفس معناها المألوف لدينا بمعنى هبة أو نذر يقدم تقرباً إلى الإله ٠ ولكن تذكر المعاجم اليونانية أن هذه كلمة " عبرية " لا تُصرّف وإنما تظل كما هى فى جميع حالات الإعراب ـ عكس القاعدة بالنسبة للأسماء اليونانية ٠

- وأخيراً ـ فى هذا الصدد ـ فلنتأمل وجه الشبه الكبير بين كلمة حجّ وحاجّ فى العربية وبين كلمة يونانية هى , hagos αγος το بمعنى " امر مقدس جليل فيه رهبة وخشية دينية " و إذا حذفنا نهاية الكلمة وابقينا جذرها فقد صارت " حج hag " فما أقربها من "حج"!٠

- والصفة من الاسم هى hagnos , αγνος وإذا ما اتصف بها شخص فهو ذلك " الطاهر التقى الورع " وإذا ما أبقينا على جذر الكلمة دون نهايتها فى hagn فما أشبهها بـ " حاجّ " !

ومن الجدير بالتنويه فى ختام البحث أن الألفاظ والاصطلاحات المشتركة بين اليونانية والعربية تنقسم إلى قسمين :

١ – قسم من الألفاظ الاصطلاحية اليونانية الأصل سواء كانت بسيطة أو مركبة تركيباً مزجياً وهذه دخلت إلى العربية من خلال اللغات الأوربية الحديثة التى تأثر بها اللسان العربى فى مجالات الحياة التخصصية المختلفة ٠ فألفاظ واصطلاحات

أسماء العلوم ، والسياسة ، ونظم الحكم ، والأجهزة والوسائل السمعية والبصرية والصوتية - والكلمات المعبرة عن الفنون ، وأسماء الأمراض (لاسيما النفسية) ، ومعظم الألفاظ المتصلة بعلم اللاهوت المسيحى والمذاهب المسيحية - مما ذكرناه أعلاه - هى ألفاظ يونانية الأصل ومقطوع بنسبتها اليونانية • ويضاف لهذه الألفاظ التخصصية اليونانية بعض الألفاظ الشائعة مثل : جمنازيوم - سمبوزيوم - بلازما - بلاسيتك - بلاستر - ثرمومتر ••••• الخ •

٢ - قسم ثان من الألفاظ المتشابهة أو المتطابقة بين اليونانية والعربية والتى لم تدخل العربية من بوابة اللغات الأوربية الحديثة بل أنها موجودة فى النصوص اليونانية والعربية القديمة من أمثال :

(أ) الكلمات العادية من أسماء وأفعال مثل : أثير - أكمة - زوج - دين - متر - كىّ - نوتى - سيف - برج - رىّ - قلم - سيما - ثور - خير - تراخى - اسفنج •

(ب) أسماء بعض المعادن مثل : ألماس (أدماس فى اليونانية) - مرمر - قصدير - الكترون •

(جـ) أسماء بعض الحاصلات مثل : قِنّب - قرطم - لوتس - مُرّ - لبان - ملوخية - سمسم •

(د) أسماء وصفات تتعلق بالدين والشريعة مثل : ناموس ـ حَجّ ٠

أمثـال هـذه الألفـاظ مـن الصعب القطـع بأصلها ومـن كـان الأسـبق بأستخدامها هل هم العرب أم اليونان ، وبالتالى مـن الصعب تحديـد من الذى أخذها عن الآخـر ٠ فالاحتمـالات مفتوحـان ـ علـى الأقـل بالنسبة لى كغير متخصص فى علم اللغة ـ ولربما كان لعلمـاء اللغـة (سواء فى العربية أو اليونانية) قول آخر أو اجتهاد مغـاير ٠وربمـا لعبت الصدفة دوراً فى تشابه بعض هذه الألفاظ على الأقل ٠

وفى نفس هذا المقام فإن هناك من هذه الألفـاظ المتشـابهة بيـن اللغتين ما يمكن تحديـد هويتـه وأصلـه وليـس عليـه خـلاف تقريبـاً : فألفاظ مثل : أخطبوط ـ بربرى ـ أكاديميـة ـ مغنـاطيس ـ بـترول ـ أرخبيل ـ كلمـات يونانيـة الأصـل مرتبطـة باللغـة اليونانيـة وببعـض سمات البيئة اليونانية وخصائصها ، وكلمات مثل " مجوس ـ قربان ـ عربون ـ جمل كلمات عربية أو سامية الأصل بشكل واضح حتى أن القواميـس والمعـاجم اليونانيـة نصـت علـى أنهـا مـأخوذة مـن أصـول سامية ٠

المحتويات

المقدمة

الفصل الأول :

" تطور نظرة الإغريق إلى علاقة
الأسطورة بالتاريخ " ١٩ ـ ٥٨

الفصل الثانى :

- " علاقات الإغريق بجيرانهم من خلال
دلالات ومضامين الأساطير الإغريقية " ٥٩ ـ ١٣٨
- ثبت تعريفى ببعض ممن كتبوا فى
الأساطير اليونانية فى المصادر القديمة ١٣٩ ـ ١٤٨

الفصل الثالث :

" التوحيد فى الفكر اليونانى القديم ! " ١٤٩ ـ ١٩٤
أ ـ كسينوفانيس ١٥٢ ـ ١٧٦
ب ـ هل كان سقراط موحِّداً ... ورسولاً ؟ ! ١٧٧ ـ ١٩٤

- **ملحق ببعض الألفاظ المشتركة بين
اليونانية والعربية** ١٩٥ ـ ٢٣٤

الغلاف

الوجـــه

١ - دروس فى تعلم الموسيقى والقراءة
تفاصيل مرسومة على كأس ٠ أوائل القرن الخامس ق م٠
متحف برلين ٠

٢ - تمثال نصفى لبيركليس (٤٦٠ - ٤٢٩ ق٠م٠)
نسخة رومانية عن أصل نحته كريسيلاس حوالى ٤٤٠ق٠م٠
متحف برلين ٠

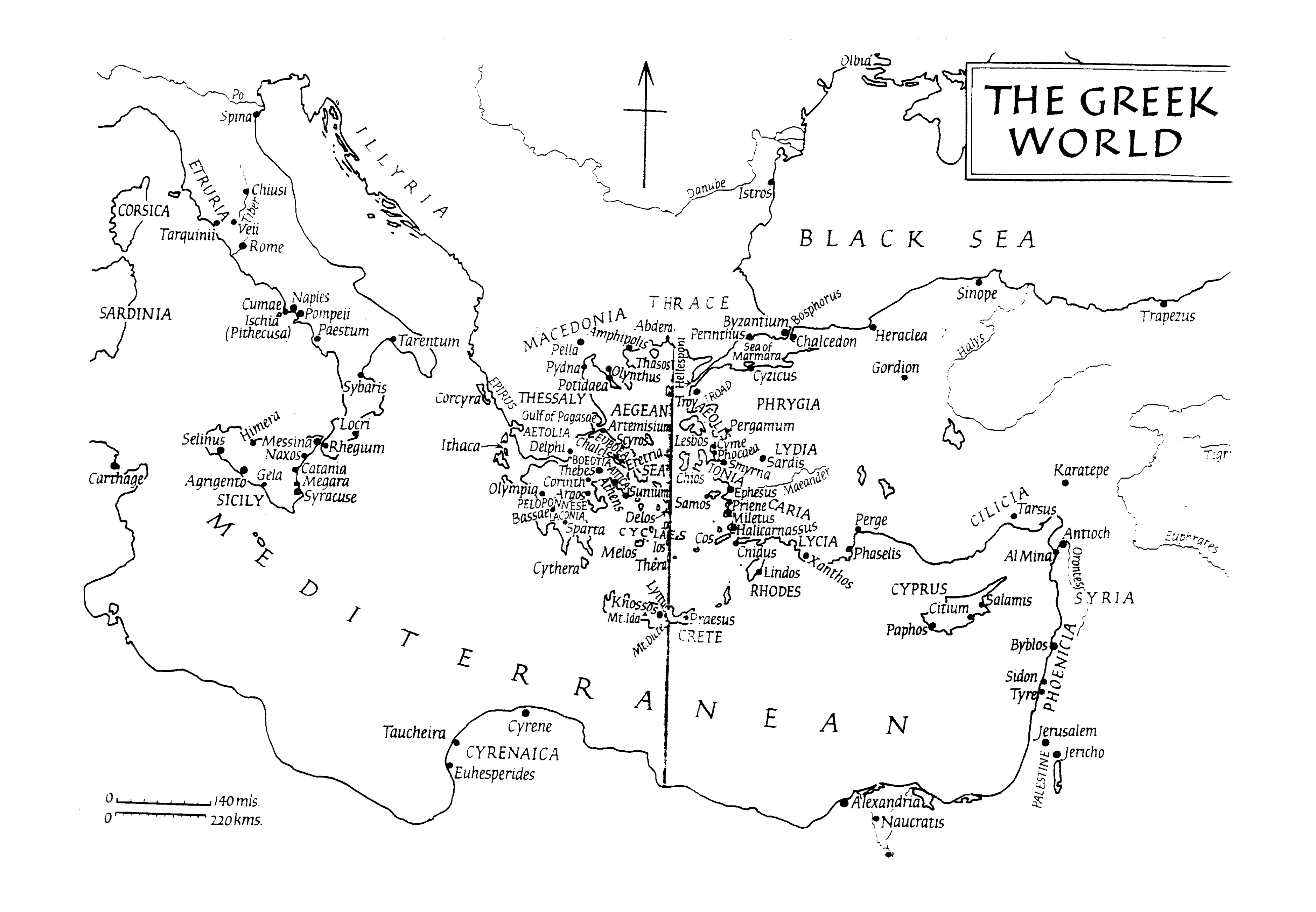
الظهر

١ - أسطورة ثيسيوس وهو يصرع ثورمينوس
تفاصيل مرسومة على امفورا – حوالى ٥٤٠ق٠م٠
متحف برلين ٠

٢ - أسطورة كادوس وهو يقتل التنين عند نبع ماء آريس ٠
تفاصيل مرسومة على إناء لمزج النبيذ بالماء (كراتير) من ورشة الفنان بوليجنوتوس ٤٤٠ - ٤٣٠ ق٠م٠ ٠
متحف الميتروبوليتان - نيويورك ٠



صاحبها ومديرها محمد بسيونى
خلف ش فرنسا ☎ ٤٨٠٩٠٠٥ الاسكندرية


THE GREEK WORLD
BLACK SEA
MEDITERRANEAN
AEGEAN SEA
THRACE
MACEDONIA
THESSALY
AETOLIA
EPIRUS
BOEOTIA
ATTICA
EUBOEA
PELOPONNESE
LACONIA
CYCLADES
CRETE
ILLYRIA
ETRURIA
CORSICA
SARDINIA
SICILY
CYRENAICA
PHRYGIA
LYDIA
TROAD
AEOLIS
IONIA
CARIA
LYCIA
RHODES
CILICIA
CYPRUS
SYRIA
PHOENICIA
PALESTINE
Po
Spina
Chiusi
Tiber
Veii
Tarquinii
Rome
Cumae
Naples
Pompeii
Ischia
(Pithecusa)
Paestum
Tarentum
Sybaris
Locri
Rhegium
Himera
Selinus
Messina
Naxos
Catania
Megara
Syracuse
Gela
Agrigento
Carthage
Corcyra
Ithaca
Gulf of Pagasae
Delphi
Chalcis
Eretria
Thebes
Corinth
Argos
Athens
Sunium
Olympia
Bassae
Sparta
Cythera
Melos
Delos
Ios
Thera
Knossos
Mt. Ida
Lyttos
Mt. Dicte
Praesus
Pella
Pydna
Potidaea
Olynthus
Amphipolis
Abdera
Thasos
Artemisium
Scyros
Hellespont
Troy
Lesbos
Chios
Samos
Cos
Perinthus
Byzantium
Bosphorus
Chalcedon
Sea of Marmara
Cyzicus
Pergamum
Cyme
Phocaea
Smyrna
Sardis
Maeander
Ephesus
Priene
Miletus
Halicarnassus
Cnidus
Lindos
Xanthos
Phaselis
Perge
Danube
Istros
Olbia
Heraclea
Gordion
Sinope
Halys
Trapezus
Karatepe
Tarsus
Antioch
Al Mina
Orontes
Euphrates
Salamis
Citium
Paphos
Byblos
Sidon
Tyre
Jerusalem
Jericho
Alexandria
Naucratis
Cyrene
Taucheira
Euhesperides
0 140 mls.
0 220 kms.